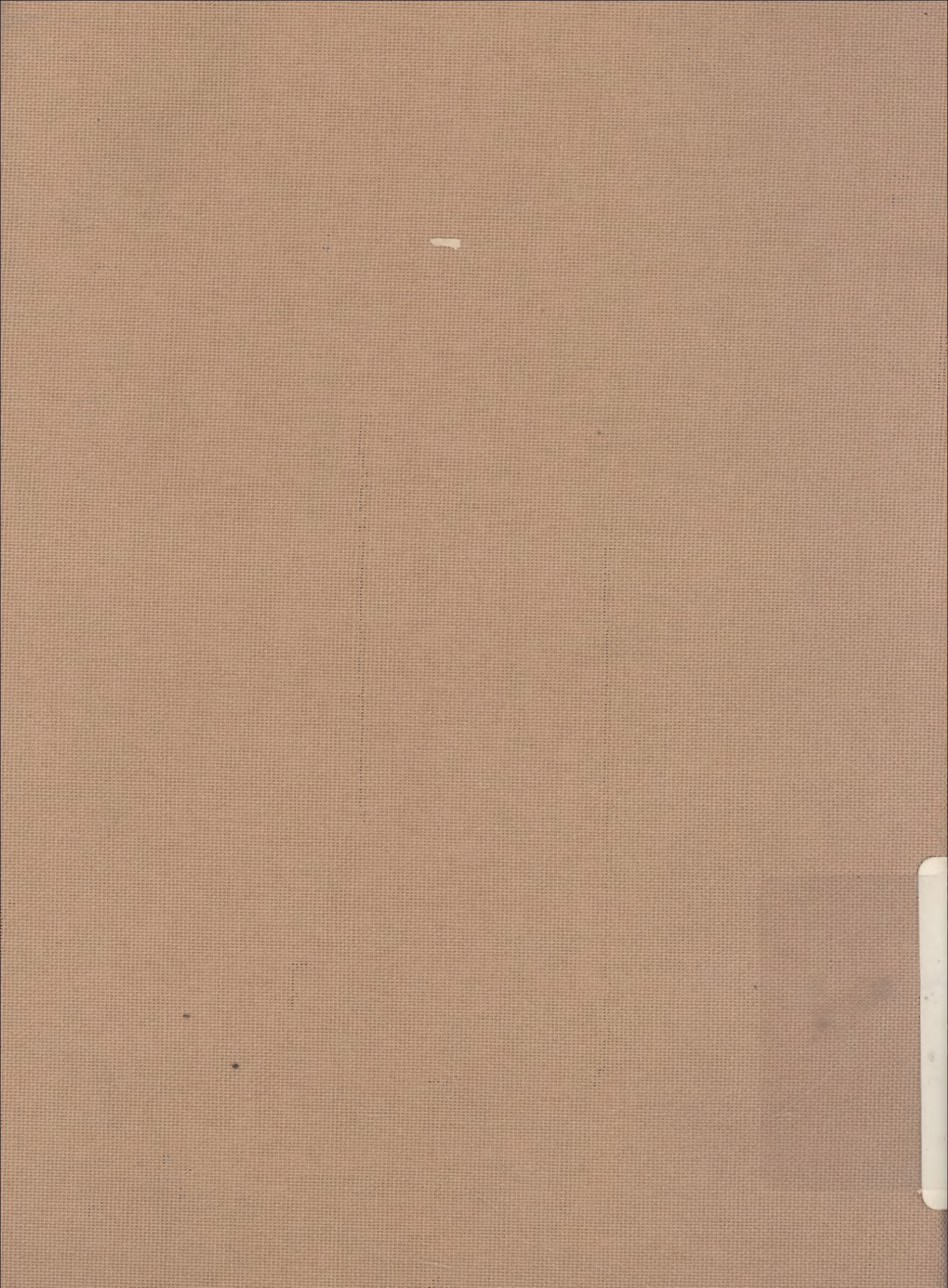


كتاب

تخليص الابريز الى تلخيص باريز

أو

الديوان النفيس بايوان باريس

رحلة العالم العلامة المشارك

النحرير الفهامة المرحوم

رفاعه بك بدوي رافع

الطهطاوي رحمه

الله آمين

آمين

(طبع على ذمة مصطفى فهمي)

(الكتبي بجوار الازهر)

سنة ١٣٢٣ هـ و ١٩٠٥ م

دار التقدم بشارع محمد علي بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان من سير أقدام الانام الى مامضى في سابق علمه * ويسر للانسان الاقدام على محتم قضائه وحكمه * فلا محيص لقوى وضعيف ووضيع وشريف * عما جرى في أم الكتاب * ولا مفر لغني وفقير وخطير وحقير عن الاقتراب الى مطوى ذلك الحجاب *أحمده سبحانه وتعالى حمد من ابتلاه فصبر * وأغناه فشكر * واشكره شكر من توجه بجنانه للسير الى مرضاته * فتنزه في رياض القبول وجناته * وأصلي وأسلم على من سارت ركائب شوقه الى مدبره * وأشارت مواكب حسن خلقه الى طيب عنصره * سيدنا محمد الذي سافر الى الشام * وهاجر الى المدينة * وسار من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وكان جبريل أمينه * وعلى آله وأصحابه وعترته وأحبابه * وأتوسل الى الحضرة العلية * بالحضرة المحمدية * في نشر ألوية العز والعدل بكمال الجاه والفضل * على سائر الاقطار المصرية * وجميع الاقاليم الحجازية والسودانية والشامية * باشراق طالع التدبير العجيب والتشييد الغريب الوزير الاعظم *والدستور المكرم المفخم* نادرة وزراء الزمان*وشارد أمراء الاوان * من أحيي العلوم باجتهاده * ونصب رسوم الاسلام بغزوه واجهاده *صاحب العلم المنيف*وفاتح الحرم الشريف * حضرة أفندينا ولى النعم * عظيم الشيم * الحاج محمد على باشا بلغه الله تعالى مايشاء وماشاء آمين *

ابقاه ربي بخير * وعزة وسعاده
بجاه خير البرايا * والآل اهل السياده

أما بعد فيقول العبد الفقير الى امداد سيده ومولاه * السائر حيث وجهه وولاه * المعتمد على الكريم النافع * رفاعة ابن المرحوم السيد بدوي رافع * الطهطاوي بلدا الحسيني القاسمي نسبا * الشافعي مذهبا. لما من الله سبحانه وتعالى علي بطلب العلم بالجامع الازهر * والمحل الانور * الذي هو جنة علم دانية الثمار * وروضة فهم يانعة الازهار كما قال استاذنا العلامة العطار *

لازم اذا رمت الفضائل مسجدا * بشموس انواع العلوم تنورا
فيه ريض العلم اينع زهرها * فلذلك المعنى تسمى الازهرا

وقال بعضهم واحسن بيتين معرضا بعلماء الحرمين *

ومن يغترب عن ازهر العلم فاينح * على بعد دار العلم والعلماء
نقيه بحور طاميات وغيره * بحور عروض لا تجود بماء

وحصلت مايسر به على الفتاح مما يخرج به الانسان من الظلام * ويمتاز به عن مرتبة العوام * وكنت من معشر جارت عليهم الايام بعد ان أجرت غيثها في ديارهم * واشارت الى نصبهم الاعوام بعد ان نصبت اعلام راحتها في مزارهم * ومن المركوز في الاسماع في القديم والحديث * وعليه الاجماع بعد الكتاب والحديث * ان خير الامور العلم * وانه اهم كل مهم * وان ثمرته في الدنيا والآخرة على صاحبه تعود * وان فضله في كل زمان ومكان مشهود * سهل لي الدخول في خدمة صاحب السعادة اولا في وظيفة واعظ في العساكر الجهاديه * ثم منها الى رتبة مبعوث في باريس صحبة الافندية

المبعوثين لتعلم العلوم والفنون الموجودة بهـذه المدينة البهيه * فلما
رسم اسمى فى جملة المسافرين * وعزمت على التوجه أشار على بعض
الاقارب والمحبين * لاسيما شيخنا العطـار فانه مولع بسماع عجائب
الاخبار والاطلاع على غرائب الاثار ان انبه على مايقع في هذه السفرة
وعلى مااراه وما اصادفه من الامور الغريبة والاشياء العجيبة * وان
اقيده ليكون نافعا في كشف القناع * عن محيا هذه البقاع * التي
يقال فيها انهـا عرائس الاقطار * وليبقى دليلا يهتدى به الى السفر
اليها طلاب الاسفار * خصوصـا وانه من اول الزمن الى الآن لم
يظهر باللغة العربيه على حسب ظنى شيء في تاريخ مدينـة باريس *
كرسي مملكة الفرنسيس * ولا فى تعريف احوالها واحوال اهلها *
فالحمد لله الذي جعل ذلك بانفاس ولي النعمة وفي عهده وبسبب عنايته
وتقويته للعلوم والفنون فما قصرت في ان قيدت فى سفرى رحلة صغيرة
نزهتها عن خلل التساهل والتحامل * وبرأتها عن زلل التكاسل
والتفاضل * ووشحتها ببعض استطرادات نافعة * واستظهارات ساطعة *
وانطقتها بحث ديار الاسلام على البحث عن العلوم البرانيـة والفنون
والصنايع فان كمال ذلك ببلاد الافرنج امر ثابت شائع * والحق احق
ان يتبع * ولعمر الله أنني مدة اقامتي بهذه البلاد في حسرة على تمتعها
بذلك وخلو ممالك الاسلام منه واياك ان تجد ماأذكره لك خارقا عن
عادتك فيعسر عليك تصديقه فتظنه من باب الهذر والخرافات * اومن
حـيز الافراط والمبالغات * وبالجملة فبعض الظن اثم * والشاهد يرى
مالا يراه الغائب واذا لم تر الهلال فسلم لاناس راوه بالابصار * وقد
اشـهدت الله سبحانه وتعالى على ان لا احيـد في جميع ما اقوله عن

طريق الحق وان افشي ماسمح به خاطري من الحكم على استحسان بعض امور هـذه البلاد وعوائدها على حسب مايقتضيه الحال ومن المعلوم اني لااستحسن الا مالم يخالف نص الشريعة المحمدية * على صاحبها افضل الصلاة واشرف التحية * وليست هذه الرحلة مقتصرة على ذكر السفر ووقايعه فقط بل هي مشتملة ايضا على ثمرته وغرضه وفيها ايجاز العلوم والصنايع المطلوبة والتكلم عليها على طريق تدوين الافرنج لها واعتقادهم فيها وتأسيسهم لها ولذلك نسبت في غالب الاوقات الاشياء التي هي محل للنظر او للاختلاف مشيرا الى ان قصدي مجرد حكايتها وقد سميت هذه الرحله تخليص الابريز في تلخيص باريز * او الديوان النفيس * بايوان باريس * وقد رتبتها على مقدمة وفيها عدة ابواب * وعلى مقصد وفيه عدة مقالات * وكل مقالة فيها عدة فصول * او كتب مشتملة على فصول وعلى خاتمة * راجع الفهرسة في اول الكتاب * وقد حاولت في تأليف هذا الكتاب سلوك طريق الايجاز وارتكاب السهولة في التعبير حتى يمكن لكل الناس الورود على حياضه * والوفود على رياضه * ولو صغر حجمه وقل جرمه * فهو مشحون بما لايحصى من فوائد الفرائد * وبما لايستقصى من جزائل الخرائد * شعر

فاذا بدا لاتستقلوا حجمه * وحياتكم فيه الكثير الطيب

واسئل الله سبحانه وتعالى ان يجعل هذا الكتاب مقبولا لدى صاحب السعادة ولي النعم * معدن الفضل والكرم * وان يوقظ به من نوم الغفلة سائر امم الاسلام من عرب وعجم * انه سميع مجيب * وقاصده لايخيب *

المقدمة

الباب الاول في ذكر مايظهر لي من سبب ارتحالنا الى هذه البلاد التي هي ديار كفر وعناد * وبعيدة عنا غاية الابتعاد * وكثيرة المصاريف لشدة غلو الاسعار فيها غاية الاشتداد * أقول ان هذا يحتاج الى تمهيد وهو أن الاصل في الانسان السذاجة والخلوص عن الزينة والوجود على أصل الفطرة لايعرف الا الامور الوجدانية ثم طرأ على بعض الناس عدة معارف لم يسبق بها وانما كشفت له بالصدفة والاتفاق أو بالالهام والايحا وحكم الشرع أو العقل بنفعها فاتبعت وابقيت مثلا كان في أوائل الزمن يجهل بعض الناس تنضيج المطعومات بالنيران لجهل النار بالكلية عندهم ويقتصرون على الغذاء بالفواكه أو بالاشياء المنضجة بالشمس أو اكل الاشياء النيئة كما هو في بعض البلاد الى الآن ثم انه حصل اتفاقا أن بعضهم رأى خروج شرارة نار من الصوان بمصادمة حديد أو نحوها ففعل مثل ذلك وقدم وأخرج النار وعرف خاصيتها وكان في الناس من يجهل الصبغ والتلوين للثياب باللون الارجواني مثلا فرأى بعضهم كلباً أخذ محارة من البحر وفتحها وأكل مافيها فاحمر حنكه وتلون بما فيها فاخذوها وعرفوا منها صناعة الصباغة بهذا اللون * كما يحكي عن أهالى صور ببر الشام وكانت الناس في أول الامر تجهل ركوب البحر ثم بالهام الهي أو باتفاق بشرى عرفوا أن من خواص الخشب السيح على وجه الماء فصنعوا السفينة ثم تبحروا في السفن وعمروها ونوعوها أنواعا فكانت أولا صغيرة للتجارات ثم ترقوا فيها حتى صلحت للجهاد والحرابات وقس على ذلك ما أشبهه من المحاربة بالسهام والرماح أولا

ثم بعد ذلك بالسلاح ثم بالمدافع والاهوان وقد كانت الناس في أول
الزمن تعبد الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك ثم بالهام الله تعالى
وبارسالة الرسل صاروا يعبدون الهاً واحداً فكلما تقادم الزمن في الصعود
رأيت تأخر الناس في الصنائع البشرية والعلوم المدنية * وكلما نزلت
ونظرت الى الزمن في الهبوط رأيت فى الغالب ترقيهم وتقدمهم في ذلك
وبهذا الترقى وقياس درجاته وحساب البعد عن الحالة الاصلية والقرب
منها انقسم سائر الخلق الي عدة مراتب * المرتبة الأولى مرتبة الهمل
المتوحشين * المرتبة الثانية مرتبة البرابرة الخشنيين * المرتبة الثالثة
مرتبة أهل الأدب والظرافة والتحضر والتمدن والتمصر المتطرقين *
مثال المرتبة الأولى همل بلاد السودان الذين هم دائماً كالبهائم السارحة
لا يعرفون الحلال من الحرام ولا يقرؤن ولا يكتبون ولا يعرفون شيئاً
من الامور المسهلة للمعاش ولا للمعاد وأنما تبعثهم الوجدانية على قضاء
شهواتهم كالبهائم فيزرعون بعض شيء أو يصيدونه لتحصيل قوتهم
ويخصصون بعض أخصاص أو خيام للتوقى من حر الشمس ونحوه
ومثال المرتبة الثانية عرب البادية فان عندهم نوعا من الاجتماع الانسانى
والاستئناس والائتلاف لمعرفتهم الحلال من الحرام والقراءة والكتابة
وغيرها وأمور الدين ونحو ذلك غير أنهم أيضاً لم تكمل عندهم درجة
الترقى فى أمور المعاش والعمران والصنايع البشرية والعلوم العقلية والنقلية
وان عرفوا البناء والفلاحة وتربية البهائم ونحو ذلك ومثال المرتبة الثالثة
بلاد مصر والشام واليمن والروم والعجم والافرنج والمغرب وسنار وبلاد
أمريكة على أكثرها وكثير من جزاير البحر المحيط فان جميع هؤلاء
الامم أرباب عمران وسياسات * وعلوم وصناعات * وشرائع وتجارات

ولهم معارف كاملة في آلات الصنايع والحيل على حمل الاشياء الثقيلة باخف الطرق ولهم علم بالسفر في البحور الى غير ذلك * وهذه المرتبة الثالثة تتفاوت في علومها وفنونها وحسن حالها وتقليد شريعة من الشريعة وتقدمها في النجامة مثلا البلاد الافرنجية قد بلغت أقصى مراتب البراعة في العلوم الرياضية والطبيعية وما وراء الطبيعة أصولها وفروعها ولبعضهم نوع مشاركة في بعض العلوم العربية وتوصلوا الى دقائقها وأسرارها كما سنذكره غير انهم لم يهتدوا الى الطريق المستقيم ولم يسلكوا سبيل النجاة أبداً وكما أن البلاد الاسلامية قد برعت في العلوم الشرعية والعمل بها وفي العلوم العقلية وأهملت العلوم الحكمية بجملتها فلذلك احتاجت الى البلاد الغربية في كسب مالا تعرفه ولهذا حكم الأفرنج بان علماء الاسلام انما يعرفون شريعتهم ولسانهم يعني مايتعلق باللغة العربية ولكن يعترفون لنا بأنا كنا أساتيذهم في سائر العلوم وبقدمنا عليهم ومن المقرر في الاذهان وفي خارج الاعيان ان الفضل للمتقدم أو ليس أن المتأخر يغترف من فضالته * ويهتدي بدلالته * وما أحسن قول الشاعر *

ومما شجاني إنني كنت نائماً * أعلل من فرط الكرى بالتنسم
إلى أن بكت ورقاء في غصن أيكة * تردد مبكاها بحسن الترنم
فلو قبل مبكاها بكيت صبابة * بسعدي شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا * بكاها فقلت الفضل للمتقدم

ويعجبني أيضاً قولهم في هذا المعنى عند المكافئة

أنا الشجاع الذي قد كنت في ظمأ * وسط الهجير على الرمضاء في الوادي
فجدت بالماء فضلا منك مبتدأ * بغير قل فأشفى غلة الصادي
هذا جزاؤك منا لا نمن به * فضلا بفضل وكان الفضل للبادي

فاننا كنا في زمن الخلفاء أكمل سائر البلاد وسبب ذلك أن الخلفاء كانوا يعينون العلماء وأرباب الفنون وغيرهم على أن منهم من كان يشتغل بها بنفسه فانظر الى المأمون بن هارون الرشيد فانه زيادة عن اعانة ميقاتية دولته كان يشتغل بنفسه بعلم الفلك * كيف وهو الذي قد حرر ميل دائرة فلك البروج على دائرة الاستوا فوجده بالامتحان ثلاثة وعشرين درجة وخمسة وثلاثين دقيقة وغير ذلك وكافضل جعفر المتوكل من العباسية فانه أعان اصطفان على ترجمة الكتب اليونانية ككتاب ذيسقوريدس في الادوية وكما قد طلب الملك عبد الرحمن الناصر صاحب الاندلس من ملك قسطنطينية المسمي ارمانيوس أن يبعث اليه رجلا يتكلم باللسان اليوناني واللاطيني ليعلم له عبيداً يكونون مترجمين عنده فبعث له راهباً يسمى بقولا الى غير ذلك * فمن هنا نفهم أن العلوم لا تنتشر في عصر إلا باعانة صاحب الدولة لأهله وفي الامثال الحكمية الناس على دين ملوكهم وقد تشتت عن الخلفاء وانهدم ملكهم فانظر الى الاندلس فانها الآن بأيدي النصارى الاسبانيول من نحو ثلاثمائة وخمسين سنة وقد قويت شوكة الافرنج ببراعتهم وتدبيرهم ومعرفتهم في الحرابات وتنوعهم واختراعهم فيها ولولا أن الاسلام منصور بقدرة الله سبحانه وتعالى لكان كلا شيء بالنسبة لقوتهم وسوادهم وثروتهم وبراعتهم وغير ذلك ومن المثل المشهور أن أعقل الملوك أبصرهم بعواقب الأمور/ولهذا تنبه ولي النعمة حفظه الله تعالى حيث ولاه الله سبحانه وتعالى على بلاد مصر القاهرة أن يرجع اليها شبابها القديم * ويحيي رونقها الرميم * فمن مبدء توليه حفظه الله سبحانه وتعالى وهو يعالج في مداواة دائها الذي لولاه كان عضالا * ويصلح فسادها الذي

قد كاد أن يكون زواله محالا ويلتجي اليه أرباب الفنون البارعة والصنائع النافعة من الافرنج ويغدق عليهم فائض نعمته حتى إن العامة بمصر بل وبغيرها من جهلهم يلومونه غاية اللوم بسبب قبول الافرنج وترحيبه بهم وانعامه عليهم جهلا منهم بأنه حفظه الله إنما يفعل ذلك لانسانيتهم وعلومهم لا لكونهم نصارى فالحاجة دعت اليه ولله در من قال

إن المعلم والطبيب كلاهما * لم ينصحا إذا لم يكرما
فاصبر لدائك ان جفوت طبيبه * واصبر لجهلك أن جفوت معلما

ولا يتأتى لانسان أن ينكر أن الفنون والصنائع بمصر قد برعت الآن بل وقد وجدت بعد أن لم تكن فما أنفقه صاحب السعادة على ذلك كان في محله اتفاقا * فانظر الى الورش والمعامل والمدارس ونحوها وانظر الى ترتيب أمر العساكر الجهادية فانه من أحسن ماصنعه صاحب السعادة وأحق ما يؤرخ من فعل الخيرات ولا يمكن ادراك ضرورية هذا النظام إلا لمن رأى بلاد الافرنج أوشاهد الوقايع وبالجملة والتفصيل فولي النعمة آماله دائماً متعلقة بالعمارات ومن الحكم المعروفة العمارة كالحيات والخراب كالموت وبناء كل ملك على قدر همته وقد سارع ولي النعمة حفظه الله تعالى في تحسين بلاده فأحضر فيها ما أمكنه احضاره من علماء الافرنج وبعث ما أمكنه بعثه من مصر الى تلك البلاد فان علماءها أعظم من غيرهم في العلوم الحكمية * وفي الحديث الحكمة ضالة المؤمن يطلبها ولو في أهل الشرك * قال بطليموس الثاني خذوا الدر من البحر والمسك من الفارة * والذهب من الحجر والحكمة ممن قالها * وفي الحديث اطلب العلم ولو بالصين ومن المعلوم أن أهل الصين وثنيون وان كان المقصود من الحديث السفر الى طلب

العلم * وبالجملة حيثما أمن الانسان على دينه فلا ضرر فى السفر خصوصاً لمصلحة مثل هـذه المصلحة * ولعل هـذا كله مطمح نظر صاحب السعادة فى هذا التسفير * فثمرة هذا السفر تحصل إن شاء الله تعالى بنشر هذه العلوم والفنون الآتية فى الباب الثاني وبكثرة تداولها وترجمة كتبها وطبعها فى مطابع ولي النعم * فينبغى لأهل العلم حث جميع الناس على الاشتغال بالعلوم والفنون والصنائع النافعة وليس هذا الزمان قابلا لأن يقال فيه كما قال بهاء الدين أبو حسين العاملى فى صرف العمر فى جمع كتب العلم وادخارها ومطالعتها فى شعره

على كتب العلوم صرفت مالك * وفى تصحيحها أتعبت بالك
وأنفقت البياض مع السواد * الى ما ليس ينفع في المعاد
تظل من المساء الى الصباح * تطالعها وقلبك غير صاح
وتصبح مولعاً من غير طائل * بتحرير المقاصد والدلائل
وتوضيح الخفا في كل باب * وتوجيه السؤال مع الجواب
لعمري قد أضلتك الهدايه * ضلالا ما له أبداً نهايه
وبالمحصول حاصلك الندامه * وحرمان الى يوم القيامه
وتذكرة المواقف والمراصد * تسد عليك أبواب المقاصد
فلا ينجي النجاة من الضلاله * ولا يشفى الشفاء من الجهاله
وبالارشاد لم يحصل رشاد * وبالتبيان ما بان السداد
وبالايضاح أشكلت المدارك * وبالمصباح أظلمت المسالك
وبالتلويح ما لاح الدليل * وبالتوضيح مااتضح السبيل
صرفت خلاصة العمر العزيز * على تنقيح أبحاث الوجيز
بهذا الامر صرف العمر جهل * فقم واجهد فما في الوقت مهل

ودع عنك الشروح مع الحواشي * فهن على البصائر كالغواشي

وقوله

أيها القوم الذي في المدرسه * كلما حصلتموه وسوسه

فكركم ان كان في غير الحبيب * ماله في النشأة الاخرى نصيب

فاغسلوا بالراح عن لوح الفؤاد * كل علم ليس ينجي في المعاد

﴿ الباب الثاني من المقدمة ﴾

يتعلق بالعلوم والفنون المطلوبة ولنذكر لك هنا الصنائع المطلوبة لتعرف أهميتها ولزومها في أي دولة من الدول وهذه الفنون إما واهية في مصر أو مفقودة بالكلية وهي قسمان قسم عام للتلامذة وهو الحساب والهندسة * والجغرافيا * والتاريخ * والرسم * وقسم خاص متوزع عليهم وهو عدة علوم العلم الاول * علم تدبير الامور الملكية ويتشعب عنه عدة فروع * الحقوق الثلاثة التي يعتبرها الافرنج وهي الحقوق الطبيعية * والحقوق البشرية * والحقوق الوضعية * وعلم أحوال البلدان ومصالحها وما يليق بها * وعلم الاقتصاد في المصاريف * وعلم تدبير المعاملات * والمحاسبات * والخازندارية * وحفظ بيت المال * العلم الثاني * علم تدبير العسكرية * العلم الثالث * علم القبطانية والامور البحرية العلم الرابع * فن معرفة المشي في مصالح الدول * يعني علم السفاره ومنه الايلجية وهي رسالة البلدان وفروعه معرفة الالسن والحقوق والاصطلاحات * العلم الخامس فن المياه وهو صناعة القناطر والجسور والارصفة والفساقي ونحو ذلك * العلم السادس الميكانيقا وهو آلات الهندسة وجر الاثقال * العلم السابع هندسة العساكر العلم الثامن * فن الرمي بالمدافع * وترتيبها وهي فن

الطبجية * العلم التاسع * فن سبك المعادن لصناعة المدافع والاسلحة *
العلم العاشر علم الكيميا وصناعة الورق والمراد بالكيميا معرفة تحليل
الاجزاء وتركيبها * ويدخل تحتها امور كثيرة كصناعة البارود والسكر *
وليس المراد بالكيميا حجر الفلاسفة كما يظنه بعض الناس فان هذا
لا تعرفه الافرنج ولا تعتقده اصلا * العلم الحادي عشر * فن الطب
وفروعه فن التشريح والجراحة وتدبير الصحة * وفن معرفة مزاج
المريض * وفن البيطرة اي معالجة الخيل وغيرها * العلم الثاني عشر *
علم الفلاحة وفروعها معرفة انواع الزروع وتدبير الخلا بالبناء اللايق
به وغيرها * ومعرفة ميخصه من آلات الحراثة المدبرة للمصارف *
العلم الثالث عشر * علم تاريخ الطبيعيات وفروعه مرتبة النباتات ومرتبة
المعادن * العلم الرابع عشر * صناعة النقاشة وفروعها فن الطباعة وفن
نقش الاحجار ونحوها * العلم الخامس عشر فن الترجمة يعني ترجمة
الكتب وهو من الفنون الصعبة خصوصا ترجمة الكتب العلمية فانه
يحتاج الى معرفة اصطلاحات اصول العلوم المراد ترجمتها فاذا نظرت
بعين الحقيقة رأيت سائر هذه العلوم المعروفة معرفة تامة لهؤلاء الافرنج
ناقصة او مجهولة بالكلية عندنا ومن جهل شيئا فهو دون من اتقن ذلك
الشيء وكلما تكبر الانسان عن تعلمه شيأ مات بحسرته فالحمد لله الذي
قيض ولي النعمة لانقاذنا من ظلمات جهل هذه الاشياء الموجودة
عند غيرنا واظن ان من له ذوق سليم وطبع مستقيم يقول كما اقول وسأذكر
بعضها بالاختصار في آخر الكتاب ان شاء الله تعالى وهو المستعان

﴿ الباب الثالث من المقدمة ﴾

في ذكر وضع البلاد الافرنجية ونسبتها الى غيرها من البلاد ومزية الامة الفرنساوية على ماعداها من الافرنج وتبيين تخصيص صاحب السعادة لها بارسالنا فيهادون ماعداها من ممالك الافرنج فنقول * اعلم ان الجغرافيين من الافرنج قسموا الدنيا من الشمال الى الجنوب ومن المشرق الى المغرب خمسة اقسام وهي بلاد أوربا بضم الهمزة والراء وتشديد الباء * وبلاد آسيا بكسر السين وبلاد الافريقية * وبلاد الامريكية * وجزائر البحر المحيط * فبلاد أوربا محدودة جهة الشمال بالبحر المنجمد المسمى بحر الثلج الشمالي * وجهة الغرب بحر الظلمات المسمى البحر المظلم والبحر الغربي وجهة الجنوب بحر الروم المسمى البحر المتوسط والبحر الابيض وبلاد آسيا * وجهة الشرق بحر الخزر بضم الخاء والزاي المسمى بحر جرجان وبحر طبرستان * وبلاد آسيا * فحينئذ بلاد أوربا تقال على بلاد الافرنج وبلاد الاروام * وبلاد قسطنطينيه * وبلاد الخزر والبلغار بضم الباء وفتح الغين * والافلاق والسرب وغيرها وهي نحو ثلاثة عشر ارضا اي ولاية اصلية اربعة منها في الشمال وهي بلاد الانكليز وبلاد دنيمرق بكسر النون وفتح الميم وسكون الراء وبلاد اسوج بفتح الهمزة وسكون السين وكسر الواو وبلاد الموسقووستة في الوسط وهي بلاد الفلمنك بفتح الفاء واللام والميم وسكون النون وبلاد الفرنسيس وبلاد السويسة بضم السين الاولى مع التشديد وكسر الواو وبلاد النمسة وبلاد البروسة بضم الباء وبلاد جرمانية المتعاهدة بكسر الجيم وسكون الراء وكسر النون وثلاثة في الجنوب وهي بلاد اسبانيا مع البرتوغال

وبلاد ايطاليا وبلاد الدولة العلية العثمانية في بلادأربا وهي بلاد الاروام والارناؤط والبشناق بضم الباء وسكون الشين والسرب بالباء اوالفاء والبلغار والافلاق والبغدان بضم الباء وسكون الغين فمن ذلك تعلم ان تفسير بعض المترجمين بلادأوربا ببلادالافرنج فيه قصور اللهم الاان يكون بلاد الافرنج تطلق على مايعم بلاد الدولة العلية ولكن يناقض ذلك ان الدولة العثمانية يقصرون بلاد افرنجستان على ماعدا بلادهم من بلادأوربا ويسمون بلادهم ببلادالروم وان كانوا يسمون أيضاً فى لفظ الروم فيريدون به مايعم بلاد الافرنج وبعض البلاد الداخلة في حكمهم من بلاد أسيا وبلاد أسيا محددة أيضاً جهة الشمال بالبحر المنجمد الشمالى وجهة الغرب ببلادأوربا والافريقية وجهة الجنوب ببحر الهند وبحر الصين وجهة الشرق ببحر الجنوب المحيط وببحر بهرنغ بكسر الباء وسكون الهاء وفتح الراء وسكون النون وبالغين أو الكاف وهي تنقسم أيضاً الى عشرة أراض أصلية واحدة جهة الشمال وهي بلاد سبير بكسر السين والباء وسبعة في الوسط وهي بلاد الدولة العلية العثمانية التي هي الشام وأرمنية وكردستان وبغداد والبصرة وقبرص وغيرها وبلاد العجم وبلاد بلوجستان بضم الباء وسكون السين وبلاد قابولستان بكسر اللام وسكون السين وأفغانستان بفتح الهمزة وسكون الفاء وفتح الغين وكسر النون وسكون السين وبلاد التتار الاكبر وبلاد الصين وبلاد يابونيا بكسر النون واثنان في الجنوب وهي بلاد العرب وبلاد الهند فبلاد الحجاز وبلاد الوهابية تحت حكم الدولة العلية وبلاد اليمن تحت حمايتها وبلاد عمان مستقلة وكلها أقاليم جزيرة العرب فهذه هي ولايات أسيا ثم بلاد أفريقية وهي محددة جهة الشمال ببحر الروم وجهة الغرب بالبحر الاطلنطيقي بفتح الهمزة وسكون

بالطاء وفتح اللام وسكون النون المسمي بحر الظلمات وجهة الجنوب بالبحر المحيط الجنوبي وجهــة الشرق ببحر الهند وببغاز باب المنــدب وبحر القلزم المسمى البحر الاحمــر وببــلاد العرب ويمكن تقسيم الافريقية الى ثمانيــة أراض أصلية اثنتان في الشمال وهي بلاد المغــاربة وبلاد مصر وأربعة في الوسط وهي السينيغمبية بكسر السين والنون وفتح الغين المعجمة وسكون النون وكسر الياء وبلاد الزنج وبلاد النوبة وبلاد الحبشة واثنتان في الجنوب وهما بلاد غينيا بالغين المكسورة أو الكاف وبلاد كفريرية فهذا مايسمى الآن عند الافرنج بلاد أفريقية وان كانت أفريقية في الاصل بلدة معلومة جهة تونس وبلادها ماحوالها ثم أضيف الى بلاد أوربا متقاربها من الجزائر وكذلك لبلاد أسيا وأفريقية وهذه الاقسام الثلاثة يعني أوربا وأسيا وإفريقية تسمي الدنيا القديمة أو الارض القديمة يعني المعروفة للقدما وأما بلاد الامريكة أو أمريكية بالكاف أو القاف فهي تسمى الدنيا الجديدة وتسمى أيضاً الهند الغربي وتسمى بالعربية عجائب المخلوقات وهي انما عرفت للافرنج بعد تغلب النصارى على بلاد الاندلس واخراج العرب منها ويتصــل بلاد الامريكة بســتة بحور فيتصل بها من جهة الشمال البحر المحيط المنجمد وبحر بافين ومن جهة الشرق ببحر الظلمات وبحر جزائر الانتيله وبالبحر المحيط الاكبر المسمى أقيانوس وبحر بهرنغ جهة الغرب وهي قسمان الامريكية الشماليه والامريكية الجنوبية فالامريكة الشمالية ستة أراض أصلية وهي الامريكة الروسية أو المحكومة بالموسقو وبلاد أغرونلند بضم الهمزة وسكون الغين المعجمة ثم راء مضمومة يليها واو مفتوحة ثم نون ساكنة فلام مفتوحة فنون ساكنة ثم دال مهملة وبلاد إبرطانية الجديدة بكسر الهمزة وسكون الباء

وكسر الراء والنون أو بلاد الانجليز الجديدة وبلاد الايتازونيا بكسر الهمزة والنون وهي الاقاليم المجتمعة وبلاد مكسيك بفتح الميم وسكون الكاف وكسر السين وبلاد غواتيملا بضم الغين وفتح الميم والامريكة الجنوبية تسعة أراض أيضاً وهي بلاد كانبيا بضم الكاف واللام وسكون النون وكسر الباء وبلاد غيانه بكسر الغين وبلاد ابريزيله بسكون البـاء وبلاد يره بكسر الباء وضم الراء وبلاد بولويه بضم الباء وسكون الواو الاولى وكسر الثانية المسمات روا العليا وبلاد براغية بفتح الباء وبلاد بلاطة وبلاد شلى بكسر الشين وتشديد اللام المكسورة وبلاد بتاغونيا بفتح الباء والتاء وضم الغين وكسر النون وأما جزاير البحر المحيط فانها غربى بلاد الامريكة وعلى الجنوب الشرقى من بلاد أسيا وهي محددة من سائر جهاتها بالبحر المحيط وهي ثلاثة أجزاء أصليه النوتازية بضم النون المشددة وكسر الزاي وتشديد الياء المفتوحة والأستورالية بضم الهمزة وسكون السين وضم التاء وكسر اللام والبوليتيزية بضم الباء وكسر اللام والنون والزاي * ثم بلاد أوروبا فيها أربع بنادر أصلية مشهورة بالتجارة اسلامبول تخت الدولة العلية ولوندرة بضم اللام وسكون النون وفتح الدال تخت بلاد الانكليز وباريز تخت بلاد الفرنسيس ونابلى بضم الباء ببلاد ايطاليا والبنادر الاصلية ببلاد اسيا اربعـة أيضا بكين بكسر الباء والكاف قاعدة بلاد الصـين وقلقوطا بفتح القاف واللام وضم القاف قاعدة بلاد الهند والتي تحت حكم الانكليز وصورة ببلاد الهند أيضا ويقال هي التي كانت تسمى المنصورة ومياقو بكسر الميم وضم القاف في بلاد جزيرة يابونيا بضم الباء وكسر النون وهي بلاد الفرفور والبنادر الاصلية ببلاد الافريقية اربعة القاهرة قاعدة حاكم مصر وسنار

قاعدة حاكم بلاد النوبة والجزاير وتونس بلاد المغاربة والبنادر الاصلية ببلاد امريكية الشمالية هي مكسيكو ببلاد مكسيك ونويرق بضم النون والياء وسكون الراء في بلاد لايتازونيا وفيلاد لفيا بكسر الفاء والدال وسكون اللام وكسر القاف وفتح الياء ومدينة وسهنغتون بسكون السين وكسر الهاء ثم نون ساكنة بعدها غين مكسورة واربعة في امريكة الجنوبيــة وهي ريوجانير بكسر الراء وضم الياء وكسر النون في بلاد ابريزيله بكسر الباء والراء وبنوسيرس بفتح الباء وكسر السين والراء في بلاد بلاطة بفتح الباء وليمة بكسر اللام في بلاد بروقيطو بكسر القاف وسكون الياء وضم الطـاء في بلاد غرناطه الجديدة وفي بلاد البحر المحيط بندر ان شهير ان وهما مدينــة بتاويا بفتح الباء ومدينة مانيلة وبندر جزيرة جاوة ثم ان بلاد الافرنج اغلبها نصاري او كفرة وبلاد الدولة العلية هي بلاد الاسلام بهذه القطعة واما بلاد آسيا فانهـا منبع بلاد الاسلام بل وسائر الاديان وهي اوطان الانبياء والمرسلين وبهـا نزلت سائر الكتب السماوية وهي تتضمن اشرف الاماكن والارض المباركة والمســاجد التي لاتشد الرحال الا اليها وفيها منشأ ومضم عظام سيد الاولين والآخرين والصحابة وهي منشأ الائمة الاربعة رضي الله تعالى عنهــم لان منشأ الامام الشافعي رضي الله عنه غزة ومنشأ الامام مالك رضي الله عنه المدينــة المشرفة ومنشأ الامام الاعظم أبي حنيفة النعمان الكوفة ومنشأ الامام احمد بن حنبل بغداد التي كانت كما قيل في أيام الخلفاء بالنسبة للبلاد كالاستاذ في العباد وكلها من بلاداسيا وبها يعني ببلاد اسيا العرب وهم افضل القبائل على الاطلاق ولسانهم افصح الالسن باتفاق وفيهم بنواهاشم الذين هم ملح الارض وزيدة المجد ودرع

الشرف ومما يدل على فضلها ان بها الاماكن المفضلة كالقبلة التي يجب على كل انسان ان يتوجه اليها خمس مرات في اليوم والليلة والمدينتان اللتان نزل بهما القرآن العظيم ففضائلها لاتحصى وأثار اهلها لاتستقصى قال بعض اهلها

عطفة ياجيرة العلم * ياأهيل الجود والكرم
نحن جيران لذا الحرم * حرم الانسان والحسن
نحن قوم به سكنوا * وبه من خوفهم أمنوا
وبآيات الكتاب عنوا * فاتئد فينا اخا الوهن
نعرف البطحا وتعرفنا * والصفا والبيت يألفنا
ولنا المعلى وخيف منا * فاعلمن هذا وكن وكن
ولنا خير الانام اب * وعلى المرتضى حسب
والى السبطين ننتسب * نسبا مافيه من دخن

ومع ان الاسلام قد تولد فيها وانتشر منها الى غيرها ففيها جزؤ عظيم باق على الكفر كبلاد الصين وبعض بلاد الهند ومنها جزؤ سالك في اسلامه طريق الضلال كروافض العجم واما بلاد افريقية فانها تشتمل على اعظم البلاد كبلاد مصر التي هي من اعظم البلاد واغمرها وهي أيضا عش الاولياء والصلحاء والعلماء وكبلاد المغرب التي اهلها اهل صلاح وتقى وعلم وعمل وان شاء الله يمتد بها الاسلام عند كفار السودان بانفاس ولي النعمة حفظه الله تعالى واما امريكة فهي بلاد كفر وذلك انها كانت عامرة في الاصل بهمل عبدة الاصنام فتغلب عليها الافرنج لما قويت شوكتهم في الفنون الحربية ونقلوا اليها جماعة من بلادهم وارسلوا اليها قسيسين فتنصر كثير من اهلها فالان بلاد

امريكة غالبها نصاري الا الهمل فيهم وثنيون ولم يوجد بها دين الاسلام وسببه قوة الافرنج في علم ركوب البحر ومعرفتهم العلوم الفلكية والجغرافية ورغبتهم فى المعاملات والتجارات وحبهم للسفر قال الشاعر

ان العلا حدثتني وهى صادقة * فيما تحدث ان العز في النقل
لوكان فى شرف المأوى بلوغ منى * لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل

وقال آخر

قلقل ركابك للفلا * ودع الغواني والقصور
فمحالفوا أوطانهم * أمثال سكان القبور
لولا التغرب ما ارتقت * درر البحور الى النحور

وقال الحريري

لجوب البلاد مع المتربة * أحب الى ألى من المرتبة

وقال غيره

قم واغترب في البلاد مجتهداً * فمن نوى في بلاده هانا
كبيدق لايزال محتقراً * حتى اذا سار صار فرزانا

وقال

أنفق من الصبر الجميل فانه * لم يخش فقراً منفق من صبره
والمرء ليس ببالغ في أرضه * كالصقر ليس بصائد فى وكره

ومن المعلوم أن الدر والمسك لايشرفان مالم يفارقا وطنهما ومعدنهما وكل هذا لاينافي ان حب الوطن من شعب الايمان لان المقصود السياحة والاخذ في أسباب طلب الرزق وهذا لايمنع من تعلق الانسان بوطنه ومسقط رأسه فان هذا أمر جبلي قال الشاعر

يابعيد الدار عن وطنه * مفرداً يبكي على شجنه

كلما جد الرحيل به * زادت الاسقام في بدنه

وقال غيره

ولقد زاد الفؤادشجي* طائر يبكي على فننه
شفه ماشفني فبكي * كلنا يبكي على سكنه

ولا ينافي أيضاً هذا الامر مادة التوكل والاعتماد على المولى كما يفهم من كلام الشاعر في قوله

لقد علمت وما الاسراف من خلقي * أن الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسعى اليه فيعييني تطلبه * ولو قعدت أتاني لايعييني

وقول الآخر

اقنع بأيسر رزق أنت نائله * واحذر ولا تتعرض للارادات
فما صفى البحر الا وهو منتقص * وما تكدر الا في الزيادات

فان هذا معناه التسلية لمن لايحب الاسفارا والنهي عن السفر للطمع وأما بلاد جزائر البحر المحيط فانها قد فتح كثير منها بالاسلام كجزيرة جاوه بفتح الواو فان أهلها مسلمون وبالجملة فبلاد التوتازيه أغلبها اسلام وندر وجود دين النصرانية فيها ومن ذلك كله تعلم أنه يمكن أن أقسام الدنيا الخمسة يصح تفضيل بعضها على بعض يعني تفضيل جزء بتمامه على الآخر بتمامه بحسب مزية الاسلام وتعلقاته فحينئذ تكون أسيا أفضل الجميع ثم تليها أفريقية لعمارها بالاسلام والاولياء والصلحاء خصوصاً باشتمالها على مصر القاهرة ثم تليها بلاد أوروبا لقوة الاسلام ووجود الامام الاعظم امام الحرمين الشريفين سلطان الاسلام فيها ثم بلاد الجزائر البحرية لعمارها بالاسلام أيضاً مع عدم تبحرها في العلوم كما هو الظاهر فادني الاقسام بلاد أمريكة حيث لاوجود للاسلام بها أبداً هذا

مايظهر لي والله أعلم بالصواب وهذا كله بالنظر للاسلام والامور الشرعية والشرف الذاتي فان المراد بالشرف مايعم الشرعى وغيره فلا يقال أن أغلب ذلك من باب المزية وهي وحدها لاتستدعي أفضلية ولاينكر منصف ان بلاد الافرنج الآن فى غاية البراعة في العلوم الحكمية وأعلاها فى التبحر • من ذلك بلاد الانكليز والفرنسيس والنمسا فان حكماءها فاقوا الحكماء المتقدمين كارسطاطاليس وأفلاطون وبقراط وأمثالهم واتقنوا الرياضيات والطبيعيات والالهيات وما وراء الطبيعيات أشد اتقان وفلسفتهم أخلص من فلسفة المتقدمين لما أنهم يقيمون الأدلة على وجود الله تعالي وبقاء الارواح والثواب والعقاب فأعظم مدائن الافرنج مدينة لوندرة وهى كرسي الانكليز ثم باريز وهي قاعدة ملك فرانسا وباريز تفضل على لوندرة بصحة هوائها كما قيل وطبيعة الاهل وبقلة الغلا التام واذا رأيت كيفية سياستها علمت كمال راحة الغرباء فيها وحظهم وانبساطهم مع أهلها فالغالب على أهلها البشاشة في وجوه الغرباء ومراعاة خاطرهم ولو اختلف الدين وذلك لان أكثر أهل هذه المدينة أنما له من دين النصرانيه الاسم فقط حيث لايتبع دينه ولا غيرة له عليه بل هو من الفرق المحسنة والمقبحة بالعقل أو فرقة من الاباحيين الذين يقولون ان كل عمل يأذن فيه العقل صواب فاذا ذكرت له دين الاسلام فى مقابلة غيره من الاديان أثني على سائرها من حيث انها كلها تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر واذا ذكرته له في مقابلة العلوم الطبيعية قال أنه لايصدق بشئ مما في كتب أهل الكتاب لخروجه عن الامور الطبيعية وبالجملة ففي بلاد الفرنسيس يباح التعبد بسائر الاديان فلا يعارض مسلم

في بنائه مسجداً ولا يهودي في بنائه بيعة الى آخره كما سيأتي في ذكر سياستها ولعل هذا كله هو علة تخصيص ولي النعمة لها بارساله فيها ابلغ من أربعين نفساً لتعلم هذه العلوم المفقودة بل سائر ممالك النصارى تبعث أيضاً اليها فيأتي اليها من بلاد أمريكه وغيرها من الممالك البعيدة وقد بعث حفظه الله عدة للعلوم ببلاد الانكليز لكنهم ليسوا عديدين وبالجملة فسائر الامم تطلب العز وتسعى اليه كما قال الشريف الرضى أطلب العز فما العز بغال * ولا اعز من العلوم والفنون تطلبها الملوك فانه كلما كان الملك اجل خطرا وجب ان يكون ادق نظرا

﴿ الباب الرابع من المقدمة في ذكر رؤساء هذه السفرة ﴾

قد بعث صاحب السعادة في السفر الى بلاد فرانسا ثلاثة رؤساء من أكابر ديوانه السعيد وجعلهم ارباب نظر عام على من عداهم وهم على هذا الترتيب فاولهم صاحب الرأي التام * والمعرفة والاحكام * حائز فضيلتي السيف والقلم * والعارف برسوم العرب والعجم * حضرة جناب عبدي افندي المهر دار * والثاني صاحب الرأي السديد والطالع السعيد * من خلع في حب المعالي العذار حضرة مصطفى مختار أفندي الدويدار * والثالث الحاوي بين العلم والعمل * والبراع والأسل * حضرة الحاج حسن أفندي الاسكندراني بلغه الله في الدارين الاماني * أمين * ثم ان حضرة الأفندية الثلاثة يتعلمون أيضا كالباقي فحضرة الافندي المهر دار سابقا يشتغل بعلم تدبير الامور الملكية وحضرة الافندي الدويدار سابقا يشتغل بعلم تدبير الامور العسكرية وحضرة الحاج حسن افندي يشتغل بعلم القبطانية والهندسة البحرية ولسائر

الثلاثة اجتهاد زائد وتحصيل بالغ مع ان الامرة في الغالب تأنف ذلك وقد كان حكم هؤلاء الثلاثة بالتوبة فكانت نوبة الواحد يوما والآخر يوما آخر وهكذا فآل الامر الى ان صارت شهرا شهرا ثم صار الافندي المهر دار وحده ثم ان حضرة الأفندية الثلاثة كان معهم في تدبير الدروس جناب مسيو جومار الذي ولاه صاحب السعادة ناظرا على الدروس وهو احد علماء الانستتوت بفتح الهمزة وسكون النون وكسر السين اي مشورة العلوم واكابرهم والذي يتراءي في طبعه حب حضرة صاحب السعادة وخدمته بنصح ويشاهد منه دائما انه يرغب في الاعتناء بمصالح مصر من جهة نشر المعارف والعلوم فيها بل وفي سائر بلاد الافريقية كما يفهم ذلك من حاله ومما قاله في طالعة رزنامته التي الفها سنة الف ومائتين واربعة واربعين من الهجرة وشهرة معارف مسيو جومار وحسن تدبيره يوقع فى نفس الانسان من اول وهلة تفضيل القلم على السيف لأنه يدبر بقلمه مالا يدبر غيره بسيفه الف مرة ولا عجب فبالاقلام تساس الاقاليم وهمته في مصالح العلوم سريعة كثيرة التأليف والاشتغال والغالب ان هذه الخصلة في سائر علماء الافرنج فان مثل الكاتب كالدولاب اذا تعطل تكسر وكالمفتاح الحديد اذا ترك ارتكبه الصداء وجناب مسيوجومار يشتغل بالعلوم اناء الليل واطراف النهار وسيأتي ذكره عدة مرات وسنذكر لك عدة من مكاتيبه التى وصلت بيدي ان شاء الله تعالى وهنا انتهت المقدمة

المقصد

فى مدة السفر من مصر الى باريس وما رأيناه من الغرائب في

الطريق و مدة الاقامة في هذه المدينة العامرة بسائر العلوم الحكمية والفنون والعدل العجيب والانصاف الغريب الذي يحق ان يكون من باب أولي في ديار الاسلام وبلاد شريعة النبي صلى الله عليه وسلم وهذا المقصد يتضمن عدة مقالات تشتمل على عدة فصول

المقلة الاولى * فيما كان من الخروج من مصر الى دخول مدينة مرسيليا التي هي فرضة من فرضات الفرانسيس وفيها عدة فصول

المقلة الثانية * فيما كان من دخول مرسيليا الى دخول مدينة باريس وفيها فصلان

المقالة الثالثة في دخول باريس وذكر جميع ماشاهدناه وما بلغنا خبره من احوال باريس وهذه المقلة هي الغرض الاصلي من وضعنا هذه الرحلة ولذلك اطنبنا فيها غاية الاطناب وان كان جميع هذا لا يفي بحق هذه المدينة بل هو تقريبي بالنظر لما اشتملت عليه وان استغرب هذا من لم يشاهد غرائب السياحة قال بعضهم

من لم ير الروم ولا اهلها * ماعرف الدنيا ولا الناس

فمن باب اولى بلاد افرنجستان

المقالة الرابعة في ذكر نبذ من العلوم والفنون المذكورة في الباب الثاني من المقدمة

* المقالة الاولى *

الفصل الاول في الخروج من مصر الى دخول ثغر اسكندرية

كان خروجنا من مصر عصر يوم الجمعة الذي هو ثامن يوم من شعبان سنة احدي وأربعين ومأتين بعد الالف من الهجرة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام * فتفاءلت بان عقب هذا الفراق يحصل

الاجتماع وأن التسليم سيقوم مقام الوداع * فركبنا زوارق صغيرة وتوجهنا الي اسكندرية وأقمنا على ظهر النيل المبارك أربعة أيام ولا فائدة لذكر بعض البلاد والقري التي رسينا عليها * وكان دخولنا اسكندرية يوم الاربعاء ثالث عشر يوما من شهر شعبان فمكثنا فيها ثلاثة وعشرين يوما في سراية ولى النعمة * وكان خروجنا الي البلد في هذه المدينة قليلا فلم يسهل لي ذكر شيء عليها غير انه ظهر لى أنها قريبة الميل في وضعها وحالها الى بلاد الأفرنج وان كنت وقتئذ لم أر شيئاً من بلاد الافرنج أصلا وأنما فهمت ذلك مما رأيته فيها دون غيرها من بلاد مصر ولكثرة الافرنج بها وبكون أغلب السوقة يتكلم ببعض شيء من اللغة الطليانية ونحو ذلك وتحقق ذلك عندي بعد وصولى الي مرسيليا فان اسكندرية عينة مرسيلية وأنموزجها

﴿ الفصل الثاني ﴾

في ذكر نبذة تتعلق بهذه المدينة لخصناها من عدة كتب عربية وفرنساوية وذكرنا ماظهر لنا صحته * فنقول أن اسكندرية منسوبة الى اسكندر ابن الفيلسوف بفتح الهمزة وهو الذي قتل دارا وملك البلاد * والاسكندرية ستة عشر بلدا منسوبة اليه منها بلدة ببلاد الهند وبلدة بارض بابل وبلدة بشاطئ النهر الاعظم وبلدة بصفد سمرقند وبلدة بمرو واسم لمدينة بلخ والثغر الاعظم ببلاد مصر وقرية بين حماه وحلب وقرية على دجله قرب واسط منها الاديب أحمد بن المختار بن مبشر وقرية بين مكة والمدينة وبلدة في مجاري الانهار بالهند وخمس مدن اخر انتهي * ومرو بلدة من خراسان ببلاد الفرس والنسبة اليها

مروى ومروزي وانظر ما مراده بالنهر الاعظم ثم رأيت في كتاب تقويم البلدان لعماد الدين أبي الفدا اسماعيل بن ناصر سلطان حماه أن بالاندلس نهراً يسمى بالنهر الاعظم وهو نهر اشبيلية ونص عبارته ومنها نهر اشبيلية من بلاد الاندلس ويسمي عند أهل الاندلس النهر الاعظم انتهى ولعله انما سمى عندهم بالنهر الاعظم لامتيازه بحادثة المد والجزر كما نبه على ذلك أبوا الفدا في قوله يدخله المد والجزر عندمكان يسمى الارحا — لا تزال فيه المراكب منحدرة مع الجزر صاعدة مع المد وقال بعضهم في المد والجزر

خليلي بادر بي الى النهر بكرة * وقف منه حيث المدينثني عنانه
ولا تجز الارحا فان وراءها * يبابا وعيني لا تريد عيانه

انتهى فعلى هذا تكون اسكندرية اسم بلدة بالاندلس * ولعل اسكندر حين اجتيازه بجزيرة الاندلس بني بها بلدة *وذكر صاحب كتاب انشق الازهار في عجائب الاقطار ان اسكندر ذا القرنين اجتاز بلاد الاندلس وفتحها بغاز جبل الطارق المسمى بحر الزقاق وان محل هذا البغاز كان ارضا بين طنجة وبلاد الاندلس ولم يذكر في هذا الموضع ان اسكندر بني بلدة بهذه الجزيرة لكن هذا لايدل على عدم وجود بلدة بها * وظاهر عبارتهم انه يوجد اثنان كل منهما يسمي الاسكندر احدهما اسكندر ابن فيلسوف والأخر بفتح الهمزة هو قاتل دارا وقال في القاموس في موضع اخر ذو القرنين اسكندر الرومي لانه لما دعاهم الى الله تعالى ضربوه على قرنه فاحياه الله تعالى ثم دعاهم فضربوه على قرنه الأخر فمات ثم أحياه الله او لانه بلغ قطري الارض او لضفيرتين له انتهى فظاهر كلامه ان اسكندر ذا القرنين هو نفس اسكندر الرومي * والذي

عليه علماء الشرق ان ذا القرنين المذكور في الاية الشريفة هو غير اسكندر اليوناني فان الاول اقدم من الثاني وهو الذي قيل بنبوته وانه بني سدياجوج وما جوج وانه بحث عن ماء الحياة بلا طائل وفاز به الخضر عليه السلام فلذلك كان حيا الى الآن * واما الثاني فانه يسمى اسكندر الرومي او اليوناني يعني الاغريقي لأن قدماء الاغارقة تسمى اليونان والمتأخرون يشتهرون باسم الاروام * واما الافرنج فلا يقولون الا بوجود اسكندر الاكبر ابن فليبش او ابن فيلبوش المقدوني ويجعلونه عين مايعبر عنه في التواريخ العربية باسم اسكندرذي القرنين وينسبون اليه سائر مايحكى عنه من العجائب كسد ياجوج وماجوج ونحو ذلك غير انهم لايصدقون بما لايوافق للعادة * وعلى كل حال فقد اتفق كلام العلماء وحكماء الافرنج على ان اسكندرية تنسب الى اسكندر الرومى * وقد سلف في عبارة القاموس اسماء البلاد التي تسمى باسكندرية وليس مما ينسب الى اسكندر الرومي الشهير بلدة الارناؤط المسماة اسكندر ياسي يعنى اسكندرية بل هي منسوبة الى اسكندر بيك * وقال بعضهم مدينة اسكندرية ببر مصر كانت تسمى قبل بناء الاسكندر لها بنحو ثلاثمائة واثنين قبل ظهور عيسى عليه السلام قيسون بفتح القاف وسكون الياء * وقال الافرنج انها كانت تسمى نوبضم النون وقبل فتحها بالاسلام كانت تارة تحت حكم الرومان وتارة تحت حكم الاروام او اليونان * وفتحها عمرو بن العاص بأمر عمر بن الخطاب ولما فتحها عمرو بن العاص كتب الى عمر رضي الله عنهما انه وجد بها اربعة الاف قصر واربعة الاف حمام واربعين الف يهودي تدفع الجزية واربعمائة ميدان واثنى عشر الف بقال وخضري وفاكهاني ولعل هذا من مبالغات

المؤرخين كما بالغوا في غيرها من البلاد كمدينة بغداد * ومن عجائب مافيها خزانة الكتب التي حرقها عمرو بن العص رضي الله تعالى عنه فكانت عدة مافيها من الكتب سبعمائة الف مجلد وقد كان اهل هذه المدينة في سالف الزمان ثمانمائة الف نفس تقريبا واهلها الآن اقل من ذلك بكثير وقد تغلب عليها الفرنسيس ثم اخرجهم الانكليز منها ورجعت الى يد الاسلام وهي الآن يلوح عليها انوار العمارات بانفاس صاحب السعاده وبها بهجة التجاره كما انها كانت في الزمن السابق مركزا للتجارات وصارت في هذا دار إقامة صاحب السعادة بها اغلب الاوقات وهي اشبه وضعا وعمارة بفرضات الافرنج وهي على الشمال الغربي من القاهرة بنحو خمسين فرسخا موضوعة في احدى وثلاثين درجة وثلاثة عشر دقيقة من العرض يعني درجة البعد عن خط الاستوا وسيأتي ذكر المسافة بينها وبين باريس

﴿ الفصل الثالث ﴾

في ركوب البحر المالح المتصل بثغر سكندرية * اعلم ان هذا البحر يسمى في كتب الجغرافيا العربية بحر الروم لأنه يتصل احد جهاته ببلاد الروم ويسمى ايضا فيها بحر الشام لمجاورته ايضا لبلاد الشام ويسمى أيضا عند الافرنج البحر المتوسط او الجواني وانما سمى بذلك لأنه داخل الاراضي الناشفة بخلاف البحر المحيط فانه محيط بجميع الاراضي حتى قال بعضهم انه متواصل الجريان تحت الاراضي العالية على سطح مائه وان حقق بعضهم خلافه لوجود الاراضي اليابسة تحت سطحه كبعض اراضي الموسقو * ويسمى هذا البحر الجواني باللسان

الترکی بحر صفید والبحر الابیض لمقابلته بحر بنطش او البحر الاسود. وهناك بحر آخر يسمى بالبحر الابيض وهو في بلاد الموسقو وهو المراد بالبحر الابيض في اطلاقات علماء الجغرافيا — كان ركوبنا هذا البحر عصر يوم الاربعا خامس يوم من رمضان وقدامتطينا سفينة حرب فرنساوية لاتغادر في فؤاد الانسان رعبا * وزينة صناعة تجذب قلب الراكب حتى يصير في وسطها صبا * محتوية على سائر مايحتاج اليه من الحرف والصنائع * مشتملة على آلات الحروب وعلى الجربجية ومحصنة بثمانية عشر من المدافع * وكان مجراها يوم الخميس سادس يوم من شهر رمضان المبارك وكان هبوب الريح وقتئذ خفيفا فسرنا من غير اشعار بالسير ولم نتألم بذلك ابدا وكنت قبل ركوب البحر عملت بما علمه لي بعض من سافر من العلماء الى اسلامبول من تجرع حثوات عظيمة من ماء البحر المالح وقال انه يدفع المه فكان الواقع انه لم يحصل لي ألم على اني حين نزلت المركب كنت متمرضا بالحمى فبرئت منها بمجرد السفر وحركة السفينة * وربما صحت الاجسام بالعلل * ولا زلنا نسير من غير شدة تحرك واضطراب نحو اربعة ايام وبعدها عصفت الرياح وتموج ماء البحر وتلاعب بالأشباح والأرواح * فلازم اكثرنا الارض * وتوسل جميعنا بالشفيع يوم العرض * ووقع عندنا الموقع قول بعض الظرفا خاطر من ركب البحر واشد منه خطرا من جالس الملوك بغير علم ومعرفة وتحقق عندنا تضمين صاحبنا العلامة الصفتي لهزل أبي نواس في قوله
رأيت جميع الهائلات محيطة * بوطي لاجل الحمل جارية البحر
فاقسمت عمري لاركبت سفينة * ولا سرت طول الدهر الاعلى الظهر
غير أن المعتمد على الكريم * لايخشي من الخطب العظيم * وما أحسن قول من قال

لما ركبنا بحر * وكاد من خاف يتلف
على الكريم اعتمدنا * حاشاه أن يخالف

وقد ذهب هذا الامر بعد نحو ثلاثة أيام وصار يزور غبا ومما يستحسن في طباع الافرنج دون من عداهم من النصارى حب النظافه الظاهرية فان جميع ما ابتلى الله سبحانه وتعالى به قبطه مصر من الوخم والوسخ أعطاه للافرنج من النظافه ولو على ظهر البحر فان أهل المركب التي كنا فيها يحافظون على تنظيفها واذهاب الوسخ ما أمكن حتى أنهم يغسلون مقعدها كل يوم من الايام و يكنسونها في صف النوم كل نحو يومين وينفضون الفراش وغيره ويشممونها رائحه الهواء ويزيلون أوخامها مع أن النظافه من الايمان وليس عندهم منه مثقال ذرة ومع ماعند الفرنساوية من النظافه الغريبه بالنسبه لبلادنا فانهم لايعدون أنفسهم من الامم كثيرة الاعتناء بالنظافه كما يفهم من هذه العبارة المترجمه من كتاب العوائد والاخلاق المؤلف باللغه الفرنساوية وعبارته أعظم الناس اعتناء بنظافه المنازل أهل الفلمنك فتجد في مدنهم غالب حاراتهم مبلطه بالحجر الابيض المتعهد بالتنظيف وبيوتهم مجملة من خارجها أيضا وشبابيكهم القزاز تغسل دائما بل وحيطانهم الخارجه وقد توجد النظافه في حصه من بلاد الانكليز وبلاد الاقاليم المجتمعه من أمريكة وهي قليلة في فرنسا والنمسا وغيرها ومن الامم من هي كثيرة الاوساخ وكثيرة القمل بل تجد بعض أناس يأكلهم القمل ولا يبالون وقد ذهب داء البرص من منذ انتشار الاقمصه البيض التي تغسل ويغير بها كل أسبوع مرة أو عدة مرات فالملابس البيض من جملة ما أنتج النظافه والسلامه من آثار الاوساخ الرديئه

الفصل الرابع فيما رأينا من الجبال والبلاد والجزائر

قد مررنا على جزيرة كريد سابع يوم من سفرنا ورأينا على بعد جبلها الشامخ المسمي عند اليونان ايدا الشهير بالامور الغريبه في تواريخهم ثم في اليوم الثالث عشر منه رأينا جزيرة سيسيليا بكسر السينين واللام وبالمهملتين وبعضهم يكتبها بالمعجمتين وهي مشهورة باللسان العربي باسم صقاليه أو صقليه وهذه الجزيرة على الجنوب من بلاد ايطاليا ومنفصلة عنها بالبغاز المسمي بوغاز مسينه بفتح الميم وتشديد السين المكسورة المهملة وسكون الياء وفتح النون وهي من أعظم جزائر البحر المتوسط وأخصبها ولذلك كانت تسمي في الزمن السابق شونة رومة وكانت في الاعصر السالفة سببا لحرب الرومانيين مع أهل قرطاجة أي سكان الغرب ثم انتهى الامر الى أنها وقعت تحت حكم الرومانيين ثم انتقلت منهم الى ملوك اليونان ثم فتحها المسلمون ثم تغلب عليها النصارى النرمندية بضم النون المشددة وسكون الراء وفتح الميم وكسر الدال وفتح الياء المشددة فرقة من الفرنساوية ثم حكمها بعض ملوك الاسبانيول ثم النيمسا ثم انتهى الامر الى أن كانت جزأ من مملكة نابلى الكنان المسماة بولية حتي إنها هي ونابلي قد يسميان الآن عند الأفرنج السيسليتين بتغليب سيسليا على نابلي وفي كتب الجغرافيا ان أهل هذه الجزيره مائة الف نفس ومدنها فوق الجبال وقد رأينا بهذه الجزيرة على بعد في اليوم الرابع عشر الجبل المسمي منتتنا بفتح الميم وسكون النون وكسر التاء الفوقية وسكون الثاء المثلثة ومنتتنا كلمة مركبة من كلمتين احداها منت معناها جبل والاخري اتنا فالاحسن كتابتهما هكذا منت اتنا وهو مشهور

الآن بلفظة جبل ويظهر لي أن هذا الاسم تحريف جبل فهو عربي أدخله المسلمون في هذه الجزيرة وأطلقوه على هذا الجبل فبقي بعد خروجهم الى الآن وتغير بتصحيف أهل هذه الجزيرة له وهذا الجبل جبل نار فانه يخرج منه بالنهار دخان وبالليل لهب وقد يقذف مواد حجرية محترقة ثم أن جبال النار تسمى بالافرنجية الجبال البلكانية ويسمى الجبل الناري بلكان بضم الباء الموحدة وسكون اللام وقد صحف هذا الاسم بالعربية الى لفظه بركان بالراء ولعله تعريب عن لغة أهل الاندلس ويسمى طهمه بفتح الطاء وسكون الهاء كما ذكره المسعودي في كتابه المسمى مروج الذهب وفوهة البركان تسمى بالفرنساوية كراتيره بكاف وتاء فوقيه مكسورتين وفتح الراء الثانيه ولا يوجد جبل النار غالبا الا في الجزائر وقد ذكر أرباب رصد هذا الجبل ان ارتفاعه على ظهر سطح البحر المحيط الف وتسعمائه قدم وثلاثه أقدام وأن دورة قاعدته نحو خمسه وخمسين فرسخاً فرنساويه ودائرة فوهته ربع فرسخ ثم أن العادة أن جبل النار يهيج ثم يسكن ثم يهيج وقد يمكث مدة مطفيا حتى يظن الناس خموده بالكليه ثم يهيج ثانياً بعد مضي مدة أعصر وقد هاج جبل اتنا احدى وثلاثين مرة ومنها هيجانه سنة الف وثمانمائه وتسعه بتاريخ الافرنج وأعظم هيجانه ما كان سنة سبعمائه وثلاثة وتسعين حيث أنه خرب مدينه كابان وأهلك ثمانية عشر الف نفس وعلامة هيجان البراكين شدة العجيج والقرقعه والدوى تحت الارض وابتداء التدخين أو ازدياده قال بعض الطبائعية اننا اذا قابلنا حوادث الزلازل بحوادث البراكين رأينا كأن هاتين الحادثتين معلولتان لعلة واحدة وهي النيران التي تحت الارض أو المحتقنه في باطنها الا أن آثار الزلازل أوسع من

آثار البراكين يعني أن آثار الزلازل تظهر في متسع عظيم من الارض بخلاف آثار جبال النار فلا تمتد الا بجوار قرب جبل النار وقد جرت العادة أيضاً أن الزازلة تعظم بقدر البعد من البركان علل ذلك بعضهم بقوله أن النار التي تحت الارض تحاول متنفساً لتخرج منه فان كان في الارض بركان فانها تخرج منه فتذهب قوة النار فتنعقد الزلزلة بخلاف الارض الخاليه عن البراكين فان النيران تحاول منفسافها فلا تجده فترتج الارض بذلك وقال بعض الحكماء أيضاً أن كلا من الحوادث البركانية والزلازل صادر عن جاذبية الحاكة المسماة بالفرنساوية الا كتريسته بكسر الهمزة وسكون الكاف وكسر التاء والراء وكسر السين وفتح التاء المسماة ترسيس بفتح الراء المشددة وكسر السين التي هي خاصة الكهربا عند حكها قال بعضهم في رد هذا القول انه ينافى مااعتمده بعض الحكماء في بناء الارض ونظم طبقات صخورها ومن القواعد المقررة أن ثوران البركان يغلب كل ماقل علوه ويقل كلما عظم العلو وهذا ماجرت به العادة والله سبحانه وتعالى أعلم وفي اليوم الخامس عشر رسينا على مدينه مسينه ولم نخرج من السفينه أبداً لانهم لايمكنون من يجيء من البلاد الشرقيه الى بلادهم أن يدخلها الا بعد الكرنتينة وهي مكث أيام معلومة لاذهاب رائحة الوباء ولكنهم يجيؤن الانسان بسائر مايحتاج ويناولهم الثمن فيضعونه في ماعون فيه خل ونحوه مع التحفظ التام راجع الفصل الاول من المقالة الثانية وقد تزودنا من هذه المدينه ما احتجنا اليه من الفواكه والخضراوات والمياه العزبه الى آخره وقد أقمنا بموردتها خمسه أيام وشاهدنا من بعد قصورها العاليه وهياكلها الشامخه الساميه ورأيناها توقد قناديلها ووقدانها قبل أن يدخل وقت الغروب وتمكث بعد شروق الشمس وقد

سمعنا بها أصوات النواقيس مدة اقامتنا حتي أن ضربهم النواقيس مطرب جدا وقد صنعت في ليلة من الليالي في المحادثة مع بعض الظرفاء مقامة ظريفة مضمونها ثلاثة معان الاول المجادلة في أنه لا مانع من أن الطبيعة السليمة تميل الي استحسان الذات الجميلة مع العفاف وأنشأت في ذلك جملة شواهد لطيفة وأنشأت فيه قولي

أصبو الى كل ذي جمال * ولست من صبوتي أخاف

وليس لي في الهوي ارتياب * وانما شيمتي العفاف

الثاني- سكر المحب من معاني خمر عيني محبوبه واستغنائه عن الراح براحته وانشأت في هذا المعني قولي

قد قلت مابدا والكاس في يده * وجوهر الخمر فيها شبه خديه

حسبي نزاهة طرفي في محاسنه * ونشوتي من معاني سحر عينيه

الثالث في تأثر النفس بضرب الناقوس اذا كان من يضرب الناقوس ظريفاً يحسن ذلك وقد أنشدت في هذا المعني قول الشاعر

مذجاء يضرب بالناقوس قلت له * من علم الظبي ضربا بالنواقيس

وقلت للنفس أي الضرب يؤلمكي * ضرب النواقيس أم ضرب النوي قيسي

وذيلتها ببعض أبيات مجنسة والبحث في معناها ونوع تجانيسها وبالجواب من بعض الغاز نحوية الى آخره وليس هذا محل بسط الكلام في ذلك.
ثم سرنا من هذه المدينة اليوم المتمم العشرين من مدة سفرنا وسرنا حتي حاذينا جبل النار وجاوزناه وفي الرابع والعشرين جاوزنا مدينة نابلي وتسمى باللغة التركية پوليه وتعديناها بنحو تسعين ميلا فانعكس الريح وصار قدام السفينة هابا من المقصد اليها فصارت تميل عن المقصد لا اليه لانه من جهة الهواء ويعجبني قول بعضهم

ومهفهف عني يميل ولم يمل * يوما الى فقلت من ألم النوى
لم لاتميل الى ياغصن النقا * فاجاب كيف وأنت من جهة الهوا

فبانعكاس الريح رجعنا الى مدينة نابلى بعد أن جاوزناها ورسينا عندها ولم ندخلها لما تقدم وهي من المدن العظمى ببلاد الافرنج وملكها يحكم على بلاد جزيرة صقلية المتقدمه ومدينه نابلي هي كرسى هذا الملك وقد تسمى باللغه العربية نابل الكتان ولعله لان كتانها جيد للغايه وقد كانت مملكة نابلى في يد الاسلام ومكثت نحو مائتي سنه ثم تغلبت عليها النصارى النور منديه هي ومملكة صقليه ولم تزل الى الآن في أيدي النصارى الايطاليانيه حتي أنها تسمى بلاد ايطاليا الجنوبيه وقد أسلفنا أن مدينه نابلي هي احدى البنادر الاصليه بالبلاد الافرنجيه ثم رأينا في اليوم التاسع والعشرين جزيرة قرسقه بضم القاف وسكون الراء وضم السين وفتح القاف التي هي فى حكم الفرنسيس وتسمى الآن جزيرة قرس وقد فتحها المسلمون ولم يمكثوا فيها زمنا طويلا وهي وطن نابليون بضم الباء وسكون اللام وبالياء الشهير باسم بونابرته الذي تغلب على مصر في غزوة الفرنساويه ثم تولي سلطنة فرانسه مع أن أباه كان رئيساً في الطوبجيه وفى اليوم الثالث والثلاثين رسينا على فرضه مرسيليا فكانت مدة مكثنا في البحر ثلاثه وثلاثين يوما ومنها مكثنا خمسه أيام قدام مسينه بفتح الميم وتشديد السين واللام وفتح النون ونحو يوم قدام نابلى وتأخرنا كثيراً بلعب الرياح ولولا ذلك لوصلنا في أقل من هذه المدة بشيء يسير .

﴿ المقالة الثانية ﴾

(الفصل الاول في مدة اقامتنا في مدينة مرسيليا ... سنة

قد رسينا على موردة مرسيليا التى هي احدى مراسى بلاد فرانسا فنزلنا من سفينة السفر في زوارق صغيرة فوصلنا الى محل خارج المدينة معد للكرنتينة على عادتهم من أن من أتى من البلاد الشرقية لا بد أن يكرتن قبل أن يدخل المدينة ولنذكر هنا ما قيل في الكرنتينة ابياتا لعلماء المغرب على ما حكاه لي بعض من يوثق به لمن فضلاء الغرب ليث القال والقيل العلامة الشيخ محمد ... الشافعي ... المدرس بجامع الزيتونة ... بالجامعة التلاتة الشيخ محمد بيرم المؤلف عدة كتب في المنقول والمعقول وله تاريخ بدولة ... عثمان ... فضلها الى السلطان محمود الجلي ... في الاحتجاج للكرنتينة ... فقال الاول ... والثاني ... بل ... في ذلك رسالة والمقدم ... ذلك ... الكتاب والسنة واقام الثاني بالاولة على التحريم ... رسالة في ... على المشاهدة ... الا ... لان حمل ... الكرنتينة ... هو ... القطعيات ... [illegible] ... الاولين ... فالبساطة ... الكرنتينة ... بالمرتبة الالى الاعراض ... العلامة الشيخ ... الكافي ... الزوايات ... بلاد ... مختصر ... [illegible] ... الفقه ... النحو ... [illegible] ... المصنفات ... الظاهر والباطن ... [illegible] ... وقد ... الكتاب ... المناسبة ... [illegible]

فتكلم على كروية الارض وعلى سيرها ووضح ذلك فتلخص من كلامه
ان الارض كرة ولا يغر اعتقاد تحركها او سكونها مات هذا الشيخ سنة
الف ومائتين وستة وعشرين من الهجرة النبوية على صاحبها افضل
الصلاة وازكى السلام وخلفه حفيده المسمى باسمه ثم ان هذا البيت
الذي كنا فيه للكرنتينا متسع جدا به القصور والحدائق والبناء المحكم
فيه عرفنا كيفية احكام ابنية هذه البلاد واتقانها وامتلائها بالرياض والحياض
الى اخره ولم نشعر في اول يوم الا وقد حضر لنا أمور غريبة في غالبها
وذلك انهم احضروا لنا عدة خدم فرنساوية لا نعرف لغاتهم ونحو مائة
كرسي للجلوس عليها لان هذه البلاد يستغربون جلوس الانسان على
نحو سجادة مفروشة على الارض فضلا عن الجلوس بالارض ثم مدوا
السفرة للفطور ثم جاؤا بطبليات عالية ثم رصوها من الصحون البيضا
الشبيهة بالعجميه وجعلوا قدام كل صحن قدحا من القزاز وسكينه وشوكة
وملعقه وفي كل طبليه نحو قزازتين من الماء واناء فيه ملح وآخر فيه
فلفل ثم رصوا حوالى الطبلية كراسي لكل واحد كرسي ثم جاؤا
بالطبيخ فوضعوا في كل طبلية صحنا كبيرا او صحنين لتغرف احد اهل
الطبليه ويقسم على الجميع فيعطي لكل انسان فى صحنه شيأ يقطعه
بالسكينة التي قدامه ثم يوصله الى فمه بالشوكه لا بيده فلا يأكل الانسان
بيده اصلا ولا بشوكه غيره او سكينته او يشرب من قدحه ابدا
ويزعمون ان هذا انظف واسلم عاقبة ومما يشاهد عند الافرنج انهم
لا يأكلون ابدا في صحون النحاس بل ولا في او انيه ابدا ولو مبيضا
فهي للطبيخ فقط بل دائما يستعملون الصحون المطلاة وللطعام عندهم
عدة مراتب معروفة وربما كثرت وتعددت كل مرتبة منها فاول افتتاحهم

الطعام يكون بالشوربة ثم بعده باللحوم ثم بكل نوع من انواع الاطعمة كالخضراوات والفطورات ثم بالسلطة وربما كانت الصحون المطلاة بلون الطعام المقدم فصحون السلطة مثلا خضر منقوشه بلون السلطة ثم يختمون اكلهم بأكل الفواكه ثم بالشراب المخدر الا انهم يتعاطون منه القليل ثم بالشاي والقهوة وهذا الامر مطرد للغني والفقير كل على حسب حاله ثم ان الانسان كلما أكل طعاما في صحنه غيره واخذ صحنا غير مستعمل ليأكل فيه طعاما آخر ثم انهم احضروا لنا آلات الفراش والعادة عندهم إنه لابد ان ينام الانسان على شيء مرتفع نحو سرير فاحضروا ذلك لنا ومكثنا في هذا المحل ثمانية عشر يوما لانخرج منه ابدا غير انه متسع جدا وفيه حدائق عظيمة ومحال متسعة للتماشي فيها والتنزه في رياضها ومن هذا البيت ركبنا العربيات المزينة المجملة التي تستمر عندهم اثناء الليل واطراف النهار تفرقع وسرنا بها الى بيت في المدينة لكنه في حواشيها من القصور المصنوعة خارج المدينة بحدائقها وادواتها فمكثنا متنظرين التوجه الى مدينة باريس ومدة مكثنا في هذا البيت كنا نخرج بعض ساعات للتسلي في البلد وندخل بعض القهاوي والقهاوي عندهم ليست مجمعا للحرا فيش بل هي مجمع لأرباب الحشمة اذ هي مزينة بالامور العظيمة النفيسة التي لاتليق الا بالغناء التام واثمان مافيها غلية جدا فلا يدخلها الا اهل الثروة واما الفقراء فانهم يدخلون بعض قهاوي فقيرة او الخمارات والمحاشش وقد اسلفت ان مدينة سكندريه تشبه في حالها مرسيليا واذكر هنا ان الفرق بينهما اتساع السكك والطرق اتساعا مفرطا لمرور جملة عربيات معا في طريق واحد ثم ان سائر القاعات او الاروقة او المنادر العظيمة يوضع في حيطانها

الجوانية مرايئ عظيمة كبيرة حتى انه ربما كانت سائر جوانب القاعة
كلها من زجاج المرآة ليظهر لها رونق عظيم فاول مرة خرجنا الى
البلدة ومررنا بالدكاكين العظيمة الوضع المزججة بهذه المرايا والمشحونه
بالنساء الجميلات وكان هذا الوقت وقت الظهيرة وعادة نساء هذه البلاد
كشف الوجه والرأس والنحر وما تحته والقفا وما تحته واليدين الى قرب
المنكبين والعادة أيضا ان البيع والشراء بالاصالة للنساء واما الاشغال فهي
للرجل فكان لنا بالدكاكين والقهاوي ونحوها فرجة عليها وعلى ما يعمرها
وكان اول ماوقع عليه بصرنا من التحف قهوة عظيمة دخلناها فرأيناها
عجيبة الشكل والترتيب والقهوجية امرأة جالسة على صفة عظيمة وقدامها
دواة وريش وقائمة وفي قاعة بعيدة عن الناس محل لعمل القهوة وبين
محل جلوس الناس ومحل القهوة صبيان القهوة ومحل الجلوس للناس
مرصوص بالكراسي المكسوة بالمسجرات ومن الطاولات المصنوعة من
الخشب الكابلي الجيد وكل طاولة مفروشة بحجر من الرخام الاسود
او المنقوش وفي هذه القهوة يباع سائر انواع الشراب والفطورات فاذا
طلب الانسان شيأ طلبه الصبيان من القهوجية وهي تأمر باحضاره له
وتكتبه في دفترها وتقطع به ورقة صغيرة فيها الثمن وتبعثها مع الصبي
للطالب حين يريد الدفع والعادة ان الانسان اذا شرب القهوة احضر له معها
السكر ليخلطه فيها ويذيبه ويشربه ففعلنا ذلك كعادتهم وفنجان القهوة
عندهم كبير نحو اربعة فناجين من فناجين مصر وبالجملة فهو قدح
لافنجان وبهذه القهوة اوراق الوقائع اليومية لاجل المطالعة فيها وحين
دخولي بهذه القهوة ومكثي بها ظننت انها قصبة عظيمة نافذة لما ان بها
كثيرا من الناس فاذ ابدا جماعة داخلها او خارجها ظهرت صورهم في

كل جوانب الزجاج وظهر تعددهم مشيا وقعودا وقياما فيظن ان هذه
القهوة طريق وما عرفت انها قهوة مسدودة الا بسبب اني رأيت عدة
صورنا في المرآة فعرفت ان هذا كله بسبب خاصية الزجاج فعادة المرآة
عندنا ان تثنى صورة الانسان كما قال بعضهم فى هذا الشأن

ابرقع منظر المرآة عنه * مخافة ان تثنيه لعيني
اقاسي ما أقاسي وهو فذ * فكيف اذا تجلى فرقدين

وعادتها عند الافرنج بسبب تعددها على الجدران وعظم صورتها ان تعدد
الصورة الواحدة في سائر الجوانب والاركان ومن كلامي

يغيب عني فلا يبقى له أثر * سوى لقاي ولم يسمع له خبر
فان بداوارى المرآة طلعته * يلوح فيها بدور كلها صور

وقال شيخنا العطار لم ارالطف تخيلا في هذا المعنى من قول ابن سهل

القى بمرآة فكرى شمس صورته * فعكسها شب في أحشائي اللهبا

قال الحريري في مليح بيده مرآة

رآى حسن صورته فى المرآة * فاصبح صبابها مدنفا
وصير يعقوب اسماله * يشير بان قدرأي يوسفا

وسيأتي كمال الكلام على ذلك كله في ذكر مدينه باريس ومدة اقامتنا
في مرسيليا بعد الكرنتينه اشغلناها ايضاً بتعلم تقطيع الحروف يعني
تعلم تهجي اللغه الفرنساوية ثم انه يوجد في مدينه مرسيليا كثير
من نصارى مصر والشام الذين خرجوا مع الفرنساويه حين خروجهم
من مصر وهم جميعاً يلبسون لبس الفرنسيس وندر وجود احد من
الاسلام الذين خرجوا مع الفرنسيس فان منهم من مات ومنهم من
تنصر والعياذ بالله خصوصاً المماليك الجورجيه والجركسيه والنساء

اللواتي اخذ هن الفرنسيس صغار السن وقد وجدت امرأة عجوزا باقية على دينها وممن تنصر انسان يقال له عبد العال ويقال انه كان ولاه الفرنسيس بمصر اغاة انكشاريه في أيامهم فلما سافروا تبعهم وبقى على اسلامه نحو خمسة عشر سنه ثم بعد ذلك تنصر والعياذ بالله بسبب الزواج بنصرانية ثم مات بعد قليل ولقد رأيت له ولدين وبنتا اتوا في مصر وهم على دين النصرانيه احدهما معلم الان في مدرسه ابي زعبل ومثله ماحكاه لى بعضهم ان سر عسكر الفرنساوية المتولى في مصر بعد قتل الجنرال كليبر بفتح الكاف وكسر اللام وكسر الباب كان اسلم في مصر نفاقا كما هو الظاهر ويسمى عبد الله وتزوج ببنت شريف من أشراف رشيد فلما خرج الفرنسيس من مصر واراد الرجوع اخذها معه فلما وصل رجع الى النصرانيه وابدل العمامه بالبرنيطه ومكث مع زوجته وهي على دينها مدة ايام فلما ولدت واراد زوجها ان يعمد ولده على عادة النصارى لينصره ابت الزوجه ذلك وقالت لا انصر ولدي اصلا ولا اعرضه للدين الباطل فقال لها الزوج ان كل الاديان حق وان مآلها واحد وهو عمل الطيب فلم ترض بذلك ابدا فقال لها ان القرآن ناطق بذلك وانت مسلمة فعليك ان تصدقى بكتاب نبيك ثم ارسل باحضار اعلم الافرنج باللغه العربية البارون دساسي فانه هو الذي يعرف يقرأ القرآن وقال لها سليه عن ذلك فسألته فاجابها بقوله انه يوجد في القرآن قوله تعالى ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون فحجها بذلك فاذنت بمعمودية ولدها ثم بعد ذلك انتهى الامر على ماقيل انها تنصرت وماتت كافرة ومما رأيت من جملة المصريين في مرسيليا انسانا

لابسا ايضاً كالافرنج واسمه محمد منطلق اللسان في غير اللغه العربيه فلا يعرف من اللسان العربي الاالبسير فسألته عن بلده ببر مصر فاجاب بانه من مدينه اسيوط من اشرافها وان اباه يسمي السيد عبد الرحيم وهو من اكابر هذه البلدة وامه تسمي مسعودة اوقريبا من ذلك الاسم وانه اختطفه الفرنساوية في حال صغره ويقول انه باق على اسلامه وانه يعرف من الامور الدينية الله واحد ومحمد رسوله والله الكريم ومن العجائب انني بعد كلامه توسمت فيه الخير وكان على وجهه سمة اشراف اسيوط حقيقة فان صح كلامه كان من اولاد سيدي حريز بن سيدي ابي القاسم الطهطاوي واشراف طهطا من اولادسيدي يحيي بن القطب الرباني سيدي ابي القاسم وله ولد ثالث يسمي سيدي على البصير ذريته اهل جزيرة شندويل وشهرة سيدي ابي القاسم الطهطاوي لاتخفى على من يعرفه وان لم يذكره سيدي عبد الوهاب الشعراني في الطبقات وكثير من الاشراف بالبلاد العثمانية ينتهي نسبهم الى سيدي حريز المتقدم ومما رأيته في مرسيليا الملعبه المسمات السبكتا كل وامرها غريب ولايمكن معرفتها بوصفها بل لابد من رؤيتها بالعين ولنذكرها في الكلام على باريس ومكثنا في هذه البلدة خمسين يوما وتوجهنا الى باريس

(الفصل الثاني في الخروج من مرسيليا)

(الى دخول باريس وفي المسافة بينهما)

اعلم أن عادة المسافرين من مرسيليا الى باريس بالعربات أن يستأجروا العربة أو موضعاً فيها فاما أن يأكلوا على كيسهم أو يدفعوا قدراً معلوماً للعربيـة والقوت مدة الطريق ثم إن السفر يكون ليـلا ونهاراً إلا وقت الاكل ونحوه وكل البلاد التي في الطريق فيها مواضع

معدة للطعام والشراب مشتملة على سائر أنواع المطعومات والمشروبات
في غاية النظافة والظرافة وفيها محال للنوم مفروشة بالفرش العظيم وبالجملة
فهي مستكملة الآلات والأدوات فلما ركبنا عربات السفر كل جماعة
منا في يوم وسرنا فيها من مرسيليا سيراً منتظماً مستمراً على حالة واحدة
ولا يتأخر الانسان إلا إن كان مكشوفاً فإنه يتأذى بالرياح ونحوها فوصلنا إلى مدينة ليون في
ضحوة اليوم الثالث وهي مدينة ليون على البعد من مرسيليا بمائة وثمانين وتسعين
فرسخاً فرنساوية ونحن ذاهبون إلى مدينة باريس مسافة وبعدها عن ليون مائة فرسخ تقريباً
ومن مرسيليا الى باريس مائتان وإحدى عشر فرسخاً فرنساوياً وقد
مكثنا في ليون نحو اثنتي عشرة ساعة لاشتراء أدوات ولم أر من هذه
المدينة إلا بالمرور فيها أو من شبابيك البيت الذي كنا فيه ثم سرنا منها
ليلا الى باريس فدخلناها صباحية اليوم السابع من رحيلنا من مرسيليا
وقد مررنا بقرى كثيرة وغالبها مشتمل على المزارع والأنهار والجسور
عظيمة الابنية مزينة بالاشجار وبالجملة فالقرى التي في هذه المملكة متطابقة للبعض
غالباً خصوصاً مع جمال الصور حتى أني لا أتأمل ولا أفطن إلا لأنه في مملكة
واحدة والمسافرون في غاية النظافة في أطراف الاشجار والمزارع والمرضوبة ونحوها أمر متبع
مطرد في سائر الطرق ولما كان الخارج في البعض من التحقيقات لأنه ليس القاهرة في
هذه القرى والبلاد الصغيرة أن رجالها النساء لا يصلون لتلك أعظم من
ذلك في مدينة باريس حتى إن نساء الريف أقوى تزيناً من نساء باريس
كما هو الحالة المطردة في سائر بلاد الفرنساوية

﴿ المقالة الثالثة ﴾

(الفصل الاول في تخطيط باريز من جهة وضعها الجغرافي)
(وطبيعة ارضها ومزاج اقليمها وقطرها)

اعلم ان هـذه المدينه تسمى عند الفرنسيس باري بالباء الفارسية التي تلفظ بين الفاء والباء ولكن يكتب هذا الاسم باريس ولا ينطق بالسين ابدا فيه كما هو عادة الفرنساوية من انهم يكتبون بعض الحروف ولا يلفظون بها ابدا خصوصا حرف السين في اخر بعض الكلمات فانه لاينطق به ابدا مثلا آتينه بامالة التاء مدينه حكما اليونان تكتب بالفرنساويه اتينس وتقرأ أتين ثم ان العرب والترك ونحوهم يكتبون باريس او بريس او باريز وربما قالوا فايس واظن ان الا وفق كتابتها بالسين وان اشتهر على السنة غير أهلها قراءتها بالزاي ولعل ذلك انما نشأ عن ان السين في اللغة الفرنساويه قد تقرأ زايا في بعض الاحيان ببعض شروط وان كانت مفقودة هنا الا في حال النسبة فان النسبة الى باريس عندالفرنسيس بارزياني وهذا بعينه هوالسبب لان النسبة تردالاشياء الى أصولها ولكن هذه القاعدة في النسبةالعربية والنسبة هنا أعجمية وقد مشيت في بعض اشعاري التي انشدتها فيها على كتابتها بالسين حيث قلت

لئن طلقت باريسا ثلاثا * فما هذا سوى لوصال مصر
فكل منهما عندى عروس * ولكن مصر ليست بنت كفر

وقلت

لقد ذكروا شموس الحسن طرا * وقالوا ان مطلعها بمصر
ولكن لورآها وهي تبدو * بباريس لخصوها بذكر

وسميت بذلك لان طائفة من قدماء الفرنساوية كانت على نهر السين تسمى الباريزيين ومعناها في اللسان القديم الفرنساوي سكان الاطراف والحواشي وليس هذا الاسم منقولا عن باريس اسم رجل شهير كما قاله بعضهم ثم ان هـذه المدينة من اعمر مدائن الدنيا ومن أعظم مدائن الافرنج الآن وهي كرسي بلاد الفرنسيس وقاعدة ملك فرانسا وسيأتي تفصيل ذلك في محله وهي موضوعة في التاسعة والاربعين درجة وخمسين دقيقة من العرض الشمالي يعني انها بعيدة عن خط الاستوا جهة الشمال بهذا القدر واما طولها فانه يختلف فاذا اعتبرنا خط نصف النهار الذي ينسب اليه الفرنساوية اطوال سائر الاماكن وهو خط نصف النهـار المرسوم في رصدهم السلطاني وهو يمر بباريس فهو حينئذ مبدأ الاطوال على حساب الفرنساوية فيكون طولها صفرا وأما اذا حسبنا على خط نصف النهار الذي كان يأخذ بطليموس الاطوال منه ولا زال الى الآن مبدأ اطوال بعض الامم كاهل الفلمنك وهو خط نصف نهار الجزائر الخالدات ببحر المغرب كانت باريس في عشرين درجة تقريبا من الطول الشرقي ولنذكر لك هنا كيفيـة معرفة درجتي الطول والعرض من مكان من الامكنة وثمرة ذلك وان كان يخرجنا عما نحن بصدده فنقول (اعلم) ان علماء الهيئة قد أوضحوا بالادلة كروية الارض وانها غير صادقة التكوير ثم صنعوا على هيئتها صورة وسموها صورة الارض ولامكان تقسيم الارض وتسهيل معرفتها توهموا فيها دوائر انصاف نهار ودوائر متوازية ومحورا وقطبين ورسموها على صورتها المصطنعة فمحور الكرة الارضية هو الخط الموازي لمحور الفلك وطرفاه هما القطبان ويسمى أحـدهما

القطب الشمالي والآخر القطب الجنوبي ودوائر أنصاف النهار هي الدوائر
التي تمر من أحد القطبين الى الآخر وعلة تسميتها بذلك انه اذا كانت
الشمس في سمت رأس محل يمر عليه هذا الخط دخل وقت الظهر بذلك
المحل ومركز هذه الدوائر هو مركز الارض وأما الدوائر المتوازية
فهي الدوائر الواقعة اعمدة على دوائر انصاف النهار وهي التي بينها وبين
مركزها تواز على محور الارض واعظمها دائرة الاستوا وهي الدائرة
العظمى المستوية البعد من القطبين وهي تنصف الكرة نصفين احدهما
النصف الشمالي والآخر النصف الجنوبي ثم ان دوائر انصاف النهار
والدوائر المتوازية كسائر الدوائر تنقسم الى ثلثمائة وستين درجة وكل درجة
تجزيء الى ستين دقيقة وكل دقيقة الى ستين ثانية وكل ثانية الى ستين ثالثة
وهكذا والافرنج تقسيم آخر جديد وهو ان الدائرة تنقسم الى اربعة ارباع وكل
ربع يجزيء مائة تسمى درجات مائينية وكل درجة مائة دقيقة مائينية وكل دقيقة
مائة ثانية كذلك وهكذا وهذا نشأ عن استعمالهم الحساب الاعشاري والحساب
المترى والاول أشهر استعمالا وبهذه الدوائر يحدد الطول والعرض وذلك
أن العرض هو بعد دائرة متراوية عن المتوازية العظمي التي هي دائرة
الاستوا فان أخذته جهة الشمال كان عرضاً شمالياً ونهايته تسعون درجة
وان كان جهة الجنوب فجنوبي ونهايته كذلك وأما الطول فهو بعد خط
نصف النهار عن خط نصف نهار آخر مصطلح على أنه أولى وهو
شرقي وقدره مائة وثمانون درجة وغربي وقدره كذلك وقد وضع
أصحاب الجغرافيا في الاكرة أو الخرطات على كل دائرة متوازية ما تبعديه
من الدرجات عن دائرة الاستوا كما جعلوا على كل دائرة نصف نهار
عدد درج بعدها من دائرة نصف النهار الاوليه وقد رسم كما أسلفناه

بطليموس الحكيم دائرة نصف النهار الاولية في الجزائر الخالدات فلما انكشفت بلاد أمريكة اختار الافرنج أن يجعل أهل كل قطر من الاقطار خط نصف نهارهم الاولى ببلادهم لينسبوا اليها ماعداها كما صنع الفرنساوية فانهم جعلوا خط نصف نهارهم الاولى في مدينة باريس وبقيت منهم أمم كالفلمنك على أخذ الاطوال من جزيرة الحديد بالجزائر الخالدات وفي الواقع أن الاولى كما هو الظاهر اتخاذ مبدأ أطوال مشترك لجميع الامم ينسب اليه ماعداه ويكون في قطر لا عمار بعده معلوم أو ممتاز بمزية كمكة المشرفة ثم أن كيفية تحديد الطول حينئذ يمكن أخذها بتفاوت الاوقات وذلك أنه من المعلوم أن الشمس أو الارض كما يقوله الافرنج تقطع حركتها اليومية في أربعة وعشرين ساعة فهى تقطع من الدائرة التي ترسمها في سيرها خمسة عشر درجة في كل ساعة فتكون تقطع درجة كل أربع دقائق يعني أنه اذا دخل وقت الظهر في القاهرة مثلا فلا يدخل وقته في المكان الذى يبعد عنها جهة الغرب بخمسة عشر درجة إلا بعد ساعة ويدخل بعد ساعتين فيما يبعد عنها بثلاثين درجة وهلم جرا وبعكس ذلك في المكان الذي يبعد عنها جهة المشرق فانه اذا كان الظهر في القاهرة يكون مضى ساعة بعد الظهر في المكان الذى يبعد عنها جهة المشرق بخمسة عشر درجة ويكون مضى ساعتان فيما يبعد عنها فى هذه الجهة بثلاثين درجة الى آخره فانذكر هنا حينئذ انه اذا كان الظهر في أصول البلاد الغربية من باريس والشرقية منها كيف يكون فيها وبذلك يفهم بعدها عن هذه البلاد فيقال اذا كان وقت الظهر فى مصر القاهرة لايدخل وقته في باريس الا بعد مضي ساعتين الا أربع دقائق واذا كان الظهر في اسلامبول كان في باريس بعد مضي

ساعة وستة وأربعين دقيقة واذا كان في بغداد كان دخوله في باريس بعد ساعتين وثمانية وأربعين دقيقة وفي حلب اذا دخل الظهر لايدخل في باريس الابعد ساعتين وثلث واذا دخل الظهر في الجزائر لايدخل في باريس الا بعد أربعة دقائق تقريباً واذا دخل في تونس فيدخل في باريس بعد مضي نصف ساعة ودقيقتين ووقت الظهر في اصفهان يدخل في باريس بعد مضى ثلاث ساعات واثنين وعشرين دقيقة واذا كان في مدينة بكين بكسر الباء والكاف كرسى ملك الصين يكون في باريس سبع ساعات واحدى واربعين دقيقه وفي مدينة الباب والابواب تكون ساعة وثمانية وأربعين دقيقة وفي مدينة رومة الكبرى نصف ساعة وثمانية دقائق وهذه البلاد على الشرق من مدينة باريس وأما البلاد التي على غربها فاذا كان الظهر في مدينة مدريد كرسى ملك الاندلس فانه يكون فات وقته في باريس باربعة دقائق واذا كان في مدينة أشبونة كرسي البرتوغال فانه يكون فات وقته فى باريس بخمسة دقائق ونصف واذا دخل وقته فى فيلادلفياء بكسر الفاء وسكون الياء وفتح اللام وكسر الدال المهملة وسكون اللام وكسر الفاء مدينة بامريكة فانه يكون قد مضي بعده في باريس خمس ساعات وثلاثة عشر دقيقة واذا كان وقته في مدينة ريوجانيرو بكسر الراء وضم الياء وكسر النون وسكون الياء فانه ثلاث ساعات تقريباً واذا كان نصف النهار في جزيرة كنفوا كرسي سلطنة ابريزيله في أمريكة الموسقو يكون نصف الليل في باريس فانهما متقاطران والمسافة بين باريس واسكندرية سبعمائة وتسعة وستون فرسخاً فرنساويا وبينها وبين القاهرة ثمانمائة وتسعة فراسخ وبينها وبين مكة المشرفة سبعمائة وأربعون فرسخاً وبينها وبين اسلامبول خمسمائة وستون فرسخا وبينها وبين حلب ثمان مائة وستة

وستون فرسخاً وبينها وبين مراكش سبعمائة وخمسة وعشرون فرسخاً وبينها وبين تونس ثلثمائة وسبعون فرسخاً وبينها بين مدينة لوندرة كرسى الانكليز مائة فرسخ وبينها وبين مدينة بترغ كرسي الموسقو خمسماية وستة وأربعون فرسخا وبينهـا وبين مدينة موسقو كرسي الموسقوبية القديم ستماية فرسخ وبينها وبين مدينة رومه كرسي البابا ثلاثماية وخمسة وعشرون فرسخا وبينها وبين مدينة بچه كرسى النمسا ثلثماية وخمسة وعشرون أيضا وبينها وبين مدينة نابلي ثلثماية واربعة وثمانون فرسخا وارتفاعها بالنسبة لسطح البحر المحيط ثمانية عشر قامة ومن المعلوم انها من بلاد المنطقة المعتدلة فليست فى غاية الحرارة ولا في غاية البرودة فان أقصى درجات الحر فيها يكون احدى وثلاثين درجة ونصف وهذا نادر والحر الاوسط تسعة وعشرون درجة وأقصى درجات البرد بها في الغالب اثنا عشر درجة وندر بلوغه ثمانية عشر والبرد الا وسط سبع درجات ومعلوم ان درجة الحر تحسب من شروع المتجمدات في الذوبان الى حد فور ان الماء ودرجات البرد من شروعه في الجمود والاغلب فيها عدم صحو الزمن وكثرة الغيوم بحيث تمكث الشمس في الشتاء عـدة أيام لا تتكشف ولا يرى جرمها غالبا وفي أيام الغيوم يصلح لها مافي ديوان الشهاب الحجازي من قول الشاعر

تظل الشمس ترمقنا بطرف * خفي مدنف من خلف ستر
تحاول فتق غيم وهو يأبي * كعنين يحـاول فتق بكر

وقد فقد بعض الشعراء الورقة المشتملة على البيت الاول وعثر على الورقة المشتملة على البيت الثاني من هذين البيتين فكمله بقوله

ازال الغيم ضوء الشمس عنا * فما زالت وقد حجبت بستر

تحاول فتق غيم وهو يأبي * كعنين يحاول فتق بكر

وقد ضمن هذا المعنى العلامة الصفتي في قوله

وطلعة مضر معشوقي ولكن * أريد وصالها وتريد هجري

احاول من تحجبها اختراقا * كعنين يحاول فتق بكر

وضمن ذلك أيضا في عكا فقال

وعكاء الفريدة في جمال * لها مهج الفرا عن دون مهر

وخاطبها سوى من كان فيها * كعنين يحاول فتق بكر

ففض ولي النعم ختامها وزالت بكارتها فكان ماظن انه عنين بالنسبة اليها هو شديد قوي على فض الختام لجميع مدن الشام وغير الشام وكان جديرا بقول الشاعر

يامليك الارض بشرا * لك فقد نلت الاراده

حصن عكار يقينا * هو عكا وزياده

وقد ارخ شعراء مصر أخذ مدن الشام والروم واجادوا * وأما المطر فانه لاينقطع في هذه المدينه فى سائر فصول السنة واذا نزل فى الغالب نزل بكثرة فلذلك احتاجوا في دفع ضرره الى جعل اعالى الدور منحدرة لتنزل منها المياه الى اسفل الدور وفي سائر البيوت والطرق مجار وبالوعات فترى وقت المطر سائر طرق باريس محدودة بمجار كالقنات الجارية المياه خصوصا وارض هذه المدينة مبلطة بالحجر فلا تتشرب المياه ابدا بل تسير الى هذه المجاري ومنها الى البالوعات وتغير مزاج الهوا والزمن فى باريس امر عجيب فانه قد يتغير فى اليوم الواحد او مع مابعده حال الزمن مثلا يكون فى الصباح صحو عجيب لايظن الانسان تغيره فلا يمضى نصف ساعة الا ويذهب بالكلية ويخلفه المطر الشديد وقديكون حر يوم

من الايام اربعة وعشرين درجة ولا يصل اليوم الآتي الى اثنى عشر وهكذا فقل ان يأمن الانسان تغير الوقت بهذه البلاد فمزاجها كمزاج أهلها كما سيأتي ومعلوم انه ينبغي ان يحفظ الانسان من ضرر هـذا التغير وان كان هوا باريس فى الجملة طيبا مناسبا للصحة ومع ان حرها لا يصل الى حر القاهرة فى الغالب فهو غـير مألوف ابدا ولعل ذلك للانتقال من شدة البرد الى شدة الحر وأما بردها فانه وان كان فى طاقة الانسان تحمله من غير عظيم تعب فانه لا يمكن للناس الشغل الا بالتدفئة بالنار فلذلك كانت سائر قهاويهـا وخاناتها ومعاملها وحوانيتها مداخن مبنية فى الاوض ليوقد فيها النار وهي مرتبة على وجه بحيث لا ينتشر فى الاوضة دخان الحطب فان هذه المداخن نافذة الى الهواء فيجذب الهوا الدخان ويطرده خارج البيت وفى بعض الاوض يصنعون نوعا من الفرن له باب من حديد ويلحقون به قصبة من صفيح وينفذون هذه القصبة فى فرجة تتصل بالهوا فيضعون الخشب في الفرن ويغلقون باب المحمى فيصعد الدخان جهة القصبة ومنها يصعد الى الخلا فتسخن الفرن وتحمي قصبتها فتسخن الاوضة او الرواق او نحوها وعندهم نوع آخر عجيب يسمى المداخن المسقوبية وعادة المدخنة او الفرن المسماة عند الفرنساوية بوالا ان ظاهرها مطلى طلاء عظيما في غاية النظافة والمدخنة دائما مرخمة الجوانب ولها عرصة من حـديد وهي عند الفرنساوية لحسن صناعتها من زينة المحل فيكتنفونها فى الشتاء ومن أعظم أكرام الضيف عندهم في الشتاء تقريبه جهة النار ولا عجب في ذلك نسأل الله انقاذنا من حر نار جهنم ولله در القائل

النار فاكهة الشتاء فمن يرد * أكل الفواكه شاتيا فليصطل

وبالجملة فالتدفئة في الشتاء عنـد الفرنساوية جزؤ من المؤنة فهـذا ما يستعينون به على البرد وأما ما يستعينون به على التوقى من ضرر المطر فهو المظلات المسماة في مصر بالشـمسيات يعني وقايات الشمس وتسمى تلك عند الفرنساوية وقاية المطر وفى الحر تمشي النساء بالشمسيات ولا يمكن للرجال ذلك أبداً وأرض هذه المدينة مفلحة دسمة مثمرة فكيف لا وما من بيت من البيوت الوافرة إلا وبه بسـتان عظيم الاشـجار والخضروات وغيرها وأغلب النباتات الغريبة توجد بهـذه البلدة فانهم يعتنون بتطبيع النباتات كالحيوانات الغريبة ببلادهم مثلا شجر النخل لا يخرج إلا فى الاقاليم الحارة ومع ذلك فان الفرنسـاوية صنعوا كل الحيل حتى زرعوا منه شيئاً وإن كان لايثمر الا أنه ينفعهم فى الرجوع اليه عند قراءتهم في علم النباتات وقد اشتهر عندنا أن النخل لا يوجـد إلا ببلاد الاسلام ويرد عليه انه عند كشف بلاد أمريكة وجدوا بهـا نخلا غير منقول كما هو الظاهر من بلادنا فانظر هذا مع قول الفاضل القزويني فى كتابه عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات مانصه * نخل شجرة مباركة عجيبة من عجائبها انها لا تنبت إلا فى بلاد الاسلام انتهي ولعل النخل الموجود فى غير بلاد الاسلام نوع مخصوص يصدق عليه اسم النخل عند أهل النباتات والمقصور على بلاد الاسـلام نخل التمر لمناسبة مزاج قطرها فتأمل وبقرب أرض باريس عين ماء معدني باردة الماء ويشقها نهران أحـدهما وهو الاعظم والاشهر يقال له نهر السين بفتح السين والآخر نهر غويلان قال بعض علماء الكيميا من الافرنج ان أقل المياه خليطاً بالمواد الخارجية نيـل مصر ونهر الكنك ببلاد الهند ونهر السين بباريس ويتفرع على ذلك اعتبار مائها في فن الطب

من الامور المناسبة لصحة الابدان وانه يحسن تطييب وطبخ الخضروات بها دون غيرها وتحليل الصابون بها للغسل ونحو ذلك وفى نهر السين بداخل باريس ثلاثة جزائر إحداها تسمى جزيرة السيتة وكان بها باريس القديمة والسيتة بكسر السين وسكون الياء وفتح الفوقية معناها المدينة فكأنه قيل جزيرة المدينة وشتان بين هذا وبين النيل والروضة والمقياس فان نزهة الانسان فى الروضة والمقياس لا تضاهي لان الخليج يعبر مصر والسين يعبر باريس إلا أن نهر السين بتمامه يشق باريز وتجري بها السفن العظيمة الوسق وبه الارصفة الجيدة والنظافة على حوافيه ومع ذلك فنزهته غير سارة وشتان أيضاً بين ماء النيل والسين من جهة الطعم وغيره فان ماء النيل لو كانت العادة جرت بترويقه قبل استعماله كما هو العادة فى ماء نهر السين لكان من أعظم الادواء وأقول أيضاً إنه فرق بعيد بين طعم ماء نهر السين وماء العيون والقطوع والسواقى ببلاد صعيد مصر وبالجملة والتفصيل ففرق بعيد بين تربة مصر وباريس ومياههما وفوا كههما إلا في نحو الخوخ وأقليمهما فلولا نجامة أهل باريس وحكمتهم وبراعتهم وحسن تدبيرهم واعتناؤهم بتعهد مصالح بلادهم لكانت مدينتهم كلا شيء فانظر مثلا الى نهر السين فانه وان كان نزهة في أيام الحر فانه قد يبلغ في وقت الشتاء ثماني درجات من الجمود والانعقاد حتى انه يمكن أن يداس عليه بالعربيات وانظر الى أشجار هذه المدينة فانها تكون مورقة في أيام الحر وفي أيام البرد لا تجدها إلا قرعة رديئة المنظر كأنها حطب مصلب وهذا فى سائر البلاد الباردة وقال بعضهم في هذا المعنى

سألت الغصن لم تعرى شتاء * وتبدو في الربيع وأنت كاسي

فقال لي الربيع على قدوم * خلعت على البشير به لباسي

وقال بعضهم في وصف يوم برد وأجاد في يوم برد جعله الله منه في حمي وبحال حرب كان الظفر فيه لابن ماء السماء كأنما ماجت الارض فرحاً لانهلال السحاب وقويت أوتادها إذ صار لها بالسماء من جبال المطر أمدّ الاسباب * وكأن السماء قد رأت ما بالارض من السرور * فبعثت تهنيها بصوت الرباب * فلكم تفتحت أعين النور لعيون الغمام الساجمة * ولكم استمرت به مسرة واستقرت به سائمة * ولكم ضحكت الارض لبكاء السماء بمدامعها * وظهر البشر على وجهها وانظر الى زمن تلك المدينة فانه دائماً معتم في سائر أيام الشتاء وغالب أيام الحر فاذا تنزه الانسان ساعة تنكد ساعة أخرى وذهب حظه بالرعد والبرق وانهطال المطر والصواعق وأهلها لا يبالون بذلك فيقال في سائر أيامها ما قاله بعضهم في وصف يوم شديد البرد من أنه يوم يجمد خمره ويخمد جمره ويخف فيه الثقيل اذا هجر ويثقل فيه الخفيف اذا هجم إلا أن الفرنساوية يكثرون من الملاهي في ليالي الشتاء لانهم يبذلون جهدهم في التوقي من مضارها نسأل الله تعالى الوقاية من برد الزمهرير فلو تعهدت مصر وتوفرت فيها أدوات العمران لكانت سلطان المدن ورئيسة بلاد الدنيا كما هو شائع على لسان الناس من قولهم مصر ام الدنيا وقد مدحتها مدة إقامتي بباريس بقصيدة تتضمن مدح ولي النعمة دام عز دولته آمين وها هي هذه القصيدة

ناح الحمام على غصون البان * فأباح شيمة مغرم ولهان
ما خلته مذ صاح الا أنه * أضحى فقيد أليفه ومعاني
وكأنه يلقي إلى اشارة * كيف اصطباري مذ نأى خلاني

مع انى والله مذ فارقتهم * ماطاب لي عيشي وصفو زماني
لكنني صب أصون تلهفى * حتى كأني لست باللهفان
وبباطن الاحشاء نار لو بدت * جمراتها ما طاقها الثقلان
أبكى بعيني مهجتي لفراقهم * وأود أن لا تشعر العينان
لي مذهب في عشقهم واريته * ومذاهب العشاق فى اعلان
ماذا علي اذا كتمت صبابتي * حتى لو أن الموت في الكتمان
ما أحسن القتلى بأغصان النقى * ما أطيب الاحزان بالغزلان
قالوا اتهوى والهوي يكسوا الفتى * أبداً ثياب مذلة وهوان
فاجبتهم لو صح هذا انني * أختارذلي فيه طول زماني
والذل للعشاق غير معرة * بل عين كل معزة للعاني
أصبوا الى من حاز قدا أهيفا * يزري ترنحه بغصن البان
واحن نحو شقيق تم خده * قد نم فيه شقائق النعمان
ويروقني أبدا نزاهة مقلتى * فى حسن طلعة فاتك فتان
أمسي واصبح بين شعر حالك * ومنير وجه هكذا الملوان
ولطالما قضيت معه حقبة * ونسيم مصر معطر الاردان
زمن على به لمصر فديتها * حق وثيق عاطل النكران
لو شابهت عيناي فائض نيلها * لم يوف بعد شفائه أحزاني
او لو حكي قلبي بحار علومها * طربا لما أشكوا من الخفقان
ولكم بازهرها شموس اشرقت * وأنارت الاكوان بالعرفان
فشذا عبير علومهم عم الوري * وسرت مآثرهم لكل مكان
وحوتهمو مصر فصارت روضة * وهمو جناها المبتغي للجاني
قد شبهوها بالعروس وقد بدا * منها العروسي بهجة الاكوان

قالوا تعطر روضها فاجبتهم * عطارها حسن شذاه معاني
حبر له شهدت اكابر عصره * بكمال فضل لاح بالبرهان
لو قلت لم يوجد بمصر نظيره * لاجبت بالتصديق والاذعان
هذا لعمرى ان فيها سادة * قد زينوا بالحسن والاحسان
ياأيها الخافى عليك فخارها * فاليك أن الشاهد الحسنان
لو كنت أقسم أن مصر لجنة * لابر ككل البر في أيماني
دار يحق لها التفاخر سيما * بعزيزها جدوي بني عثمان
حاز المحامد اذ دعي بمحمد * ورقى العلى فعلى على الاقران
من كان مثل أميرنا فقرينه * اسكندراو كسرى انوشروان
في وجهه النصر القريب على العدا * لاحت بشائره لكل معاني
في كفه سيفان سيف عناية * والشهم ابراهيم سيف ثاني
سل عنه ينبيك الحجاز مشافها * بدمار اهل السيف والبهتان
من قبل كانت سبلة مذعورة * والآن صارت في كمال أمان
لاغرو أن نجد أدامت شكره * فلقد كساها حلة الايمان
وسعت إلى زنج طلايع جيشه * فاطاعت العاتي من السوداني
وتقلب الاروام عدل شاهد * كم منه قد نالوا شديد طعان
حتي لقد باؤا بوافر خزيهم * وتقاسموا حظاً من الخسران
لم تخط قامة رمحه أغراضها * واصابة الاغراض نيل أماني
أحيي بدولته علوماً قد غدت * لوضوحها تجلى على الاذهان
بطل مكارمه الجليلة قلدت * هام الزمان مكلل التيجان
يهنيك يامصر لقد حزت البها * بمحمد باشا على الشان
فاحظي بفاخر حكمه وتمتعي * وبذلك افتخرى على البلدان

مدى اكف الشكر وابتهلي بان * يبقيه مولاه طويل زماني

وأما مصر فانها سليمة من مكاره برد باريس كما أنها خالية أيضاً عن الامور المحتاج اليها في وقت الحر مثل الاستعانة على تطرية الزمن فان أهل باريس مثلا سهل عندهم رش ميدان متسع من الارض وقت الحر فانهم يصنعون دنا عظيما ذا عجلات ويمشون العجلة بالخيل ولهذا الدن عدة بزابيز مصنوعة بالهندسة تدفع الماء بقوة عظيمة وعزم سريع فلا تزال ماشية والبزابيز مفتوحة حتي ترش قطعة عظيمة في نحو ربع ساعه لا يمكن رشها بجملة رجال في أبلغ من ساعة ولهم غير ذلك من الحيل فمصرنا أولى بهذا لغلبة حرها ثم من غرائب نهر السين انه يوجد فيه مراكب عظيمة فيها أعظم حمامات باريس المشيدة البنا وفي كل حمام منها أبلغ من ماية خلوة وسيأتي ذكرها ومن الامور المستحسنة أيضاً انهم يصنعون مجاري تحت الارض توصل ماء النهر الى حمامات أخرى وسط المدينة أو الى صهاريج بهندسة مكملة فانظر أين سهولة هذا مع ملئ صهاريج مصر بحمل الجمال فان ذلك أهون مصرفا وأيسر في كل زمن وشطوط هذا النهر داخل المدينة مرصعة بحيطان عظيمة عالية فوق الماء نحو قامتين يطل المار بجانبها على النهر وهي محكمة البناء وقناطر هذا النهر بباريس ستة عشر قنطرة فمنها قنطرة تسمي قنطرة بستان النباتات ولها أربعماية قدم من الطول وعرضها سبعة وثلاثون قدما ولهذه القنطرة خمسة قواصير من الحديد محكمة ومسنودة على حجارة من أحجار النحاتة وقد بنيت هذه القنطرة في خمس سنوات وصرف فيها ثلاثون مليون فرنك يعني ثلاثين الف الف فرنك وتسمي هذه القنطرة قنطرة استرلتز سميت بذلك باسم محل غلب فيه نابليون ملك النيمسا والموسقو فيقال لهذه الواقعة

واقعة أستر لتز ويقال لها واقعة السلاطين الثلاثة ويقال لها واقعة موسم تتويج نابليون واستر لتز بلدة وقعت هذه النصرة بقربها وهذه النصرة تستحق عند الفرنساوية الذكر الجميل على ممر الدهور فلذلك ابدوها ببناء هذه القنطرة فتسميتها بهذا الاسم للتذكار وبقاء الآثار ونهر السين يشق باريس نحو فرسخين وعرضه فيها مختلف فعند القنطرة المتقدمة يكون من الطول مائة ستة وستين مترا وقوة سير مياهه المتوسطة عشرون برمقا في كل ثانية او الف ومائتين في كل دقيقة وسطح أرض باريس صنفان فالاول جبس والثاني طين ماء نهر السين بعد زيادته وأرضها مركبة من راقات مختلفة فالراق الاول مزرعة طينية مرملة ذات حصي الثاني طفل مختلط بجبس وصدف الثالث طفل صواني الرابع طفل جيري صدفي الخامس حجر الجير المخلوط بصدف السادس البحر الملح السابع طين شبيه بالابليزي الثامن طباشير وجير مفحوم طباشيري ثم أن هذه المدينة مشقوقة ومحتاطة بصفوف أشجار مرصوصة على سمت الخطوط المتوازية لايخرج بعضها عن بعض أبداً وعلى منوالها بطريق شبرا وفي أبي زعبل وجهاد أباد وهي مورقة في أيام الحر يستظل المار بها من حر الشمس وتسمي البلوار بضم الباء وسكون اللام فيوجد في باريس بلوارات خارجة كالسور للمدينة وبلوارات داخل المدينة ومحيط البلوارات الخارجة أبلغ من خمسة فراسخ ونصف وعدد بلوارات باريس اثنان وعشرون بلواراً وفي هذه المدينة عدة فسحات عظيمة تسمى المواضع يعني الميادين كفسحة الرميلة بالقاهرة في مجرد الاتساع لافي الوساخة وعددها خمسة وسبعون ميداناً ولهذه المدينة أبواب خارجية برانية كباب النصر بالقاهرة وهي ثمانية وخمسون باباً وبهذه المدينة أربع قنايات وثلاثة دواليب لجري

المياه بالنواعير الا أنها عظيمة وستة وثمانون صهريجاً ومائة وأربعة عشر حنفية على الطرق ومما يدل على عمارة هذه المدينة كون أهلها دائما في الزيادة البينة وأرضها في الاتساع وعماراتها في التكميل والتحسين فان أهلها الآن يعنى أهل الاستيطان بها نحو مليون من الانفس ومحيطها سبع فراسخ فرنساوية ومطايا هـذه المدينة كغيرها من بلاد فرانسا العربات الا أنه يكثر فيها ذلك ويتنوع ولا تزال تسمع بها قرقعة العربات ليلا ونهارا بغير انقطاع وسيأتي تفصيل ذلك في غير هذا المحل

﴿ الفصل الثاني فى الكلام على اهل باريس ﴾

أعلم ان الباريزيين يختصون من بين كثير من النصارى بذكاء العقل ودقة الفهم وغوص ذهنهم في العويصات وليسوا مثل النصارى القبطة في أنهم يميلون بالطبيعة الى الجهل والغفلة وليسو اسراء التقليد أصلا بل يحبون دائما معرفة أصل الشيء والاستدلال عليـه حتى ان عامتهم أيضا يعرفون القرأة والكتابه ويدخلون مع غيرهم في الامور العميقه كل انسان على قدر حاله فليست العوام بهـذه البلاد من قبيل الانعام كعوام أكثر البلاد المتبربرة وسائر العلوم والفنون والصنائع مدونة في الكتب حتى الصنائـع الدنيئة فيحتاج الصنائعي بالضرورة الى معرفة القرأة والكتابة لاتقان صنعته وكل صـاحب فن من الفنون يحب ان يبتدع فى فنه شيأ لم يسبق به أو يكمل ما ابتدعه غيره ومما يعينهـم على ذلك زيادة عن الكسب حب الريا والسمعة ودوام الذكر فهم يقتدون بقول الشاعر

لعمري رأيت المرء بعد زواله ❊ حديثا بما قد كان ياتي ويصنع

فحيث الفتى لابد يذكر بعده * فذكراه بالحسنى أجل وارفع

وقول ابن دريد

وانما المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن وعي

وقيل لاسكندر لو استكثرت من النساء كثر ولدك وطاب بهم ذكرك فقال دوام الذكر في حسن السيرة والسنن ولا يحسن لمن غلب الرجال ان تغلبه النساء ومن طباع الفرنساوية التطلع والتولع بسائر الاشياء الجديدة وحب التغيير والتبديل في سائر الامور خصوصا في أمر الملبس فانه لاقرار له أبدا عندهم ولم تقف لهم الى الآن عادة فى التزيي وليس معنى هذا انهم يغيرون ملبسهم بالكلية بل معناه أنهم يتنوعون فيه مثلا لا يغيرون لبس البرنيطة ولا ينتقلون منها الى العمامة وانما هم تارة يلبسون البرنيطه على شكل ثم بعد زمن ينتقلون منه الى شكل آخر سواء في صورتها أو لونها وهكذا ومن طباعهم المهارة والخفة فان صاحب المقام قد تجده يجري في السكة كالصغير ومن طباعهم أيضا الطيشان والتلون فينتقل الانسان منهم من الفرح الى الحزن وبالعكس ومن الجد الى الهزل وبالعكس حتى ان الانسان قد يرتكب في يوم واحد جملة أمور متضادة وهذا كله في الامور الغير المهمة وأما في الامور المهمة فارآؤهم في السياسات لاتتغير كل واحد يدوم على مذهبه ورأيه ويؤيده مدة عمره ومع كثرة ميلهم الى أوطانهم يحبون الاسفار فقد يمكثون السنين العديدة والمدة المديدة طوافين بين المشرق والمغرب حتى أنهم قد يلقون أنفسهم في المهالك لمصلحة تعود على أوطانهم فكأنهم مصداق قول الحاجري

كل المنازل والبلاد عزيزة * عندي ولا كمواطني وبلادي

وقال آخر

نقل فؤادك ما استطعت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يالفه الفتى * وحنينه أبدا لاول منزل

ومن خصالهم محبة الغربا والميـل الى معاشرتهـم خصوصا اذا كان الغريب متجملا بالثياب النفيسة وانما يحملهم على ذلك الرغبة والتشوف الى السؤال عن أحوال البلاد وعوائد أهلها ليظفر وابمقصدهم في الحضر والسفر وقد جرت عادة النفوس الى الطمع من الدنيا بما لا تظفر به كما قال الشاعر

ان النفوس على اختلاف طباعها * طمعت من الدنيا بما لم تظفر

وليس عندهم المواساة الا باقوالهم وافعالهم لا باموالهم الا انهـم لايمنعون عن أصحابهم مايطلبون استعارته لاهبته الا اذا وثقوا بالمكافئة وهم في الحقيقة أقرب للبخل من الكرم وقد ذكرنا علة ذلك فى ترجمتنا مختصر السير والعوائد فى ذكر الضيافة وفى الحقيقة أصل السبب هو ان الكرم فى العرب ومن أوصافهم توفيتهم غالبا بالحقوق الواجبه عليهـم وعدم اهمالهم أشغالهم ابدا فانهم لايكلون من الاشغال سواء الغني والفقير فكان لسان حالهم يقول ان الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيها ومن المركوز فى طبعهم حب الريا والسمعة لا الكبر والحقد فهم كما يقولون في مدح أنفسهم أخلص قلوبا من الغنم عند ذبحها وان كانوا عند الغضب أشد افتراسا من النمور فان الانسان منهـم اذا غضب قد يؤثر الموت على الحياة فقبل ان يفوت زمن يسير من غـير ان يقتل انسان نفسه خصوصا من داء الفقر والعشق ومن طباعهم الغالبة وفاء الوعد وعدم الغدر وقلة الخيانة ومن كلام بعض الحكما المواعيد شباك الكرام يصطادون بها محامد الاحرار وقال آخر كفر النعمة من لؤم الطبيعة ورداءة الديانة

وقال آخر الشكر وكاء النعمة والوفاء به صلاح العقبي وقيل وعدالكريم الزم من دين الغريم وقال بعضهم الخيانات تؤذي الامانات ومن طباعهم الغالبة الصدق ويعتنون كثيرا بالمروءة الانسانية قال بعضهم فى مدحها المروءة اسم جامع للمحاسن كلها ومن الصفات التي يقبح وصف الانسان بها عندهم كفر النعم مثل غيرهم فيرون ان شكرهم المنعم واجب وأظن ان جميع الامم ترى ذلك وان كانت قد تفقد هذه الصفة عند أفراد فهو خروج عن الطبع فهي كشفقة الوالد وبر الولد فانهما قد يتخلفان في بعض الافراد مع انهما صفتان جبليتان عند سائر الامم والملل ومن خصالهم أيضا صرف الاموال في حظوظ النفس والشهوات الشيطانيه واللهو واللعب فانهم مسرفون غايه السرف ثم ان الرجال عندهم عبيد النساء وتحت أمرهم سواء كن جمالات أم لاقال بعضهم ان النساء عند الهمل معدات للذبح وعند بلاد الشرق كامتعة البيوت وعند الافرنج كالصغار المدلعين قال الشاعر

أعص النساء فتلك الطاعة الحسنه * فلن يسود فتى يعطى النسا رسنه
يعقنه عن كثير من فضائله * ولو سعى طالباً للعلم الف سنه

ولا يظن الافرنج بنسائهم ظناً سيئاً أصلا مع أن هفواتهن كثيرة معهن فان الانسان منهم ولو من أعيانهم قد يثبت له فجور زوجته فيهجرها بالكلية وينفصل عنها مدة العمر فلا يعتبر الآخرون بذلك مع انه ينبغي الاحتراس منهن كما قال الشاعر

لا يكن ظنك إلا سيئاً * بالنسا ان كنت من أهل الفطن
ما رمي الانسان فى مهلكة * قط إلا ظنه الظن الحسن

ومن كلام العرب العربا خطابا لزوجته .

ان امرءً غره منكن واحدة * بعدي وبعدك في الدنيا لمغرور

ومن الامور المستحسنة فى طباعهم الشبيهة حقيقة بطباع العرب عدم ميلهم الى حب الاحداث والتشبب فيهم أصلا فهذا أمر منسي الذكر عندهم تأباه طبيعتهم وأخلاقهم ومن محاسن لسانهم وأشعارهم انها تأبي تغزل الجنس في جنسه فلا يحسن فى اللغة الفرنساوية قول الرجل عشقت غلاما فان هذا يكون من الكلام المنبوذ المشكل فلذلك اذا ترجم أحدهم كتابا من كتبنا يقلب الكلام الى وجه آخر فيقول في ترجمة تلك الجملة عشقت غلامة أو ذاتا يتخلص من ذلك فانهم يرون هذا من فساد الاخلاق والحق معهم وذلك أن أحد الجنسين له فى غير جنسه خاصة من الخواص يميل بها اليه كخاصة المغناطيس في جذب الحديد مثلا وكخاصة الكهرباء فى جذب الاشياء ونحو ذلك فاذا اتحد الجنس انعدمت الخاصة وخرج عن الحالة الطبيعية وهذا الامر عندهم من أشد الفواحش حتى انه قلما ذكروه صريحاً في كتبهم بل يكنون عنه بما أمكن ولا يسمع التحدث به أصلا ويعجبني قول الشيخ عباس اليمني

كلفت بسعدي والرباب وزينب * ولم أعتبر أس العذار ولامه
ولا اخترت تشبيباً بأمرد مذهبا * وإن ذم طبعي من يراه ولامه
وما حسنه عندي سوى فى مجاجة * وحمل قناة كالشهاب ولامه
ويغشى سعير الحرب ليس يصده * حنانيك عن ضرب الرقاب ولامه

ومن خصالهم الرديئة قلة عفاف كثير من نسائهم كما تقدم وعدم غيرة رجالهم فيما يكون عند الاسلام من الغيرة ومما قاله بعض أهل المجون الفرنساوية لا تغتر بإباء امرأة اذا سألتها قضاء الوطر ولا تستدل بذلك

على عفافها ولكن على كثرة تجربتها انتهى كيف والزنا عندهم من العيوب والرذائل لا من الذنوب الاوائل خصوصاً فى حق غير المتزوج فكان نساءهن مصداق قول بعض الحكماء لا تغتر بامرأة ولا تثق بمال وان كثر * وقال آخر النساء حبائل الشيطان * وقال الشاعر

تمتع بهاماساعفتك ولا تكن جزوعا * اذا بانت فسوف تبين *
فان هى أعطتك الليان فانها * لآخر من طلابها ستلين
وان خلفت لاينقض النأي عهدها * فليس لمخضوب البنان يمين

وبالجملة فهذه المدينة كباقى مدن فرانسا وبلاد الافرنج العظيمة مشحونة بكثير من الفواحش والبدع والضلالات وان كانت مدينة باريس من أحكم سائر بلادالدنيا وديار العلوم البرانية واثينة الفرنساوية وقد قابلتها فيما تقدم نوع مقابلة باثينة أي مدينة حكماء اليونان ثم رأيت بعض أهل الأدب من الفرنساوية قال ما معناه أن الباريزيين أشبه الناس بأهل آثينة أو هم اثينيوهذا الزمان وانعقولهم رومانية وطباعهم يونانيه انتهى وقد أسلفنا أن الفرنساوية من الفرق التي تعتبر التحسين والتقبيح العقليين وأقول هنا انهم ينكرون خوارق العادات ويعتقدون انه لا يمكن تخلف الامور الطبيعية أصلا وإن الاديان إنما جاءت لتدل الانسان على فعل الخير واجتناب ضده وان عمارة البلاد وتطرق الناس وتقدمهم في الآداب والظرافة تسد مسد الأديان وإن الممالك العامرة تصنع فيها الامور السياسية كالأمور الشرعية ومن عقائدهم القبيحة قولهم أن عقول حكمائهم وطبائعيهم أعظم من عقول الأنبياء وأزكى منها ولهم كثير من العقائد الشنيعة كانكار بعضهم القضاء والقدر مع أن من الحكم *العاقل من يصدق بالقضاء ويأخذ بالحزم فى سائر الأشياء

وان كان لا ينبغي للانسان أن يحيل الاشـياء على المقادير أو يحتج بها قبل الوقوع فان من الامثال التي سارت بها الركبان * من دلائل العجز كثرة الاحالة على المقادير ومن كلام بعضهم اذا وقعت المجادلة فالسكوت أفضل من الكلام واذا وقعت المحاربة فالتدبير أفضل من التقدير ومنهم جماعة يعتقدون أن الله تعالى خالق الخلق ونظمهم نظاماً عجيباً فرغ منه ثم لا يزال يلاحظهم بصفة له تعالى تسـمى صفة العناية والحفظ تتعلق بالممكنات إجمالا بمعنى انها تمنعها عن خلل انتظام الملك وسنذكر بعض عقائدهم في غير هذا المحل ثم ان لون أهل باريس البياض المشرب بالحمرة وقل وجود السمرة في أهلها المتاصلين بها وانما ندر ذلك لانهم لا يزوجون عادة الزنجية للابيض أو بالعكس محافظة على عدم الاختلاط في اللون بل لا يعدون انه قد يكون للزنج جمال أصلا بل لون السواد عنـدهم من صفات القبح فليس لهم في المحبة مذهبان ولا يحسن عندهم قول الشاعر في غلام أسود

لك وجه كأن بناني خطتـــه بلفظ تمـــله آمالي * فيه معنى من البدور ولكن نفضت صبغها عليه الليالي

بل لسان حالهم دائماً ينشد قول الآخر

ألا ان عندي عاشق السمر غالط * وان الملاح البيض أبهى وأبهج

واني لاهوى كل بيضاء غادة * يضيء لها وجه وثغر مفلج

وحسبي اني اتبع الحق في الهوى * ولاشك أن الحق أبيض أبلج

على أنه لا يحسن عند الفرنساوية استخدام جارية سوداء في الطبخ ونحوه لما ركز في أذهانهم ان السودان عارون عن النظافة اللازمة ونساء الفرنساوية بارعات الجمال واللطافة حسان المسـايرة والملاطفة

يتبرجن دائماً بالزينة ويختلطن مع الرجال في المتنزهات وربما حدث التعارف بينهن وبين بعض الرجال في تلك المحال سواء الاحرار وغيرهن خصوصاً يوم الاحد الذي هو عيد النصارى ويوم بطالتهم وليلة الاثنين في البالات والمراقص الآتي ذكرها ويحسن قول بعضهم شعر

والراقصات وقد مالت ذوائبها * على خصور كاوساط الزنابير

يخفي الرداء سقمها عنا فيفضحها * عقد البنود وشدات الزنانير

ومما قيل أن باريس جنة النساء وأعراف الرجال وجحيم الخيل وذلك أن النساء بها منعمات سواء بمالهن أو بجمالهن وأما الرجال فانهم بين هؤلاء وهؤلاء عبيد النساء فان الانسان يحرم نفسه وينزه عشيقته وأما الخيل فانها تجر العربيات ليلا ونهاراً على أحجار أرض باريس خصوصاً اذا كانت المستأجرة للعربية امرأة جميلة فان العربجي يجهد خيله ليوصلها الى مقصدها عاجلا فالخيل دائماً معذبة بهذه المدينة وحيث أن باريس من بلاد الفرنسيس فمعلوم أن لسان أهلها هو اللسان الفرنساوي ولنذكر هنا نبذة من ذلك فنقول اعلم أن اللسان الفرنساوي من الافرنجية المستحدثة وهو لسان الغلوية يعني قدماء الفرنسيس ثم كمل من اللغة اللاطينية وأضيف اليه شيء من اللغة اليونانية النيمساوية ويسير من لغة الصقالبة وغيرها ثم حين برع الفرنساوية في العلوم نقلوا كلمات العلوم من لغات أهلها وأكثر الكلمات الاصطلاحية يونانية حتى كان لسانهم من أشبع الالسن وأوسعها بالنسبة لكثرة الكلمات غير المترادفة لا بتلاعب العبارات والتصرف فيها ولا بالمحسنات البديعية اللفظية فانه خال عنها وكذا غالب المحسنات البديعية المعنوية وربما عد ما يكون من المحسنات في العربية ركاكة عند الفرنسيس مثلا لا تكون

التورية من المحسنات الجيدة الاستعمال إلا نادراً فان كانت فهي من هزليات ادبائهم وكذلك مثل الجناس التام والناقص فانه لا معنى له عندهم وتذهب ظرافة ما يترجم لهم من العربية مما يكون مزيناً بذلك مثل قول صاحب البديعية

من العقيق ومن تذكار ذي سلم * براعة العين في استهلالها بدم
ومن أهيل التقى ثم التقى وبدا * تناقض الجسم من ضر ومن ضرم

ولا يمكن أن ينقل الى لغاتهم ماقلته في نظم مصطلح الحديث

صحيح جسمي من فرط الجوى عضلا * ومرسل الدمع من عيني قد اتصلا
تواترت قصتي في الناس قاطبة * حتى لضعفي رثالي كل من عذلا
تغنمن السحب عن عيني روايتها * كما يسلسل عنها القطر اذ همـلا
رفعت أمري الى قاضي الهوى فأبي * وقال مالي على هذا المليح ولا
ياقلب صبراً على مافيك من علل * ولا تشـذ وتجزع واترك المللا
ودع بقيـة ما ابقاه من رمق * لديه لاتعتـبر تعنيف من عـذلا
فذاك لاح وبالتـدليس مشـتهر * وقوله منكر زور وما قبـلا

الى آخر قولي فيها

وقفت حبي عليـه لايجـاوزه * وهكذا شأن صب في الهوى كملا

وسيأتي تتميم الكلام على ذلك وبالجملة فلكل لسان اصطلاح واصطلاح اللغة الفرنساوية تقليل التصريف ما أمكن وتصريف الفعل مع فعل آخر مثلا اذا أراد الانسان يخبر بانه أكل فانه يقول املك مأكولا يعني فلا يمكن تصريف أكل في بعض أحواله الا مع فعل الملك أو التلبس فكانه يقول تلبست بالاكل واذا أراد أن يقول خرجت يقول أنا أكون مخرجا يعني خرجت وهكذا ويسمي فعل الملك وفعل الكينونه فعلين مساعدين يعني أنهما يعينان على تصريف الافعال ويتجردان عن معناهما الاصلي واذا أرادوا تعدية

الفعل قالوا فعلت له الاكل يعني جعلته يأكل أو اكلته وفعلت له الخروج يعني أخرجته وهكذا فلا يمكنهم تصريف الافعال كما يمكن في اللغة العربية فلذلك كانت لغتهم ضيقة من هذه الحيثية ثم أن قواعد اللسان الفرنساوي وفن تركيب كلماته وكتابتها وقراءتها يسمى أغرماتيقى بالهمزة وسكون الغين وفتح الراء وتشديد الميم وكسر التاء وفتح القاف وأغرمير بتشديد الميم عند الفرنسيس ومعناه فن تركيب الكلام من لغة من اللغات فكأنه يقول فن النحو فيدخل فيه سائر ما يتعلق باللغة كما نقول نحن علوم العربية ونريد بها الاثني عشر علماً المجموعة في قول شيخنا العطار

نحو وصرف عروض بعده لغة * ثم اشتقاق قريض الشعر انشاء
كذا المعاني بيان الخط قافية * تاريخ هذا لعلم العرب احصاء

وبعضهم زاد البديع وآخر استحسن زيادة التجويد وبالجملة فباب الزيادة والنقص فيها مفتوح اذا حصرها وتقسيمها في ذلك جعلي لا حصري والظاهر أن هذه العلوم جديرة بأن تسمي مباحث علم العربية فقط فكيف يكون كل من الشعر والقريض والقافية علما مستقلا برأسه وكل من النحو والصرف والاشتقاق علماً برأسه وانظر ما المراد بالتاريخ وبكونه من العلوم العربية مع أن أول من الف فيه علماء اليونان وأول ماظهر في هذا الفن كتب أو ميروس في واقعة ترواده ولم تؤلف فيه العرب الا في الازمنة الاخيرة وعلم الخط قديم أيضاً فالافرنج يدخلون هذه المباحث في علم تركيب الكلام بل ويعدون منه المنطق والوضع والمناظرة ثم أن اللغة الفرنساوية كغيرها من اللغات الافرنجية لها اصطلاح خاص بها وعليه ينبني نحوها وصرفها وعروضها وقوافيها وبيانها وخطها وانشاؤها ومعانيها وهذا مايسمى اغرماتيقى فحينئذ سائر اللغات ذات القواعد لها

فن يجمع قواعدها سواء كانت لدفع الخطأ في القراءة والكتابه فيها أو لتحسينها فحينئذ ليست اللغة العربية هي المقصودة على ذلك بل كل لغة من اللغات يوجد فيها ذلك نعم اللغة العربية أفصح اللغات وأعظمها وأوسعها وأعلاها على السمع فحينئذ العالم باللغة اللاطينية يعرف سائر ما يتعلق بها فله ادراك في النحو في حد ذاته وفي غيره كالصرف فمن الجهل أن يقال انه لايعرف شيا بدليل جهله باللغة العربية واذا تبحر الانسان في لغة من اللغات كان عالما باللغة الاخري بالقوة يعني أنه لو ترجم له مافي اللغة الاخري وعبر له عنه كان قابلا لتلقيه ومقابلته بلغته بل ربما كان يعرفه من قبل ويعرف زيادة عليه ويبحث فيه ويبطل منه مالا يقبله العقل كيف والعلم هو الملكة وحينئذ فقد لايعرف الانسان المطولات باللغة العربية ويعرفه باللغة الفرنساوية لو ترجم له على ان كل لغة مخدومة فلها مطولها وأطولها وسعدها نعم ليس كل مائع ماء ولا كل سقف سماء ولا كل بيت بيت الله ولا كل محمد رسول الله وكما قال الشاعر.

هيهات ما كل النسيم حجازيا * ولا كل نور يبهج الشرق والغربا

وقال آخر

وما كل مخضوب البنان بثينه * ولا كل مسلوب الفؤاد جميل

فلا شك أن لسان العرب هو أعظم اللغات وأبهج وهل ذهب صرف يحاكيه بهرج ولله در من قال :

يليق الخطاب اليعربي بأهله * فيهدي الوفا للنقص والحسن للقبح

ومن شرف الاعراب ان محمداً * أتى عربي الاصل من عرب فصح

وأن المثاني أنزلت بلسانه * بما خصصته في الخطاب من المدح

ومع مايتراآء ان الاعجام لاتفهم لغة العرب اذا لم تحسن التكلم بها كالعرب فهذا لاأصل له ومما يدلك على ذلك أني اجتمعت في باريس بفاضل من فضلاء الفرنساوية شهير في بلاد الافرنج بمعرفة اللغات المشرقية خصوصا اللغة العربية الفارسية يسمى البارون سلوستري دساسي وهومن أكابر باريس واحد أعضاء جملة جمعيات من علماء فرانسا وغيرها وقد انتشرت تراجمه في باريس وشاع فضله في اللغة العربية حتى انه لخص شرحا للمقامات الحريرية وسماه مختار الشروح وقد تعلم اللغة العربية على ماقيل بقوة فهمه وذكاء عقله وغزارة علمه لابواسطة معلم الا في مبدء أمره ولم يحضر مثل الشيخ خالد فضلا عن حضور المغني مع انه يمكنه قرأة المغنى كيف وقد درس البيضاوي عدة مرات غير انه حين يقرأ ينطق كالعجم ولا يمكنه ان يتكلم بالعربية الا اذا كان بيده الكتاب فاذا أراد شرح عبارة أغرب في الالفاظ التي يتعذر عليه تصحيح نطقها ولنذكر لك خطبته في شرحه لمقامات الحريري لتعرف نفسه في التأليف وقلم عبارته فانه بليغ وان كان به يسير من الركاكة وسبب ذلك انه تمكن من من قواعد الالسن الافرنجية فلذلك مالت اليها عبارته في العربية قال في طالعة شرحه التي حاول فيها الجرى على نهج دينه ودين الاسلام من غير ان يتعين أحدهما

بسم الله المبدئ المعيد * الحمد لله العالي المتعالى * الذي له الاسماء الحسنى * ولا يخالط صفاته عزوجل من صفات المخلوق شئ أقصى ولا أدنى * العليم الذي ليس لعلمه نهايه * والحكم الحكيم الذي حكمه وحكمته وراء كل حد وغايه * لايحصر لاهوت وجوده زمان ومكان * ولا يشوب صفاء جبروته شائبة زيادة ولا نقصان * مسبب الاسباب الذي

لايتحرك في أطراف الارض والسماء متحرك الا بقدرته وأرادته * ولا يتكلم في أكناف الافاق متكلم الا بالهامه وأفادته * أحمده حمد من اعترف بتقصير فهمه وضعف عقله * فهداه برحمته وتوفيقه الى تحصيل بعض العلوم والفنون * واشكر له شكر من كان يخبط في ظلام الجهل فاخرجه برأفته وتأييده الى فضاء الرشد ونور التميز حتى عرف الحق اليقين من أباطيل الظنون * ثم أتوسل اليه سبحانه وتعالى بأنبيائه المرسلين وأوليائه المقربين الذين كل واحد منهم كالغرة على جبهة الدهر * وكالتاج على مفرق العصر * وأسأله عز وجل ان يجعلني من عباده المهتدين * الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين * انه على كل شيء قدير وبأجابة هذا الدعاء جدير * أما بعد لما فضل الله جنس الناس على سائر المبتدعات بفوائد الافهام * واختص بني آدم من بين أصناف الحيوانات بكرامة الكلام * بعث في كل أمة من الأمم من يكون في تمهيد قواعد البلاغة واستنباط أحكام شريعتها معروفا مشهورا * ويصير لسالك طريقة الفصاحة أماما ودستورا فممن اشتهر بذلك بين الانام وصار المشار اليه في هذا الباب عند أهل الاسلام * مؤلف المقامات المشهور بالحريري وهو الشيخ الامام أبو محمد القاسم ابن علي ابن محمد بن عثمان البصري الذي ازدرى من كان قبله من الادباء والفصحاء واجهد من جاء بعده من الظرفاء والبلغاء * فاني لما رأيت ان كتابه المذكور لم يزل مذ الفه الى يومنا هذا لعلم الادب كالعلم المشهور يحسبه الخاصة والعامة واسطة عقده * وخلاصة نقده * ويعتقدونه نور مصباحه وضياء صباحه بل لايشك احد منهم انه ازهار بستانه وأثمار جنانه * وزلال مائه ونسيم هوائه * احببت ان أشرحه شرحا متوسطا

بين الايجاز والتطويل * أكشف الغطا عن مشكلاته ومجملاته بالتفسير والتفصيل * وقد شرح المقامات الحريرية من علماء المشرق والمغرب كثير ذكرهم الحاج خليفة في كتابه المسمى كشف الظنون * عن أسامي الكتب والفنون * وما وصل بدي اليه من مؤلفاتهم شروح أربعة منها غريب الايضاح في غريب المقامات الحريرية للامام برهان الدين أبي الفتح ناصر ابن عبد السيد المطرزي الخوارزمي المتوفى سنة عشر وستماية وهذا الشرح مع وجازته كتاب مفيد محصل للمقصود والمطرزي كانت له معرفة تامة بالنحو واللغة والشعر وأنواع الادب وهو صاحب كتاب المغرب تكلم فيه على الالفاظ التي يستعملها الفقهاء من الغريب ومنها كتاب شرح ماغمض من الالفاظ اللغوية من المقامات الحريرية تأليف الشيخ محب الدين عبد الله بن الحسين العكبري البغدادي المتوفى سنة عشرة وستماية قال اني رأيت المقامات الحريرية مشحونة بالالفاظ اللغوية وهي أحد الكتب التي عني بها علما العربيه ودعاني ذلك الى تفسير ماغمض من الفاظها على الايجاز وقد كنت عثرت لبعض الناس على شيء من ذلك الا انه أسهب بما لايحتاج اليه وربما فسر اللفظة بغير ماقصد منشيها ومنها شرح المقامات للاستاذ اللغوى النحوى أبي العباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى القيسي الشريشي المتوفى سنة تسعة عشر وستمايه وهو شرح طويل ذكر الشريشي انه لم يترك في كتاب من شروح المقامات فائدة الا استخرجها ولا عائدة الا استدرجها ولا نكتة الا عقلها ولا غريبة الا استحقها حتى صار شرحه تأليفا في المقامات يغني عن كل شرح تقدم فيها ولا يحوج الى سواه في لفظة من الفاظها ولا معنى من معانيها وقد أخذ شيأ كثيرا من شرح ابن ظفر

الصقلي صاحب كتاب سلوان المطاع في عدو ان الاتباع المتوفى بمدينه حماه سنة خمس وستين وخمسماية ومن شرح الفندهجي وهو الشيخ الامام تاج الدين أبو سعيد محمد بن سعادات عبد الرحمن ابن محمد الخراساني المروزي الفندهجي وقيل البندهجي الصوفي المتوفى بمدينة دمشق سنة أربعة وثمانين وخمسماية ومنها شرح آخر تأليف الشيخ شمس الدين أبي بكر محمد بن أبي بكر الرازي صاحب اسئله القرآن ومختار الصحاح المتوفى بعد سنة ستين وستماية وهذا الشرح لم يذكره الحاج خليفة في كتابه المذكور وهو شرح لطيف يشهد لصاحبه بكمال الأدب الا ان النسخة التي هى فى ملكي نسخة ناقصة سقط منها نحو نصف الكتاب حتى لم يبق الا شرح الخطبة ثم شرح المقامة الخامسه والعشرين أخذا من قول الحريري واني والله طالما تلقيت الشتاء بكافاته الى آخرها وشرح ماتلوها من المقامات الى قوله في المقامة الخمسين

ولم تزل معتكفاً على القبيح الشنع هذا ما كان لى من شروح المقامات وقد اجتمع عندي أيضاً نسخ ست من كتاب المقامات بلا شرح غير أن أكثرها يوجد به من التعليقات والحواشي ماينتفع به القاري وقد اخترت من تلك الشروح والحواشي كلما يحتاج اليه طالب العلم في تحصيل المقصود ويستعين به الراغب في الادب على ادراك المطلوب ثم أضفت الى ذلك شيء كثيراً نقلته من كتب أئمة النحو واللغة ومن مجمع الامثال للعلامة الميداني وكتاب وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ثم من ديوان البحتري ومن ديوان المتنبي وشرح المعلقات للزوزني وغير هذا من كتب الادب كل ذلك ليتيسر على من أعجبه الغوص فى بحار اللغات العربية أن يظفر من دررها بكل يتيمة عقيلة

وليسهل على المولع بغرائب العلوم الادبية المشرقية أن يصل من جواهر معادنها الى كل فلذة ثمينة جزيلة وانما المرجو ممن نظر فى هذا الشرح المختار أن لايؤاخذني على ماظهر عليه من العثرات بل أن يستر بذيل كرمه ما استبان له من العورات (والله أسأله أن يجعل هذا الكتاب لمن تصفحه من أهل الشرق والغرب نافعاً مفيداً * وللجميع من أسرع الى مورده من أبناء جنسنا ومن غير جنسنا هنيئاً مريئاً حميدا) انتهى كلامه وقال في المقدمة الفرنساوية لهذا الكتاب أن المقامات البديعية تفضل المقامات الحريرية وقد ترجم الى الفرنساوية عدة مقامات من الاثنين فى مجموعة كتاب الانيس المفيد للطالب المستفيد وجامع الشذور من منظوم ومنثور وبالجملة فمعرفته خصوصاً فى اللغة العربية مشهورة مع أنه لايمكنه أن يتكلم بالعربى الا بغاية الصعوبة وقد رأيت له فى بعض كتبه توقفات عظيمة وايرادات جليلة ومناقضات قوية وله اطلاع عظيم على الكتب العامية المؤلفة فى سائر اللغات وسبب ذلك كله تمكنه من لغته بالكلية ثم تفرغه بعد ذلك لمعرفة اللغات ومن جملة مؤلفاته الدالة على فضله كتاب فى النحو سماه التحفة السنية في علم العربية فانه ذكر فيه علم النحو على ترتيب عجيب لم يسبق به أبداً وله مجموع سماه المختار من كتب أئمة التفسير والعربية في كشف الغطاء عن غوامض الاصطلاحات النحوية واللغوية فقد جمعه وترجمه من العربية الى الفرنساوية وله غير ذلك من المؤلفات والتراجم خصوصاً في اللغة الفارسية فانه بارع فيها غاية البراعة وشهرته بالفضل فى بلاد الافرنج لاتنكر حتي أنه قد اتحف بعلامات الشرف من كبار ملوكهم ثم ان الفنون باللغة الفرنساوية قد بلغت درجة اوجها حتي ان كل علم فيه قاموس مرتب على حروف

المعجم في الفاظ العلم الاصطلاحية حتى علوم السوقة فانها لها مدارس كمدرسة الطباخة يعني مجالس علماء الطباخة وشعرائها وان كان هذا من انواع الهوس غير أنه يدل على اعتناء هذه البلاد بتحقيق سائر الاشياء ولو الدنيئة وسواء فى ذلك الذكور والاناث فان للنساء تآليف عظيمة ومنهن مترجمات للكتب من لغة الى أخرى مع حسن العبارات وسبكها وجودتها ومنهن من يتمثل بانشائها ومراسلاتها المستغربة ومن هنا يظهر لك أن قول بعض أرباب الامثال جمال المرء عقله وجمال المرأة لسانها لايليق بتلك البلاد فانه يسهل فيها عن عقل المرأة وقريحتها وفهمها وعن معرفتها ثم العلوم الادبية الفرنساوية لابأس بها ولكن لغتها وأشعارها مبنية على عادة جاهلية اليونان وتآليهم مايستحسنونه فيقولون مثلا اله الجمال واله العشق واله كذا فالفاظهم في بعض الاحيان كفرية صريحة وان كانوا لايعتقدون مايقولون وانما هذا من باب التمثيل ونحوه وبالجملة فكثير من الاشعار الفرنساوية لابأس بها ولنذكر لك شيئا من بعض أشعارهم مترجمة من كلام بعضهم للعبد الفقير

وإذا القلوب تعلقت * رأت الجميع جميلا

كسفينة تسعي الى * شعب يكون مهولا

لهفي على زمن الهنا * ان صح كان بخيلا

وقوله مترجما لى

ودع القلب فيك ياقاتلي * ياخيال المسعد الزائر

أن روحي بالجراح اصطلت * وعلى البرء لست بالقادر

وسروري في الهوى لمحة * مثل زهر الورق الزاهر

ومن القصيدة المسماة نظم العقود في كسر العود للخواجه يعقوب المصرى

منشأ الفرنساوي استيطانا وقد اعتنيت بترجمتها سنة ألف ومأتين واثنين وأربعين وأخرجتها من ظلمات الكفر الى نور الاسلام قول صاحبها ونظمه للعبد الفقير

زادني الحال اذصفالي حاني * وغناي بالعود والالحان
باسم ربي والسادة الاعيان * وترنمت شجوة بالحسان
* وبسعدي ذات الجبين المفدي *
فصغي سمعها الى انشادى * ورمى النار لحظها في فؤادي
فلهذا شعري غدا في اتقادي * وبدا من حماسه في انفراد
* لذوي الفهم والمعارف يهدى *
أحرق العشق قلبها كاحتراقى * فاتت تطوي الخطا باعتناق
فتضاممنا ضمة المشتاق * وتلاثمنا عادة العشاق
* فتثنت لتخجل الغصن قدا *
شنف السمع من رقيق التغاني * واستمع ياأخي صوت المثاني
ياخليلي بالله هلا تراني * انني قد أحييت شعر ابن هاني
* بعد ان كان قد توسد لحدا *
وبعد هذا بعدة أبيات تخلص الشاعر الى ذم العشق وتوابعه فقال
واحيائي واخجلني صار فني * انني في هوى الملاح أغني
برخيم الغني كظبي أغن * وباوتاري ابتدي وأثني
* ما أرى هذا للفضائل أجدى *
أفأيامي كلها لي عقيمه * أو مالي عواقب مستقيمة
بل على طاعة الهوى مستديمه * أفما هذه مراق ذميمة
* اقتفي هزلها وارفض جدا *

أعلى اجتراع كاس نصيب * خامل ليس كافل لاريب
مع أني والله غير مريب * همتي همة الذكى النجيب
* تقنص المجد والسوا تتعدى *

وقال يذم نفسه ويوبخها على العزم على فراق محبوبته لاسيما وهي تتأذي من فراقه

ويح عز وسودد نشتريه * بنواح الملاح اذ نشتهيه
يافؤادي سل عند أي فقيه * يغفر الذنب من قتال بتيه
* لنوال الفخار علك تهدي *

يافؤادي قد اسلمتك الامور * واباحتك متجرا لن يبورا
افترضي على الظبا أن تجورا * لست الفيك اسفاً مقهورا
* حيث قديت قلبها الآن قدا *

ومن جملة قوله فى مدح أفندينا حفظه الله مخاطباً لمصر في هذه القصيدة

بسياسات فيك أضحي كفيلا * بيد دانت من مضي التقبيلا
جددت في جبينك الاكاليلا * نضرت غصنا فيك حاز ذبولا
* وأعادت فيه الشبيبة وداً *

وقال فيها مخاطبا لولى النعمة حفظه الله تعالى مشير الى واقعة المماليك

فعلك الخير بعده حسن ذكر * مستمر على مدى كل دهر
فاغتنم حفظ مشتهي نيل مصر * فلقد شابه دماسيف نصر
* وغدا في حماك ينفق رفدا *

وهذه القصيدة كغيرها من الاشعار المترجمة من اللغة الفرنساوية عالية النفس في أصلها ولكن بالترجمة تذهب بلاغتها فلا تظهر علو نفس صاحبها ومثل ذلك لطائف القصائد العربيه فانه لايمكن ترجمتها الى غالب

اللغات الافرنجية من غير ان يذهب حسنها بل ربما صارت باردة وسيأتي
تميم الكلام على غالب الآداب الفرنساوية والعلوم والفنون

الفصل الثالث في تدبير الدولة الفرنساويه

ولنكشف الغطاء عن تدبير الفرنساوية ونستوفى غالب أحكامهم
ليكون تدبيرهم العجيب عبرة لمن اعتبر فنقول قد سلف لنا ان باريس
هي كرسي بلاد الفرنسيس وهي محل أقامة ملك فرانسا وأقاربه وعيلته
المسماة البربون بضم الباء الموحدة وسكون الراء وضم الباء الثانيــة فلا
يكون ملك فرانسا الا من هذه العيلة ومملكة الفرنساويه متوارثة ومسكن
ملك فرانسا سراية تسمى التولري بضم التاء وكسر الواو وكسر الراء
والغالب ان الفرنساوية يعبرون عن ديوان فرانسا بقولهم كابينة التولرى
يعني ديوان هذه السراية أي ديوان الملك ثم ان أصل القوة في تدبير
المملكه الملك فرانسا ثم للجماعة أهل شمبر دوبير بفتح الشين وسكون
الميم يعني ديوان البير بفتح الموحدة أي أهل المشورة الأولى ثم لديوان
رسل العمالات ثم ان الديوان الاول يعني ديوان البــير هو فى قصر
بباريس يسمى قصر لقسمبورغ والديوان الثاني قصر بوربون ثم يلى
ديوان رسل العمالات ديوان الوزراء والوكلاء ثم ديوان يسمى الديوان
الخصوصي وبعد ذلك يوجــد ديوان يسمى ديوان سر الملك وديوان
يسمي ديوان الدولة للمشورة فحينئذ ملك فرانسا صــاحب قوة تامة
فى مملكته بشرط رضاء تلك الدواوين المذكورة وله خصوصيات آخر
سيأتي ذكرها في السياسه الفرنساوية ووظيفة أهل ديوان البير تجديد قانون
مفقودا وابقاء قانون موجود على حاله ويسمى القانون عند الفرنساوية
شريعة فلذلك يقولون شريعة الملك الفلاني ومن وظيفة ديوان البير أن

يعضد حقوق تاج المملكة ويحامي عنه ويمانع سائر من يتعرض لها وانعقاد هذا الديوان يكون مدة معلومة من السنة في زمن اجتماع ديوان رسل العمالات باذن ملك الفرنسيس وعدد أهل ذلك الديوان غير منحصر في مدة مخصوصة ولا يقبل دخول الانسان فيه الا وهو ابن خمسة وعشرين سنه ولا يشرك في الشوري الا وهو ابن ثلاثين سنة مالم يكن من بيت المملكة والا فبمجرد ولادته يحسب من أهل هذا الديوان ويشرك في المشورة حين يبلغ عمر خمسة وعشرين سنة وكانت وظيفة البيريه متوارثة للذكور فيقدم أكبر الاولاد ثم بعد موته يقدم من يليه وهكذا ووظيفة ديوان رسل العمالات غير متوارثة ووظيفتهم امتحان القوانين والسياسات والاوامر والتدبير والبحث عن أيراد الدولة ومدخولها ومصرفها والمنازعة في ذلك والممانعة عن الرعية في المكوس والفرد وغيرها ابعادا للظلم والجور وهذا الديوان مؤلف من عدة رجال ينصبهم أهالي العمالات وعددهم أربعمايه وثمانية وعشرون رسولا ولا يقبلون الا بعد بلوغ كل واحد منهم أربعين سنة ولا بد ان يكون لكل واحد منهم عقارات تبلغ فردتها الف فرنك كل سنه ❊ وأما الوزرا فانهم متعددون فمنهم وزير الامور الداخلية ثم وزير الحرب ثم وزير الامور الخارجية ثم وزير البحر والخارجين من بلاد الفرنسيس النازلين ببلاد يعمرونها في غير بلاد الفرنسيس ثم وزير الخزينة ثم وزير الأمور الدينية ثم وزير تعليم الفنون والصنائع ثم وزير التجارات ووزير الامور الداخلية نظير الكتخدا ببر مصر ووزير الخزينه نظير الخازندار ووزير التجارات نظير ناظر التجارات ووزير الامور الخارجيه نظير رئيس أفندي بالدولة العثمانيه ووزير الحرب نظير ناظر

عموم الجهادية وهكذا غير أنه عندنا ليس وزيرا وعندهم يعدونه من الوزراء * وأما الديوان الخصوصي فانه تخصيص الملك لجماعة بمشورته اياهم على مادة مخصوصة والغالب على أهل هذا الديوان كونهم من أقاربه ووزرائه وأما ديوان سر الملك فانه يتألف من وزراء السر ومن أربعة وزراء أخر لهم وزارة مطلقة ثم جماعة من أرباب المشورة في الدولة وأما ديوان الدولة فانه يتألف ممن يعينه الملك من أقاربه من الوزراء التسعة الكاتمين سر الدولة ثم من وزراء الدولة المطلقين ومن أرباب المشورة ومن جماعة وكلاء على التقارير ومن جماعة يستمعون المشورة ليتعلموا تدبير الدول ومن ذلك يتضح لك أن ملك فرانسا ليس مطلق التصرف وإن السياسة الفرنساوية هي قانون مقيد بحيث أن الحاكم هو الملك بشرط أن يعمل بما هو مذكور في القوانين التي يرضى بها أهل الدواوين وإن ديوان البير يمانع عن الملك وديوان رسل العمارات يحامي عن الرعية والقانون الذي يمشي عليه الفرنساوية الآن ويتخذونه أساساً لسياستهم هو القانون الذي ألفه لهم ملكهم المسمى لويز الثامن عشر بضم اللام وكسر الواو ولا زال متبعاً عندهم ومرضياً لهم وفيه أمور لا ينكر ذووا العقول انها من باب العدل * والكتاب المذكور الذي فيه هذا القانون يسمى الشرطة ومعناها في اللغة اللاطينية ورقة ثم تسومح فيها فأطلقت على السجل المكتوب فيه الاحكام المقيدة فلنذكره لك وإن كان غالب ما فيه ليس في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم لتعرف كيف قد حكمت عقولهم بأن العدل والإنصاف من أسباب تعمير الممالك وراحة العباد وكيف انقادت الحكام والرعايا لذلك حتى عمرت بلادهم وكثرت معارفهم وتراكم غناهم وارتاحت قلوبهم فلا تسمع

فيهم من يشكو ظلماً أبداً والعدل أساس العمران ولنذكر هنا نبذة مما قاله فيه العلماء والحكماء أو في ضده من كلام بعضهم ظلم اليتامى والايامى مفتاح الفقر * والحلم حجاب الافات * وقلوب الرعية خزائن ملكها فما أودعه إياها وجده فيها * وقال آخر لاسلطان إلا برجال ولا رجال إلا بمال ولا مال إلا بعمارة ولا عمارة إلا بعدل * وقيل فيما يقرب من هذا المعنى سلطان الملوك على أجسام الرعايا لا على قلوبهم * وقال بعضهم أبلغ الاشياء في تدبير المملكة تسديدها بالعدل وحفظها من الخلل وقيل اذا أردت أن تطاع فاطلب مايستطاع ان المولى اذا كلف عبده مالا يطيقه فقد أقام عذره في مخالفته * وقال بعضهم شعراً يفيد أن النصر يتوقف على العدل

تروم ولاة الجور نصراً على العدا * وهيهات يلقى النصر غير مصيب
وكيف يروم النصر من كان خلفه * سهام دعاء من قسي قلوب

وقال آخر

لا يفلح المغتال والظلوم * والبغي مرعي نبته وخيم
فمضجع الظالم بئس المضجع * ومصرع الباغي فبئس المصرع
أن القصاص واقع بالمثل * والدهر يجزي بيسير الفعل

وفي هذا القانون عدة مقاصد المقصد الاول (الحق العام للفرنساوية) الثاني كيفية تدبير المملكة * الثالث في منصب ديوان البير * الرابع (في منصب ديوان رسل العمالات الذين هم أمناء الرعايا ونوابهم) الخامس في منصب الوزراء) السادس في طبقات القضاة وحكمهم * السابع في حقوق الرعية قال صاحب الشرطة المذكورة

﴿ الكلام على حق الفرنساوية المنصوب لهم ﴾

المادة الاولى سائر الفرنساوية مستوون قدام الشريعة) المادة الثانية يعطون من أموالهم بغير امتياز شيئاً معيناً لبيت المال كل إنسان على حسب ثروته * المادة الثالثة كل واحد منهم متأهل لأخذ أي منصب كان وأي رتبة كانت المادة الرابعة ذات كل واحد منهم يستقل بها ويضمن له حريتها فلا يتعرض له انسان الا ببعض حقوق مذكورة في الشريعة وبالصورة المعينة التي يطالبه بها الحاكم (المادة الخامسة كل انسان موجود في بلاد الفرنسيس يتبع دينه كما يحب لايشاركه أحد فى ذلك بل يعان على ذلك ويمنع من يتعرض له في عبادته * المادة السادسة يشترط أن تكون الدولة على الملة القاثوليقية الحوارية الرومانية (المادة السابعة تعمير كنايس القاثوليقية وغيرهم من النصرانية يدفع لها شيء من بيت مال النصرانية ولا يخرج منه شيء لتعمير معابد غير هذا الدين المادة الثامنة لايمنع انسان في فرانسا ان يظهر رأيه وأن يكتبه ويطبعه بشرط أن لايضر مافى القانون فاذا ضر ازيل (المادة التاسعة سائر الاملاك والاراضي حرم فلا يتعدى احد على ملك آخر (المادة العاشرة للدولة دون غيرها ان تكره انساناً على شراء عقاره لسبب عام النفع بشرط ان تدفع ثمن المثل قبل الاستيلا) المادة الحادية عشر جميع مامضي قبل هذا القانون من الآراء والفتن يجب نسيانه وكذلك ماوقع من المحكمة واهل البلد)المادة الثانية عشر أخذالعساكر قد يترتب وينقص عما كان عليه وقد يعين بقانون معلوم وضع عساكر في البر والبحر

﴿ كيفية تدبير المملكة الفرنساوية ﴾

المادة الثالثة عشر ذات الملك محترمة ووزراؤه هم الكفلاء في كل مايقع يعني هم الذين يطالبون ويحكم عليهم ولا يمكن أن يمضي حكم الا اذا أنفذه أمر الملك المادة الرابعة عشر الملك هو أعظم أهل الدولة فهو الذي يأمر وينهى في عساكر البر والبحر وهو الذي يعقد الحرب والصلح والمعاهده والتجارة بين ملته وغيرها وهو الذي يولي المناصب الاصلية ويجدد بعض قوانين وسياسات ويأمر بما يلزم ويمضيه اذا كان فيه منفعة للدولة ، المادة الخامسة عشر) تدبير أمور المعاملات بفعل الملك وديوان البير وديوان رسل العمالات) المادة السادسة عشر يقرر الملك وحده جزاء القوانين ويأمر باعلانها واظهارها (المادة السابعة عشر يبعث القانون بامر الملك الي ديوان البير أولا ثم الى ديوان رسل العمالات الا قانون الجبايات والفردة فانه يبعث أولا الى ديوان رسل العمالات) المادة الثامنة عشر تنفذ الدولة القانون اذا رضي به جمهور كل من الديوانين (المادة التاسعة عشر لاحد الديوانين أن يلتمس من الملك اظهار قانون في أمر كذا وان يبين له فائدة وضع ذلك القانون) المادة العشرون يصنع هـذا القانون بأحد الديوانين في مجلس سري وما صنعه أحد الديوانين واستقر رأيه عليه يبعثه للديوان الآخر بعد التفكر عشرة أيام * المادة الحادية والعشرون اذا رضي الديوان الآخر بالقانون فانه يسوغ عرضه على الملك فاذا طرحه الديوان الآخر لايمكن عرضه له أي لذلك الديوان مدة اجتماعه في هذه السنة * الثانية والعشرون الملك وحده هو الذي يأذن بالقانون ويظهر للرعية * الثالثة والعشرون

ماهية الملك محدودة له مدة مملكته على كيفية واحدة لاتزيد ولاتنقص عن القدر المعين له عند توليه من مجلس ديوان البير يعني ديوان المشورة الاولي * الرابعه والعشرون ديوان البير هو جزء ذاتي لتشريع القوانين التدبيرية * الخامسه والعشرون يجتمع هذا الديوان ويفتح مدة أشهر بأمر الملك في زمن واحد مع انفتاح ديوان رسل العمالات فيفتحان معا في يوم واحد ويغلقان كذلك) السادسه والعشرون لو اجتمع ديوان البير قبل انفتاح ديوان رسل العمالات أو قبل اذن ملك فرانسا كان سائر الترتيب الصادر من هذا المجلس مدة الاجتماع ممنوع الامضا وملغيا السابعة والعشرون تسمية الشخص بير فرانسا هو حق الملك وعدد أهل ديوان البير غير محدود وللملك أن يلقب البير باي لقب كان وله ان يجعل ذلك اللقب له مدة حياته وأن يجعله متوارثاً لذريته) الثامنة والعشرون يمكن أن يدخل البير في الديوان وهو ابن خمسه وعشرين سنة ولايبدي رأيه في المشورة الا بعد بلوغه في السن ثلاثين سنة) التاسعة والعشرون رئيس ديوان البير هو قاضي قضاة فرانسا مهر دار ملكها أي وزير الخاتم ملكها فان اعتذر خلفه من أهل الديوان من يعينه الملك لذلك الثلاثون أقارب الملك ودراريه يكون لهم الدخول في مرتبة البيريه بمجرد ولادتهم ويجلس كل منهم بعد رئيس ذلك الديوان ولا يكون لهم كلمة ورأي في المجلس الا بعد بلوغهم في السن خمسة وعشرين سنه) الحادية والثلاثون لايمكن لاحد من أهل مجلس البيران يدخل في ذلك الديوان عند انفتاحه الا باذن من الملك بأن يبعث رسولا فان فعلوا ذلك كان مافعل بحضرتهم لاغياً الثانية والثلاثون كل اراء ديوان البير يجب كتمها عن غيرهم الثالثة والثلاثون * ديوان الملك هو الذي يستقل بالقضاء على

الخيانه في الدولة ونحوها من كل مايضر الدولة مما هو مقرر في القوانين (الرابعة والثلاثون) لا يمكن أن يقبض أحد على واحد من أهل ديوان البير الا بامر ذلك الديوان ولا يمكن أن يحكم عليه غيرهم في مواد الجنايات

﴿ ديوان رسل العمالات الذين هم وكلاء الرعية ﴾

الخامسة والثلاثون ديوان رسل العمالات مؤلف من جملة رسل ينتخبهم المنتخبون بكسر الخاء الذين يقال لهم اللكتور بكسر اللام المشددة وسكون الكاف وترتيبها مصنوع بقوانين مخصوصة * السادسه والثلاثون كل العمالات تبقى على ماهي عليه قبل هذه الشرطة من عدد مالها من الرسل * السابعه والثلاثون * من الآن فصاعدا تختار الرسل لتمكث سبع سنوات لا خمسة كما كانت * الثامنه والثلاثون * لا يصلح الانسان للدخول في ديوان الرسل الا اذا بلغ أربعين سنه وكان له أملاك يدفع عليها الف فرنك فردة (التاسعة والثلاثون) لابد أن يجمع في كل عمالة خمسون الف نفس موجود فيهم شرطا السن والملك المذكور أن ليختار الرسل منها فان لم يكمل ممن يدفعون الف فرنك خمسون وجب تكميلها مما لهم أملاك يدفعون عليها دون الف فرنك ثم اختيار رسل من جملة الخمسين * الاربعون * شرط اللكتوراي المنتخب للرسل أن لا يسمع الا اذا كان له ملك يدفع فردته ثلثمائة فرنك وان يكون قد بلغ من العمر ثلاثين سنه * الحادية والاربعون * رؤساء مجلس المنتخبين ينصبهم الملك فيدخلون في أهل هذا المجلس * الثانية والاربعون * يجب أن يكون نصف رسل العمالات فصاعدا مستوطناً عادة في تلك العمالة * الثالثه والاربعون * رئيس ديوان رسل العمالات

ينصبه الملك ويختاره من خمسة رسل يعرضهم ذلك الديوان (الرابعة والاربعون مجالس هذا الديوان تكون جهرية الا اذا أراد خمسة من رسل العمالات كتم شيء فانه يجوز اخراج الناس الاجانب من الديوان * الخامسة والاربعون * الديوان ينقسم الى دواوين صغيرة تسمى البورو يعني مكاتب فاهل هذه البور وتمتحن الاشياء التي ينوبها الملك ويبعثها لها * السادسة والاربعون لايقع تصليح شيء في آداب سياسات فرانسا ولا يمضي الا اذا رضي به الملك وبحث فيه في تلك الدواوين الصغيره السابعة والاربعون ديوان رسل العمالات يتلقا تقارير طلب القرد والمكوس ولا تصل الى ديوان البير الا اذا رضى بها ذلك الديوان * الثامنة والاربعون لايمكن ان ينفذ أمر الملك في الفرد الا اذا رضى به الديوانان وأقره الملك (التاسعة والاربعون فردة العقار لاتقطع الاسنة فسنة ويمكن قطع غيرها لاجل معلوم* الخمسون على الملك أن يأمر بفتح الديوانين كل سنة ولكن متي أراد وله أن يبطل ديوان رسل العمالات بشرط أن يصنع ديوان رسل جديد وأن لايزيد في تجديد الآخر عن ثلاثة أشهر * الحادية والخمسون لايمكن أن يقبض أحد على انسان من أهل مجلس رسل العمالات مدة فتح الديوان وشهرا قبل فتحه وشهراونصفا بعده الثانية والخمسون لايمكن أن يتبع أحد من أعضاء الديوان بسبب مادة من مواد العقوبات مادام الديوان مفتوحاً وما دام اجتماع الديوان الا اذا أخذه على فعله فى وقته و اذن الديوان بأخذه) الثالثة والخمسون عرض الحال الذي يعرض على احد الديوانين لايقبل الا اذا كان مكتوبا واداب السياسة الفرنساوية لاتجوز ان يقدم الانسان تقريرا فى المجلس

﴿ الوزراء ﴾

المادة الرابعة والخمسون * يجوز ان يكون الوزير من أهل كل من الديوانين وله زيادة على ذلك حق الحضور في أحدهما ومتى طلب ان يتكلم في الديوان وجب ان يصغى الى كلامه * الخامسة والخمسون * يسوغ لديوان رسل العمالات ان يتهم الوزراء فتسمع دعواه في ديوان البير ليحكم بينهم ذلك الديوان فيفصل خصومتهم السادسة والخمسون * لايتهم الوزير الا بخيانة في التدبير بالرشوة أو باختلاس الاموال فيحكم عليه على حسب ماهو مسطر في القوانين المخصوصة

﴿ طائفة القضاة ﴾

المادة السابعة والخمسون * الحكم حق الملك يعتبر كأنه صادر منه فيحكم القضاة المنصبون من الملك الذين لهم ماهية من بيت المال ويبتون الحكم باسم الملك الثامنة والخمسون * اذا ولي الملك قاضيا وجب أبقاؤه ولا يجوز عزله) التاسعة والخمسون * القضاء المنصبون وقت هذه الشرطة لايمكن عزلهم ولو تجدد قانون آخر * الستون أقامة قضاء المعاملات لايمكن أبطالها أبدا) الحادية والستون أقامة قضاة للمصالحة تبقى أيضا ولكن قاضي المصالحة يجوز عزله وان كان منصبه يأتي له من الملك) الثانية والستون لاشيء يخرج عن حكم هؤلاء القضاة) الثالثة والستون لا يسوغ بسبب ماتقدم تجديد محاكم أو مجالس زائدة الايجمع قضاة النقبا يقال لهم بريوتال اذا احتاج الامر الى ذلك الرابعة والستون أقامة الدعوى والتشاجر بين الخصوم قدام الحاكم الشرعي تكون على

رؤس الا شهاد في مواد العقوبات الا اذا كان الذنب مضر اشهاره بين العامة او مخلا بالحياء فان أهل المحكمة يخبرون الناس بأن هذا الامر يقع سرا * الخامسة والستون * أقامة الجماعة المحكمين المسماة جوربة الجنايات لا تبطل ابدا واذا لزم تغيير بعض شيء في مواد القضا لا يمكن الا اذا كان بقانون من الديوانين) السادسة والستون * قانون معاقبة الانسان بالاستيلاء على ما تملكه يده قد أبطل بالكلية ولا يمكن تجديده أبداً) السابعة والستون * للملك أن يعفو عن الانسان وأن يخفف مواد العقوبات * الثامنة والستون كتب قوانين السياسات التي عليها العمل الغير المناقضة لما في هذه الشرطة لا ينسخ حكم مافيها إلا اذا تغير بقانون آخر *

﴿ حقوق الناس التي يضمنها الديوان ﴾

المادة التاسعة والستون كل أهل العسكرية سوى أصحاب خدمة دائمة أو متروكين لوقت الحاجة وكل النساء المتوفي عنهن أزواجهن وهم في العسكرية يبقى لهم مدة حياتهم وظيفتهم ودرجتهم وخرجهم (السبعون ديون الرعية التي في ذمة الديوان هي مضمونة على حسب اصطلاح الدولة مع أرباب الديوان) المادة الحادية والسبعون لم يفضل لاهل الشرف القديم من درجات الشرف الا الاسم فقط وكذلك لارباب الشرف الجديد ثم ملك فرانسا أن يعطى درجة الشرف الفرنساوى لأي إنسان شاء ولكن ليس له أن يخص من يعطيه ذلك برفع الفِرَد ونحوها عنه فليس للشرف مزية غير التسمية * الثانية والسبعون من له علامة التميز المسماة درجة الشوالية يعني الفارس في فنه فان له أن يحفظها

على الصورة التي يعينها ملك فرانسا لهذه الدرجة * الثالثة والسبعون * القبائل والنزلات الخارجة من فرنسا لتعمير بلاد أخرى وللاستيطان بها تكون مدبرة بقوانين وسياسات أخرى * الرابعة والسبعون * لكل ملك من ملوك فرانسا أن يحلف عند تولية المملكة الفرنساوية أن لا يحيد عن هذه الشرطة ثم إن هذه الشرطة قد جعل فيها تغيير وتبديل من منذ الفتنة الاخيرة الحاصلة سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة والف بتاريخ الميلاد فراجعها في باب قيامة الفرنساوية وطلبهم للحرية والمساواة انتهي فاذا تأملت رأيت أغلب ما في هذه الشرطة نفيساً وعلى كل حال فأمره نافذ عند الفرنساوية ولنذكر هنا بعض ملاحظات فنقول * قوله في المادة الاولى سائر الفرنسيس مستوون قدام الشريعة معناه سائر من يوجد في بلاد فرانسا من رفيع ووضيع لا يختلفون في إجراء الاحكام المذكورة في القانون حتى ان الدعوة الشرعية تقام على الملك وينفذ عليه الحكم كغيره فانظر الى هذه المادة الاولى فانها لها تسلط عظيم على إقامة العدل وإسعاف المظلوم وإرضاء خاطر الفقير بأنه العظيم نظراً الى اجراء الاحكام ولقد كادت هذه القضية أن تكون من جوامع الكلم عند الفرنساوية وهي من الأدلة الواضحة على وصول العدل عندهم الى درجة عالية وتقدمهم في الآداب الحاضره وما يسمونه الحرية ويرغبون فيه هو عين مايطلق عليه عندنا العدل والانصاف وذلك لان معنى الحكم بالحرية هو إقامة التساوي في الاحكام والقوانين بحيث لا يجور الحاكم على انسان بل القوانين هي المحكمة والمعتبرة فهذه البلاد حرية بقول الشاعر

وقد ملأ العدل أقطارها * وفيها توالي الصفا والوفا

وبالجملة اذا وجد العدل في قطر من الاقطار فهو نسبي اضافي
لاعدل كلي حقيقي فانه لا وجود له الآن في بلدة من البلدان فانه
كالايمان الكامل والحلال الصرف وأمثال ذلك ونظائره فلا معنى لحصر
المستحيل في الغول والعنقاء والخل الوفي كما هو مذكور في قوله

لما رأيت بني الزمان ومابهم * خل وفي للشدائد اصطفي
أيقنت أن المستحيل ثلاثة * الغول والعنقاء والخل الوفي

مع أن ذلك ممنوع في العنقاء فانها نوع من الطيور موجود الافراد
يذكره أرباب علم الحشائش وذكر الثعلبي في قصص الانبياء قضية
العنقاء مع سيدنا سليمان في تكذيبها بالقدر نعم لا وجود للعنقاء بالمعنى
المشهور عند العامة من العرب والافرنج من أنها من أعلاها عقاب ومن
أسفلها أسد وعلى كل حال فلها في الجملة وجود * وأما المادة الثانية
فانها محض سياسة ويمكن أن يقال ان الفرد ونحوها لو كانت مرتبة في
بلاد الاسلام كما هي في تلك البلاد لطابت النفس خصوصاً اذا كانت
الزكوات والفيء والغنيمة لاتفي بحاجة بيت المال أو كانت ممنوعة بالكلية
وربما كان لها أصل في الشريعة على بعض أقوال مذهب الامام الاعظم
ومن الحكم المقررة عندقدماء الحكماء الخراج عمود الملك ومدة اقامتي
بباريس لم أسمع أحداً يشكو من المكوس والفرد والجبايات أبداً ولا
يتأثرون بحيث أنها تؤخذ بكيفية لاتضر المعطي وتنفع بيت مالهم خصوصاً
وأصحاب الاموال في أمان من الظلم والرشوة * وأما المادة الثالثة فلا
ضرر فيها أبداً بل من مزاياها أنها تحمل كل انسان على تعهد تعلمه
حتى يقرب من منصب أعلى من منصبه وبهذا كثرت معارفهم ولم يقف
تمدنهم على حالة واحدة مثل أهل الصين والهند ممن يعتبر توارث الصنائع

والحرف ويبقى للشخص دائماً حرفة أبيه وقد ذكر بعض المؤرخين أن مصر في سالف الزمان كانت على هذا المنوال فان شريعة قدماء القبطة كانت تعين لكل إنسان صنعته ثم يجعلونها متوارثة عنه لأولاده قيل سبب ذلك أن جميع الصنائع والحرف كانت عندهم شريفة فكانت هذه العادة من مقتضيات الاحوال لانها تعين كثيراً على بلوغ درجة الكمال في الصنائع لان الابن يحسن عادة ماراى أباه يفعله عدة مرات بحضرته ولا يكون له طمع فى غيره فهذه العادة كانت تقطع عرق الطمع وتجعل كل إنسان راضياً صنعته لا يتمنى أعلى منها بل لا يحث الا عن اختراع أمور جديدة نافعة لحرفته توصل الى كمالها انتهى ويرد عليه انه ليس في كل انسان قابلية لتعلم صنعة أبيه فقصره عليها ربما جعل الصغير خائباً في هذه الصنعة والحال انه لو اشتغل بغيرها لنجح حاله وبلغ آماله * وأما المادة الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة فانها نافعة لاهل البلاد والغرباء فلذلك كثر أهل هذه البلاد وعمرت بكثير من الغرباء * وأما المادة الثامنة فانها تقوى كل انسان على أن يظهر رأيه وعلمه وسائر مايخطر بباله مما لايضر غيره فيعلم الانسان سائر مافي نفس صاحبه خصوصاً الورقات اليومية المسماة بالجرنالات والكازيطات الاولى جمع جرنال والثانية جمع كازيطة فان الانسان يعرف منها سائر الاخبار المتجددة سواء كانت داخلية أو خارجية أي داخل المملكة أو خارجها وان كان قد يوجد فيها من الكذب مالا يحصى إلا أنها قد تتضمن أخباراً تتشوف نفس الانسان الى العلم بها على أنها ربما تضمنت مسائل علمية جديدة التحقيق أو تنبيهات مفيدة أو نصائح نافعة سواء كانت صادرة من الجليل أو الحقير لانه قد يخطر ببال الحقير مالا يخطر ببال العظيم كما قال بعضهم

لا تحتقر الرأي الجليل يأتيك به الرجل الحقير فان الدرة لا تستهان لهوان غواصها وقال الشاعر

لما سمعت به سمعت بواحد * ورأيته فاذا هو الثقلان

فوجدت كل الصيد في جوف الفرا * ولقيت كل الناس في انسان

ومن فوائدها ان الانسان اذ فعل فعلا عظيما او رديئا وكان من الامور المهمة كتبه أهل الجرنال ليكون معلوما للخاص والعام لترغيب صاحب العمل الطيب ويرتدع صاحب الفعلة الخبيثة وكذلك اذا كان الانسان مظلوما من انسان كتب مظلمته في هذه الورقات فيطلع عليها الخاص والعام فيعرف قصة المظلوم والظالم من غير عدول عما وقع فيها ولا تبديل وتصل الى محل الحكم ويحكم فيها بحسب القوانين المقررة فيكون مثل هذا الامر عبرة لمن يعتبر وأما المادة التاسعة فانها عين العدل والانصاف وهي واجبة لضبط جور الاقوياء على الضعاف وتعقيبها بما في العاشرة من باب اللياقة الظاهرة * وفي المادة الخامسة عشر نكتة لطيفة وهي ان تدبير أمر المعاملات لثلاثة مراتب المرتبة الاولى الملك مع وزرائه والثانية مرتبة البيرية الحامية للملك والثالثة مرتبة رسل العمالات الذين هم وكلاء الرعية والمحامون عنهم حتى لا تظلم من أحد وحيثما كانت رسل العمالات قائمة مقام الرعية ومتكلمة على لسانها كانت الرعية كانها حاكمة نفسها وعلى كل حال فهي مانعة للظلم عن نفسها بنفسها أو هي آمنة منه بالكلية ولا يخفى عليك حكمة باقي المواد

خلاصة حقوق الفرنساوية الان بعد سنة ١١٣٨ وتصليح الشرطة

حقوق الفرنساوية الواجبة لهم والواجبة عليهم

مضمون الشرطة بعد التغيير

الفرنساوية مستوون في الاحكام على اختلافهم في العظم والمنصب والشرف والغنا فان هذه مزايا لانفع لهاالافي الاجتماع الانساني والتحضر فقط لافي الشريعة فلذلك كان جميعهم يقبل في المناصب العسكرية والبلديه كما انه يعين الدولة من ماله على قدر حاله وقد ضمنت الشريعة لكل انسان التمتع بحريته الشخصية حتى لايمكن القبض على انسان الافي الصور المذكورة في كتب الاحكام ومن قبض على انسان في صورة غير منصوصة في الاحكام يعاقب عقوبة شديدة ومن الاشياء التي ترتبت على الحرية عند الفرنساوية ان كل انسان يتبع دينه الذي يختاره يكون تحت حماية الدولة ويعاقب من تعرض لعابد في عبادته ولا يجوز وقف شيء على الكنائس أو إهداء شيء لها الا باذن صريح من الدولة وكل فرنساوي له أن يبدي رأيه في مادة السياسات أو في مادة الاديان بشرط أن لايخل بالانتظام المذكور في كتب الاحكام * كل الاملاك على الاطلاق حرم لاتنتهك فلا يكره انسان أبدا على أعطاء ملكه الا لمصلحة عامة بشرط أخذ قبل التخلية قيمته والمحكمة هي التي تحكم * بذلك كل انسان عليه ان يعين في حفظ المملكة العسكريه بشخصه بمعنى أنه كل سنة يجمع أولاد إحدى وعشرين سنة لتضرب القرعة لاخذ العساكر السنويه منهم ومدة خدمة العسكريه ثمان سنوات وكل فرنساوي عمره ثمانية عشر سنة وله حقوقه البلدية فانه يمكنه ان يتطوع ويدخل العسكرية ويعافى من العسكريه عدة أناس الاول من طوله دون متر وخمسة وسبعون سنتمتر يعني أربعة أقدام وعشرة برامق * الثاني أصحاب العلل * الثالث الابن أكبر الاخوات الايتام من أبيهم وأمهم * الرابع الابن البكري أو المنفرد أو ابن الابن الأكبر أو المنفرد عند فقده اذا كانت

الام أو الجدة لازوج لها أو كان أبوه أعمى أو سنه سبعين سنة * الخامس البكري أحد الاخوين الذين وقعا في قرعة واحدة * السادس الاخ الذي أخوه فاضل تحت البيرق أو مات في الخدمة أو جرح بجرح في الحرب * ولو أراد انسان أن ينوب عنه غيره فان المنوب عنه يضمن النائب سنة من خوف الهرب الا اذا كان الهارب قبض عليه في السنة أو مات تحت بيرق الفرنساوية وفي أحد وعشرين في شهر دسمبر من كل سنه كل العساكر التي تمت خدمتهم ياذن لهم بالعود الى محالهم ولما كان لا يمكن لكل انسان ان يدخل بنفسه فى عمل الدولة وكانت الرعية بتمامها عنها فى ذلك أربعماية وثلاثين وكيلا تبعثها الى باريس فى المشورة وهؤلاء الوكلاء تختارهم الرعية وتوكلهم بان يمانعوا عن حقها ويصنعوا ما فيه مصلحة لها وذلك ان كل فرنساوي مستكمل للشروط التي منها ان يكون عمره خمسة وعشرين سنه له ان يكون ممن له مدخل في انتخاب رسل عمالاته * وكل فرنساوي له ان يكون رسولا اذا كان عمره ثلاثين سنة ويكون موصوفا بالشروط المذكورة فى كتاب الاحكام * وفى كل مأمورية مجمع اختبار وانتخاب ومجامع انتخاب للاقاليم الصغيرة ومجامع المأموريات الكبيرة مؤلفة من المنتخبين الكبار وتعين ١٧٢ رسولا ومجامع انتخاب الاقاليم الصغيرة تعين ٢٥٨ رسولا ودفاتر أرباب الانتخاب تطبع وتكتب في الطرق شهرا قبل فتح مجامع الانتخاب حتى انه يمكن لكل انسان أن يكتب أعلاما به وكل منتخب بكسر الخاء يكتب رأيه سرا في ورقة ويعطيها للرئيس مطوية والرئيس يضعها في أثناء القرعة وديوان رسل العمالات يتجدد أهله بالكلية كل خمس سنوات ولا يمكن أخذ الفرد الا بخلاصة من مشورة الديوانين مقررة من طرف الملك يمكن لاهل البلدان أن يراسلو

أهل الدوانين بطرق المرفحول ليشتكوا من شيء أو يعرضوا شيأ نافعاً القضاة لايتعزلون فلا يحكم على انسان الا بقضاة محل استيطانه * والدعاوي تقام جهرا وذنوب الجنايات لا يحكم فيها الا بحضرة جماعة يسمون الجوريين والعقوبة بالقبض على الاموال بطلت، للملك أن يعفوا عن المعاقب بالموت وأن يخفف العقاب الشديد * على الملك وورثته أن يحلفوا عند ارتقاء الكرسي بان يعملوا بما في كتاب قوانين المملكة * ثم أنه يطول علينا ذكر الاحكام الشرعية أو القانونية المنصوبة عند الفرنساوية فلنقل أن أحكامهم القانونية ليست مستنبطة من الكتب السماوية انما هي مأخوذة من قوانين أخر غالبها سياسية وهي مختلفة بالكلية عن الشرائع وليست قارة الفروع ويقال لها الحقوق الفرنساوية أي حقوق الفرنساوية بعضهم على بعض وذلك لان الحقوق عند الافرنج مختلفة ثم أن بباريس عدة محاكم وفي كل محكمة قاض كبير كانه قاضي القضاة وحوله رؤساء وأرباب مشورة ووكلاء الخصوم ومحامون للخصوم ونواب عن المحامين وموقع الوقائع

الفصل الرابع في عادة سكني أهل باريس وما يتبع ذلك

من المعلوم أن البلدة أو المدينة تبلغ من الحضارة على قدر معرفتها وبعدها عن حالة الخشونة والتوحش والبلاد الافرنجيه مشحونة بانواع المعارف والآداب التي لاينكر انسان أنها تجلب الانس وتزيين العمران وقد تقرر أن الملة الفرنساوية ممتازة بين الامم الافرنجيه بكثرة تعلقها بالفنون والمعارف فهي أعظم أدبا وعمرانا والبنادر أولى في العمارات عادة من القرى ومن الضياع والمدن العظمي أولي من سائر البنادر وتخت المملكة

أولى من سائر ماعداها من مدن تلك المملكة فحينئذ لاعجب ان قيل ان باريس
التي هي قاعدة ملك الفرنسيس من أعظم بلاد الافرنج بناء وعمارة وان كانت
عماراتها غير جيدة المادة فهي جيدة الهندسة والصناعة على أنه ربما يقال
أيضاً أن مادتها جيدة الا أنها ناقصة لقلة كثرة حجر الرخام فيها وبخلوها
عن بعض أشياء أخر وكيف لا وأساس حيطانها من أحجار النحاته وكذلك
الحيطان الخارجية وأما الداخلية فانها تتخذ من الخشب الجيد في الغالب واما
عواميدها فهى غالبا من النحاسة فقل ان كانت من الرخام كما ان تبليط
الارض يتخذ من حجر البلاط وقد يكون من الرخام الاسود مع البلاط
وذلك ان الطرق دائما مبلطة دائما بحجر البلاط المربع والحيشان
مبلطة بالبلاط المذكور والقيعان بالآجر اوبالخشب اوبالمرمر الاسود
مع البلاط المشغول وجودة الحجر او الخشب تختلف باختلاف يسار
الانسان ثم ان حيطان الغرفات والارض من خشب كما تقدم وهم يطلونه
بالطلاء ثم يسترون الحيطان بورق منقوش نقشا لطيفا فهو احسن من
عادة تبييض الحيطان بالجير فان الورق لايعود منه شيء على من مس
الجدار بخلاف الجير بل وهو اهون مصرفا واعظم منظر او اسهل فعلا
خصوصا في اوضاتهم المزينة بانواع من الامتعه التي لايمكن الافصاح عنها
غاية مايقال ان الفرنساوية يحاولون اضعاف نور الارض بوضع الستائر
الملونة خصوصا الخضرا وارض اوضهم مبلطة بخشب او بنوع من
القرميد الاحمر ويحكون ارض الاوضة كل يوم بالشمع الاصفر المسمى
عندهم شمع الحك وعندهم حكاكون بالاجرة معدون لذلك بالخصوص
وتحت اسرتهم المكسوة بالخيشات وبالمسجرات وغيرها سجادات عظيمة
يطؤنها بالنعال وفي كل اوضة مدخنة للنار وهى على شكل صفة القلل

مرخمة بجيد الرخام وفوقها ساعة بشختخته وحول الساعة من الجهتين آنية من تقليد الرخام الابيض او من البلور فيهما ازهار أو تقليد أزهار وحول هذا من الجهتين من القناديل الافرنجية الدولابية التي لايدرك صورتها حقيقة الا من رآها موقودة وفي غالب أوضهم آلة الموسيقا المسماة البيان بكسر الباء وضم النون فاذا كانت الاوضة أوضة شغل وقراءة ففيها طاوله مشتملة على آلات الكتابة وغيرها مثل سكاكين قطع الورق المصنوعة من العاج أو البقس أو غيرهما وأغلب الاوض مشحون بالصور خصوصا صور الاقارب وفى أوضة الشغل أيضاً قد توجد صور عجيبة وأشياء من غرائب ماكان عند القدما على اختلافهم وربما رأيت على طوالة الشغل أوراق الوقائع على اختلاف أجناسها وربما رأيت أيضاً فى أوض الاكابر التحفات العظيمة التي توقد بشموع العسل وربما رأيت أيضاً في أوضهم في يوم تلقى الناس طوالة وعليها جميع الكتب المستجدة والوقائع وغيرهما لتسلية من أراد من الضيوف ان يسرح ناظره وينزه خاطره فى قراءة هذه الاشياء وهذا يدل على كثرة اهتمام الفرنساوية بقراءة الكتب فهي أنسهم ومن التوقيعات اللطيفة الكتاب وعاء ملئ علما وظرف حشى ظرفا ومن لك بروضة تقلب في حجر وبستان يحمل في كم وما أحسن قول بعضهم شعرا

دفتري مونسي وفكري سميري * ويدى خادمي وحلمي ضجيعي
ولساني سيفي وبطشي قريضي * ودواتي عيشي ودرجي ربيعي

وقال

لنا جلساء ما يمل حديثهم * الباء مأمونون غيبا ومشهداً
يفيدوننا من علمهم علم ما مضي * وعقلا وتأديبا ورأيا مسددا

فان قلت أمواتا فما أنت كاذب * وان قلت أحياء فلست مفندا

ومن كلام بعضهم * نعم المحدث الدفتر * ومن كلام بعض الظرفا *
مارأيت باكيا أحسن تبسما من القلم ثم ان جميع هـذه التحف يكمل
الانس بها بحضور سيدة البيت أي زوجـة صاحبه التي تحيي الضيوف
أصالة وزوجها يحييهم بالتبعية فاين هذه الاوض بما احتوت عليـه من
اللطائف من أوضنا التي يحيي فيها الانسان باعطا شبق الدخان من يد
خادم في الغـالب اسود اللون وأما السقوف فانها من الخشب النفيس
ثم ان البيت في العادة مصنوع من أربع طبقات بعضها فوق بعض ماعدا
البناء الارضي فلا يحسب دورا وقد يصل الى سبعة أدوار وغيرها تحت
الارض من المخادع التي تستعمل أيضاً لربط الخيل أو المطبخ أو ذخائر
البيت وخصوصا النبيذ والخشب للوقود ثم ان البيت عندهم كما في بيوت
القاهرة مشتمل على عدة مسا كن مستقلة ففي كل دور من أدوار البيت
جملة مسا كن وكل مسكن متنافذ الاوضات وقد جرت عادتهم بتقسيم
البيوت الى ثلاثة مراتب المرتبة الاولى بيت عادي والثانية بيت لاحد من
الكبار والثالثة بيوت الملك وأقاربه ودواوين المشورة ونحوها فالاول
يسمى بيتـا والثاني يسمى داراً والثالث يسمى قصرا أو سراية ويمكن
أيضاً تقسيم البيوت من حيثية أخرى الى ثلاثة مراتب أيضاً المرتبة
الاولى البيوت التي لها حاجب ولها باب كبير يسع دخول العربة منـه
والثانية البيوت التي داخلها دها ليز ولها بواب ولا يمكن أن تدخل العربة
من بابها والثالثه البيوت التي لابواب لها أى لامكان للبواب فيها يسكن
فيه ووظيفة البواب في باريس ان ينتظر السا كن الى نصف الليل فاذا
أراد السا كن ان يسهر فى المدينة زيادة عن نصف الليل فعليه ان ينبه

البواب لينتظره ولكن لابد ان يعطيه بعض شيء وليس على الحارات
بواب أصلا وليس لها أبواب كما في مصر ثم ان العقارات بباريس غالية
الثمن والكرا حتي ان الدار العظيمه قد يبلغ ثمنها مليون فرنك يعني نحو
ثلاثة ملايين قروش مصريه ثم ان كرا المساكن في باريس قد يكون
لمجرد المسكن وقد يستأجرها الانسان بفراشها العظيم وجميع أثاثها وآلاتها
وآلات البيت عند الفرنسيس هي آلات الطباخة والمأكل باجمعها بطقمها
المشتمل على القضيات ونحوها وآلة الفراش للنوم وهو في الغالب عدة
طراحات احداها من الريش وملاية فرشه تتغير كل شهر وحرامات
الغطا ثم آلات التجمل وتلقي الزوار وهي الكراسي المكسوة بالحرير
المشغول ونحوه والسدلات المكسوة كذلك والكراسي العادية والآلات
العظيمه المنظر كالساعات الكبيرة المسماة عندهم بندول وكاواني
الازهار العظيمة وغيرها من أواني القهوة المموهة بالذهب وكالنجفة
المعلقة التي تتقد بالشموع المكررة وكخزانة الكتب التى لها باب من
القزاز يظهر منه مافيها من الكتب جيدة التجليد وكل انسان له خزنة
كتب سواء الغني والفقير حيث أن سائر العامة يكتبون ويقرؤن *والغالب
أن الرجل ينام في أوضة غير الذي تنام فيها زوجته اذا تقادم الزواج ومن
العوائد التى لابأس بها أن قصر ملك فرانسا وقصور أقاربه تنفتح حين
خروج السلطان وأقاربه كل سنة الى الاقامة في الخلاء مدة أشهر فيدخل
سائر الناس للفرجة على بيت الملك وأقاربه فيرون أثاث البيت وسائر
الاشياء الغريبة ولكن لايدخل أحد الا بورقة مطبوعة مكتوب فيها
الاذن بدخول شخص أو شخصين أو أكثر وهذه الورقة توجد عند
كثير من الناس فاذا طلبها الانسان ممن يعرفه أعطاها له فترى في

البيت ازدحاما عظيما للفرجة على جميع ما في حريم الملك وأقاربه وقد دخلت ذلك عدة مرات فرأيته من الامور العجيبة التي ينبغي التفرج عليها وفيه كثير من الصور التي لا تمتاز عن الناس الا بعدم النطق وفيه مصور كثير من ملوك فرانسا وغيرهم وكل أقارب السلطنة وكل الاشياء الغريبة وأغلب الاشياء الموجودة في حريم السلطنة مستحسنة من جملة جودة صناعتها لانفاستها بالمادة مثلا سائر الفراش كالكراسي والاسرة حتى كراسي المملكة مشغولة شغلا عظيما بالقصب المخيش ومطلية بالذهب الا أنه لا يوجد بها كثير من الاحجار الكريمة كما يوجد ببلادنا ببيوت الامراء الكبار بكثرة فمبنى أمور الفرنساوية في جميع أمورهم على التجمل لا على الزينة واظهار الغنا والتفاخر ثم سائر الاغنيا بباريس تسكن في الشتا في نفس المدينة وقد اسلفنا في ذكر طبيعة اقليم باريس أن كل بيت به مداخن تتقد فيها النيران في القيعان والاوض واما مدة الحر فان من له يسار يسكن في الخلا لان القصور بالخلا أسلم هواء من داخل المدينة ومن الناس من يسافر في بعض بلاد فرانسا أو ما جاورها من البلاد ليستنشق رائحة البلاد الغريبه ويطلع على البلاد ويعرف عوائد أهلها خصوصاً من مدة من السنه تسمى عندهم مدة التعطيل أو مدة الفراغ يعني البطالة حتى النساء فانهن يسافرن وحدهن أو مع رجل يتفق معهن على السفر ويتفقن عليه مدة سفره معهن لان النساء أيضاً متولعات بحب المعارف والوقوف على أسرار الكائنات والبحث عنها أو ليس انه قد يأتي منهن من بلاد الافرنج الى مصر ليرى غرائبها من الاهرام والبرابي وغيرها فهن كالرجال في جميع الامور نعم قد يوجد منهن بعض نساء غنيات مستورات الحال يمكن من أنفسهن الاجنبي وهن غير متزوجات

فيشعرن بالحمل ويخشين على الفضيحة بين الناس فيظهرن السفر لمجرد السياحه أو لمقصد آخر ليلدن ويضمن المولود عند مرضع باجرة خاصه ليتربي في البلاد الغريبة ومع هذا الامر فليس بشائع وبالجملة ما كل بارقة تجود بمائها ففي نساء الفرنساوية ذوات العرض ومنهن من هي بضد ذلك وهو الاغلب لاستيلاء فن العشق في فرانسا على قلوب غالب الناس ذكورا واناثا وعشقهم معلل لانهم لايصدقون بانه يكون لغير ذلك الا أنه قد يقع بين الشاب والشابة فيعقبه الزواج ومما ينبغي أن يمدح به الفرنساوية نظافة بيوتهن من سائر الاوساخ وان كانت بالنسبة لبيوت أهل الفلمنك كلا شيء فان أهل الفلمنك أشد جميع الامم نظافة ظاهرية كما أن أهل مصر في قديم الزمان كانوا أيضا اعظم أهل الدنيا نظافة ولم يقلدهم زراريهم وهم القبطة في ذلك وكما أن باريز نظيفة فهي خالية أيضا من السميات بل ومن الحشرات فلا يسمع بان انسانا فيها لدغته عقرب أبدا وتعهد الفرنساوية تنظيف بيوتهم وملابسهم أمر عجيب وبيوتهم دائما مفرحة بسبب كثرة شبابيكهن الموضوعة بالهندسة وضعا عظيما لجلب النور والهوا داخل البيوت وخارجها وظرفات الشبابيك دائما من القزاز حتى اذا أغلقت فان النور لايحجب أصلا وفوقها دائما الستائر للغني والفقير كما أن ستائر الفرش التي هي نوع من الناموسية غالبة لسائر أهل باريس

﴿ الفصل الخامس في أغذية أهل باريس وفي عاداتهم في المآكل والمشارب ﴾

اعلم أن قوت أهل المدينة هو الحنطة وهي في الغالب صغيرة الحبوب الا اذا كانت منقولة من البلاد الغريبة فيطحنونها في طواحين الهواء والماء ويخبزونها عند الفران فيباع الخبز في دكانه وسائر الناس لها ترتيب

يومي تشتريه من الخباز وعلة ذلك توفير الزمان والاقتصاد فيه لان سائر الناس مشغولون في أشغال خاصة فصناعة العيش في البيوت تشغلهم ثم أن المحتسب يامر الخبازين أن يكون عندهم كل يوم من العيش مايكفي المدينة وفي الحقيقة لايمكن فقد العيش أبدا بمدينة باريس بل ولا فقد غيره من أمور الاغذية وادم أهل هذه المدينة اللحوم والبقول والخضروات والالبان والبيض وغيرها والغالب تعدد الاطعمة ولو عند الفقراء ثم ان المذابح عندهم تكون بأطراف المدينة لا داخلها وحكمة ذلك أمران دفع الوخم ودفع أضرار البهائم اذا انفلتت وكيفية الذبح تختلف عندهم * فأما ذبح الضأن فانه أهون من ذبح غيره فانهم ينفذون السكين وراء زوره يعني بين زوره ورقبته ثم يقطعونه بعكس ما نفعل وأما ذبح العجول فانه مثله وأما الثيران فانهم يضربونها بمقامع من حديد في وسط رأسها فيدوخ من عظم الخبط ثم يكررون ذلك مرات فيقطع الثور النفس مع بقاء الحركة ثم يذبحونه كما تقدم من ذبح الضأن ولقد بعثت خادما لي مصريا الى المذبح ليذبح مااشترى منه كما هو عادتي فلما رأى معاملة الثيران بمثل ذلك الامر البشع جاء يستجير ويحمد الله تعالى حيث لم يجعله ثوراً في بلاد الافرنج والا لذاق العذاب كالثيران التي رآها والعجول والثيران تكون من البقر إذ لا وجود للجواميس بهذه البلاد إلا للفرجة وأما ذبح الطيور فانهم يذبحونها على أنواع مختلفة من الذبح فمنهم من يصنع فيها كالغنم ومنهم من يقطع لسان الطائر ومنهم من يخنقه بفتلة خيط ومنهم من يذبحه من قفاه الى غير ذلك وأما الارانب فانها لا تذبح أبداً بل تخنق ليحقن فيها دمها وأما ذبح الخنازير فلم أره لان له مذبحاً مخصوصاً والظاهر إنهم يصنعون بها

كالمجول ثم من الامور التي بها راحة للناس بمدينة باريس محال الاكل المسماة الرسطراطور أي اللوكنجه فانها مستوفية لما يجـده الانسان في بيته بل أعظم وقد يجد الانسان مايطلبه حاضراً وفي هذه الرسطراطور غرف لطيفة متعددة مستوفية لآلات البيوت وربما يوجد فيها محـال للنوم مفروشة بأعظم الفراش وكما يوجد في الرسطراطور أنواع المآكل والمشارب يوجـد فيها أنواع الفواكه والنقل وعادة الفرنساوية الاكل في طباق كالطباق العجمية أو الصينية لا في آنية النحاس أبداً ويضعون على السفرة دائماً قدام كل انسان شوكة وسكيناً وملعقة والشوكة والملعقة من الفضة ويرون أن من النظافة أو الشلبنة أن لا يمس الانسان الشيء بيده وكل إنسان له طبق قدامه بل وكل طعام له طبق وقدام الانسان قـدح فيصب فيها ما يشربه من قرازة عظيمة موضوعة على السفرة ثم يشرب فلا يتعدى أحد على قدح الآخر فأواني الشرب دائماً من البلور والزجاج وعلى السفرة عدة أواني صغيرة من الزجاج أحدها فيه ملح والآخر فيه فلفل وفي الثالث خردل الى آخره وبالجملة فآداب سفرتهم وترتيبها عظيم جداً وابتداء المائدة عندهم الشوربة واختتامها الحلويات والفواكه والغالب في الشراب عندهم النبيذ على الاكل بدل الماء وفي الغالب خصوصاً لاكابر الناس يشرب من النبيذ قدراً لا يسكر به أبداً فان السكر عندهم من العيوب والرذائل وبعـد تمام الطعام ربما شربوا شيئاً يسيراً من العرقى ثم انهم مع شربهم من هذه الخمور لايتغزلون بها كثيراً في أشعارهم وليس لهم أسماء كثيرة تدل على الخمرة كما عنـد العرب أصلا فهم يتلذذون بالذات والصفات ولا يتخيلون في ذلك معاني ولا تشبيهات ولا مبالغات نعم عندهم كتب مخصوصة متعلقة بالسكارى

وهي هزليات في مدح الخمرة لا تدخل في الادبيات الصحيحة في شيء أصلا ويكثر في باريس شرب الشاي عقب الطعام لأنهم يقولون انه هاضم للطعام ومنهم من يشرب القهوة مع السكر وفي عوائد أغلب الناس أن يفتتوا الخبز في القهوة المخلوطة باللبن ويتعاطونها في الصباح واذا أردت بعض شيء يتعلق بالمأكل والمشرب فراجع فصل المأكل والمشرب في ترجمتنا كتاب قلائد المفاخر ثم ان الغالب أن ماينقطعه أهل هذه المدينة من المآكل والمشارب كل سنة يكون هذا تقريبه فمن الخبز أبلغ من خمسة وثلاثين مليون فرنك ومن اللحوم تأكل نحو واحد وثمانين الف ثور وأربعمائة وثلاثين ثوراً ومن البقر نحو ثلاثة عشر الف بقرة ومن الضأن أربعمائة وسبعين الف كبش ومن الخنازير الوحشية والاهلية نحو مائة الف خنزير ومن السمن بنحو عشرة ملايين افرنك ومن البيض بنحو خمسة آلاف فرنك ومن غرائب الاشياء أن فيها التحيل على عدم عفونة الاشياء التي من شأنها العفونة فمن ذلك ادخار اللبن بكيفية خاصة خمسة سنين من غير تغير وادخار اللحم طريا عشرة سنوات وادخار الفواكه لوجودها في غير أوانها ومع كثرة تفننهم في الاطعمة والفطورات ونحوها فطعامهم على الاطلاق عديم اللذة ولا حلاوة صادقة في فواكه هذه المدينة الا في الخوخ وأما خماراتها فانها لا تحصى فما من حارة إلا وهي مشحونة بهذه الخمارات ولا يجتمع فيها الا أراذل الناس وحرافيشهم مع نسائهم ويكثرون الصياح وهم خارجون منها بقولهم ما معناه الشراب الشراب ومع ذلك فلا يقع منهم في سكرهم اضرار أصلا وقد اتفق لي ذات يوم وأنا مارٌّ في طريق باريس أن سكراناً صاح قائلا ياتركي ياتركي وقبض بثيابي وكنت قريباً من دكان يباع فيه

السكر ونحوه فدخلت معه وأجلسته على كرسي وقلت لرب الحانوت على سبيل المزح هل تريد أن تعطيني بثمن هـذا الرجل سكراً أو نقلا فقـال صاحب الحانوت ليس هنا مثل بلادكم يجوز التصرف في النوع الانسـاني فما كان جوابي له الا أنني قلت ان هـذا الشخص السكران ليس في هذا الحال من قبيل الآدميين وهذا كله والرجل جالس على الكرسي ولا يشعر بشيء من ذلك ثم تركته بهذا المحل وذهبت

﴿ الفصل السادس في ملابس الفرنسيس ﴾

من المعروف عندنا ان غطاء رأس الافرنج البرنيطة وان نعالهم في الاكثر الصرم السود او التاسومات وان لباسهم في الغالب هو الجوخ الاسود واما الفرنساوية فانهم في الغالب ايضا على هذا الملبس الا انهم لا يلتزمون ملبسا خاصاً غير ان كل انسان يلبس باختياره ما تاذن له العادة بلبسه والغالب ان لبسهم ليس له زينة وانما هو في غاية النظافة ومن العوائد العظيمة انتشار لبس القمصان والالبسة والصديريات تحت ملابسهم فان الموسر يغير في الاسبوع عدة مرات وبهذا يستعينون على قطع عرق الواغش فلذلك لا اثر للقمل ونحوه الا عند من اشتد به الفقر وملابس النساء ببلاد الفرنسيس لطيفة بها نوع من الخلاعة خصوصا اذا تزين باغلى ماعليهن ولكن ليس لهن كثير من الحلى فان حليهن هو الحلق المذهب في آذانهن ونوع من الاساور الذهب يلبسنه في ايديهن خارج الاكمام وعقد خفيف في اجيادهن واما الخلاخل فلا يعرفونها ابدا ولبسهن في العادة الاقمشة الرقيقة من الحرير او الشيت اوالبفت الخفيف ولهن في البرد شريط فروة فيضعونه في رقابهن ويرخين طرفيه كالمأزر

حتي يصـل بطرفيه الى قرب القـدمين ومن عوائدهن ان يحتزمن بحزام رفيع فوق اثوابهن حتى يظهر الخصر نحيفا ويبرز الردف كثيفا ومما انشده الحاجرى في ديوانه وان كان فيه خروج قوله

ومزنر يا ليتني استاذه * كيما افوز بضمة من خصره
القس يسقيه شبيهة خده * والمسلمين باسرهم في اسره
فوحقه لولا رشاقة قده * مارق اسلامي لشدة كفره

ومن العجائب انه يمكن الانسان أن يضع فى الخصر وقت الحزام فترى يديه لدقته ومن خصال النساء أن يشبكن بالحزام قضيباً من صفيح من البطن الى آخر الصدر حتى يكون قوامهن دائماً معتدلا لااعوجاج به ولهن كثير من الحيـل ومن خصالهن التي لا يمكن للانسان أن لا يستحسنها منهن عدم ارخائهن الشعور كعادة نساء العرب فان نساء الفرانسيس يجمعن الشعور في وسـط رؤسهن ويضعن فيه دائماً مشطاً ونحوه ومن عوائدهن في أيام الحر كشف الاشياء الظاهرية من البدن فيكشفن من الرأس الى ما فوق الثدي حتى انه يمكن أن يظهر ظهرهن وفي ليالي الرقص يخلعن عن أذرعتهن وبالجملة فلا يعد ذلك من الامور المخلة عند أهل هذه البلاد ولكن لا يمكن لهن ابدا كشف شيء من الرجلين بل هن دائماً لابسات للجرابات الساترة للسـاقين خصوصاً فى الخروج الى الطرق وفى الحقيقة سيقانهن غير عظيمة أصلا فلا يصلح لهن قول الشاعر

لم أنسه اذ قام يكشف عامداً * عن ساقه كاللؤلؤ البراق
لا تعجبوا ان قام فيه قيامتى * ان القيامة يوم تكشف الساق

وملابس الحزن عند الفرنسيس أن يلبس علامة الحزن مدة معلومة ولها محل معلوم فالرجل يضع علامة الحزن فى برنيطته مدة معلومة

والمرأة فى ثيابها والولد على فقد أبيه أو أمه علامة الحزن ستة أشهر وعلى فقد الجدة أربعة أشهر ونصف والزوجة على فقد الزوج سنة وستة أسابيع وعلى فقد الزوجة ستة أشهر وعلى فقد الاخ أو الاخت شهرين وعلى فقد الخال والخالة والعم والعمة ثلاثة أسابيع وعلى فقد أولاد الاعمام والعمات والاخوال والخالات أسبوعين ثم ان مايباع فى باريس من الجوخ كل سنة بنحو مليون فرنك تقريباً ومن الحرير بثلاثة ملايين فرنك ومن الفراوي بمليون فرنك ولعل السبب فى ذلك هو ان الفراوي تشترى من خصوص باريس لاهل باريس ومن المتداول عند الفرنساوية استعمال الشعور العارية لنحو الاقرع وردى الشعر بل قد يستعملونها في اللحي والشارب للتقليد وقد شاعت عندهم تلك العادة من زمن لويز الرابع عشر ملك فرانسا حيث ان هذا الملك كان يلبسها ولايخلعها من رأسه أصلا الا عند النوم ولا زالت الى الآن مستعملة لكن للاقرع أو وردي الشعر ومن الغريب انها تستعمل الآن فى مصر بين نساء القاهرة

الفصل السابع في متنزهات مدينة باريس

اعلم ان هؤلاء الخلق حيث انهم بعد أشغالهم المعتادة المعاشية لاشغل لهم بامور الطاعات فانهم يقضون حياتهم فى الامور الدنيوية واللهو واللعب ويتفننون في ذلك تفننا عجيبا فمن مجالس الملاهي عندهم محال تسمي التياتر بكسر التاء المشددة وسكون الثاء الثانيه والسبكتاكل وهي يلعب فيها تقليد سائر ماوقع وفي الحقيقة ان هذه الالعاب هي جد في صورة هزل فان الانسان يأخذ منها عبرا عجيبة وذلك لأنه يرى فيها سائر الاعمال الصالحة والسيئة ومدح الاولى وذم الثانية حتى ان الفرنساوية

يقولون أنها تؤدب أخلاق الانسان وتهذ بها فهي وان كانت مشتملة على المضحكات فكم فيها كثير من المبكيات ومن المكتوب على الستارة التي ترخي بعد فراغ اللعب باللغة اللاطينية وما معناه باللغة العربية قد تنصلح العوائد باللعب وصورة هذه التياترات أنها بيوت عظيمة لها قبة عظيمة وفيها عدة أدوار كل دور له أوض موضوعة حول القبة من داخله وفي جانب من البيت مقعد متسع يطل عليه من سائر هذه الاوض بحيث ان سائر مايقع فيه يراه من هو فى داخل البيت وهو منور بالنجفات العظيمة وتحت ذلك المقعد محل للآلاتيه وذلك المقعد يتصل باروقة فيها سائر آلات اللعب وسائر ما يصنع من الاشياء التي تظهر وسائر النساء والرجال المعدة للعب ثم أنهم يصنعون ذلك المقعد كما تقتضيه اللعبة فاذا أرادوا تقليد سلطان مثلا فى سائر ماوقع منه وضعوا ذلك المقعد على شكل سراية وصوروا ذاته وانشدوا أشعاره وهلم جرا ومدة تجهيز المقعد يرخون الستارة لتمنع الحاضرين من النظر ثم يرفعونها ويبتدون اللعب ثم النساء اللاعبات والرجال يشبهون العوالم في مصر واللاعبون واللاعبات بمدينة باريس أرباب فضل عظيم وفصاحة وربما كان لهؤلاء الناس كثير من التأليف الادبية والاشعار ولو سمعت مايحفظه اللاعب من الاشعار وما يبديه من التوريات في اللعب وما يجاوب به من التنكيت والتبكيت لتعجبت غاية العجب * ومن العجائب أنهم في اللعب يقولون مسائل من العلوم الغريبة والمسائل المشكلة ويتعمقون في ذلك وقت اللعب حتى يظن أنهم من العلماء حتى ان الاولاد الصغار التي تلعب تذكر شواهد عظيمة من علم الطبيعيات ونحوها ثم انهم يبتدون اللعب بآلات الموسيقا ثم يلعبون مايريدون لعبه واللعبة التي تظهر تكتب في ورقة وتلصق في حيطان المدينة وتكتب في

التذاكر اليومية ليعرفها الخاص والعام وفي الليلة يلعبون لعبات وبعد فراغ كل لعبة ترخي الستارة اذا أرادوا مثلا لعب شاه العجم البسوا الاعبا لبس ملك العجم وأحضروه وأجلسوه على كرسي وهكذا وفي هذه السبكتاكل يصورون سائر مايوجد حتى انهم قد يصورون فرق البحر لموسى عليه السلام فيصورون البحر ويجعلونه يتماوج حتى يشبه البحر شبها كليا وقد رأيت مرة في الليل أنهم ختموا التياتر بتصوير شمس أن تسييرها وتنوير التياتر بها حتى غلب نور هذه الشمس على نور النجف حتى كأن الناس في الصباح ولهم أشياء أغرب من هذا وبالجملة فالتياتر عندهم كالمدرسة العامة يتعلم فيها العالم والجاهل وأعظم السبكتاكل في مدينة باريس المسماة الاوبرا بضم الهمزة وتشديد الباء المكسورة وفتح الراء وفيها أعظم الآلاتية وأهل الرقص وفيها الغناء على الآلات والرقص باشارات كاشارات الاخرس تدل على أمور عجيبة ومنها تياتر تسمي أوبرة كوميك فيغنى فيها الاشعار المفرحة وبها تياتر تسمي التياتر الطليانية وبها أعظم الآلاتية وفيها تنشد الاشعار المنظومة باللغة الطليانية وهذه كلها من السبكتاكلات الكبيرة وفي باريس سبكتاكلات صغري وهي مثل تلك الا أنها صغيرة وهناك أيضا سبكتاكلات أخرى يلعبون فيها الخيل والفيلة ونحوها ومنها التياتر المسماة تياتر كرنكوني بكسر الكاف وفتح الراء وسكون النون وضم الكاف وكسر النون الثانيه وفيها فيل مشهور بالالعاب الغريبة معلم تعليما عجيباً وكما أن أعظم التياترات الاوبرة فاصغرها تياتر تسمى تياتر الكمت وهي معدة لنزاهة الصغار كالحاوي في مصر والكمت اسم معلم هذه السبكتاكل وكل اللاعبين واللاعبات صغار السن وهذه التياتر يوجد بها كثير من الشعبذيات والسيم ونحوها ولو لم تشتمل التياتر

في فرانسا على كثير من النزغات الشيطـانية لكانت تعد من الفضائل العظيمة الفائدة فانظر الى اللاعبين بها فانهم يحترزون ما أمكن عن الامور التي يفتتن بها المخلة بالحياء ففرق بعيد بينهم وبين عوالم مصر وأهل السماع ونحوها ولا أعرف اسما عربياً يليق بمعني السبكتاكل أو التياتر غير أن لفظ سـبكتاكل معناه منظر أو منتزه أو نحو ذلك ولفظ تياتر معناه الاصلي كذلك ثم سمي بها اللعب ومحله ويقرب أن يكون نظيرها أهل اللعب المسمي خيالياً بل الخيالى نوع منها وتشتهر عند الترك باسم كمدية وهذا الاسم قاصر الا أن يتوسع فيه ولا مانع أن تترجم لفظة تياتر أوسبكتاكل بلفظ خيالى ويتوسع في معنى هـذه الكلمة ويقرب من تصوير السبكتاكل أو هو منها مواضع يصور فيها الانسان منظر بلد أوأرض أو نحوذلك فمن ذلك بانورمه وهو محل تنظر فيه فتري المدينة التى تريد تصويرها فى صورة مصر ترى كانك على منارة السلطان حسن مثلا والرميلة تحتك وباقى المدينه ومنها كسمورة وفيه صورة بلدة ثم أخرى وهكذا ومنه ديورمه وفيه صورة دار ومنها اورانورمه وفيه صورة الفلك الاعظم وسائر مايحتوي عليه مصورا على مذهب الافرنج فالمتفرج فيه يمكنه أن يطالع علم الفلك ومنها أوروبرمه وفيه صورة بلاد الافرنج ومن المنتزهات محال الرقص المسماة البال وفيه الغناء والرقص وقل ان دخلت ليلا فى بيت من بيوت الاكابر الا وسمعت به الموسيقا والمغني ولقد مكثنا مدة لانفهم لغنائهم معني اصلا لعدم معرفتنا بلسانهم ولله در من قال فى مثل هذا الامر

ولم افهم معانيهـا ولكن * ودت كبدي فلم اجهل شجاها
فكنت كانني اعمي معني * يحب الغانيات ولا يراها

والبال قسمان بال عام ويدخله سائر الناس كالبال في القهاوى والبساتين والبال الخاص وهو ان يدعوا الانسان جماعــة للرقص والغناء والنزهة ونحو ذلك كالفرح في مصر والبال دائما مشتمل علي الرجال والنساء وفيه وقدات عظيمة وكراسي للجلوس والغالب أن الجلوس للنساء ولا يجلس أحد من الرجال الا اذا ا كتفت النساء واذا دخلت امرأة علي أهل المجلس ولم يكن كرسي خاليا قام لها رجل واجلسها ولا تقوم لها امرأة لتجلسها فالانثي دائما فى المجالس معظمة ا كثر من الرجل ثم ان الانسان اذا دخل بيت صاحبه فانه يجب عليه ان يحيي صاحبة البيت قبل صاحبه ولو كبر مقامه ماامكن فدرجته بعد زوجته او نساء البيت ومن المتنزهات جمعية الناس كضمة مصرالا ان فيها دائماً آلات الموسيقا والغنا والرقص وبين كل نوبة من الموسيقا والغنا يقسم على الحاضرين بعض مطعومات ومشروبات خفيفه وبالجملة فالموسيقا بالاصالة والشراب الخفيف بالتبعية هماحظ هذه المجالس كما قال الشاعر

هل العيش الاماء كرم مصفق * ترقرقه في الكاس ماء غمام

وعود بنان حين ساعد شدوه * على نغم الاوتار نأى زنام

وقد قلنا ان الرقص عندهم فن من الفنون وقد اشار اليه المسعودى في تاريخه المسمي مروج الذهب فهو نظير المصارعة في موازنة الاعضا ودفع قوى بعضها الى بعض فليس كل قوى يعرف المصارعة بل قد يغلبه ضعيف البنية بواسطة الحيل المقررة عندهم وما كل راقص يقدر على دقائق حركات الاعضاء وظهر ان الرقص والمصارعة مرجعهما شيء واحد يعرف بالتأمل ويتعلق بالرقص فى فرنسا كل الناس وكانه نوع من العياقة والشلبنة لامن الفسق فلذلك كان دائماغير خارج عن قوانين الحياء بخلاف

الرقص فى ارض مصر فانه من خصوصيات النساء لانه لتهيج الشهوات
واما في باريس فانه نط مخصوص لايشم منه رايحة العهر ابدا وكل انسان
يغرم امرأة يرقص معها فاذا فرغ الرقص عزمها آخر للرقصة الثانية
وهكذا وسواء كان يعرفها اولا وتفرح النساء بكثرة الراغبين في الرقص
معهن ولا يكفيهن واحد ولا اثنان بل يحببن رؤية كثير من الناس يرقص
معهن لسأمة انفسهن من التعلق بشيء واحد كما قال الشاعر

ايا من ليس يرضيها خليل * ولا الفا خليل كل عام
اراك بقية من قوم موسى * فهم لايصبرون على طعام

وقد يقع ان من الرقص رقصة مخصوصة يرقص الانسان ويده في
خاصرة من ترقص معه واغلب الاوقات يمسكها بيده وبالجملة فمس المرأة اياما
كانت فى الجهة العليا من البدن غير عيب عند هؤلاء النصارى وكلما حسن
خطاب الرجل مع النساء ومدحهن عد هذا من الادب وصاحبة البيت
تحيي اهل المجلس ومن النزه المواسم العامة التى تصنع في الصيف ومبناها على
الرقص والآلات وتسييب البارود ونحو ذلك ومن المواسم العامة عندهم
ايام تسمى أيام الكرنوال وتسمي عند قبطة مصر ايام الرفاع وهي عدة
أيام يرخص لسائر الناس فيها سائر التقليدات والتشكلات فيتشكل الرجل
تشكل امرأة والمرأة فى صورة رجل ويترائى الخواجه في صورة راع
ونحو ذلك وبالجملة فيباح سائر مالا يضر براحة المملكة وانتظامها ويقول
الفرنساوية ان هذه الايام أيام جنون ويدور بهذه البلدة عجل أسمن
عجول فرانسا في موكب عظيم مدة أيام الزفر الثلاثة ثم يذبحونه ويعطون
لصاحبه بخشيشاً في نظير تسمينه له حتى يسمن سائر الناس عجولهم ومن
منتزهات باريس الحدايق العظمية العامة فى باريس نحو أربعة بساتين

كبري يتماشى فيها الخاص والعام فمنها حديقة تسمى الشمزليزه معناه بالعربيه رياض الجنة وهي من أرق المتنزهات وأنضرهـا وهي بستان عظيم يبلغ أربعين اربانا والاربان هو قياس يقرب من الفدان ومع أن طول طريقها نحو الف قامة فانها موضوعة بحيث أنك اذا مددت نظرك رأيت طرفها الثاني قدام عينيك وفي هذه الروضة العظيمة دائما شيء من الملاهي لايمكن حصره وسائر أشجار هذا البستان متصافة متوازية بعضها مع بعض رتبت بحيث أنه يوجد مدخل من كل الجهات فهو على سمت الخطوط المستقيمة من سائر الجهات وفي وسط كل جملة من الاشجار يوجد محل مربع وهذه الحديقة يتصل أحد جوانبها بنهر السين وبينها وبينه رصيف وبجانبها الاخر بيوت باطراف الخلا وفيها كثير من القهاوي والرسطراطورات يعني بيوت الا كل وفيها سائر انواع الطعام والشراب وهي مجمع الاحباب والاكابر وبها كثير من المراتح للخيل ويدخل فيها الاكابر بالعربيات المزينة وفيها عدة آلاف من الكراسي بالاجرة يجلس عليها في زمن الربيع نهارا وفي زمن الصيف ليلا وأعظم اجتماع الناس فيها يوم الاحد فانه يوم البطالة عندالفرنساوية وبالجملة فهذه الحديقة محل للمواسم وللافراح العامة والزينات وبها تماشى سائر النساء الجمالات ومن المتنزهات المحال المسماة البلوار وهي الاشجار المتصافة المتوازية وقد أسلفنا بيانها وهي محل يتماشي فيه سائر الناس في سائر الايام وفيه أعظم قهاوي باريس وتدور فيه الآلاتية المنتقلون بالاتهم وفيهم كثير من محال التياترات وبه أيضا تدور النساء اللواتي يتعرفن بالرجال سيما بالليل فهو في جميع الليالي وفى ليلة الاثنين يحوى كثيرا من الناس فترى فيه كل عاشق مع معشوقته ذراعه في ذراعها

الي نصف الليل و يصلح هنا قول الشاعر

لاتلق الا بليل من تواصله * فالشمس نمامة والليل قواد
كم عاشق وظلام الليل يستره * لاقى الاحبة والواشون رقاد

(وقال آخر)

أيها الليل طر بغير جناح * ليس للعين راحة في الصباح
كيف لا ابغض الصباح وفيه * بان عنى الوا الوجوه الملاح

ولا يمدح الليل الا من ترقب فيه وصال محبوبه (وتفقد فيه نيل مطلوبه) بخلاف من كثر فيه حرقه وزاد أرقه وطال سهاده وطار رقاده فانه يهوي الصباح ليذهب همه ويرتاح (قال الشاعر)

الا أيها الليل الطويل الا انجلى * بصبح وما الاصباح منك بامثل
فيالك من ليل كان نجومه * على صفحات الجو شدت بيذبل

(وقال آخر)

ليلى وليلى نفي نومي اختلافهما * بالطول والطول ياطوبي لو اعتدلا
يجود بالطول ليلى كلما بخلت * بالطول ليلى وان جادت به بخلا

(وقال من لا يشكوا من الليل)

ياليل طل أولا تطل * لابد لى أن أسهرك
لو كان عندي قمري * مابت أرعي قمرك

(وقال آخر مثله)

ياليل طل ياشوق دم * أنى على الحالين صابر
لى فيك أجر مجاهد * ان صح أن الليل كافر

وهذا أيضاً من باب الشكوي ومن المتنزهات أيضاً سوق تباع فيه الازهار وفي هذا السوق تجد سائر الاشجار والنباتات والازهار الغريبة

النادرة ولو في غير أوانها حتي أن الانسان يمكنه أن يجدد بستانا في يوم
واحد بان يشتري سائر مايحتاجه ثم يزرعه في يوم وبالجملة فلا يمكن أن
الانسان يتمتع بهذه المتنزهات الا بصحة البدن

الفصل الثامن فى سياسة صحة الابدان بمدينة باريس

لما كان من ضروريات الحكمة الاعتناء بحفظ صحة الابدان وكان
الافرنج أحكم الأمم كثر اعتناؤهم بهذا الفن وبتكميل آلاته ووسائطه
وكانوا أشد الناس مسارعة لما فيه نفع للبدن كالحمامات والحمام الباردة
المياه وترييض الجسم وتعويده على الامور الشاقة كالعوم وركوب الخيل
والالعاب التي يخف بها البدن والحمامات في باريس متنوعة وفي الحقيقة
هي انظف من حمامات مصر غير ان حمامات مصر انفع منها واتقن
وأحسن في الجملة وذلك ان الحمام فى مدينة باريس عدة خلوات في
كل خلوة مغطس من نحاس يسع الانسان فقط وفى بعض الخلوات
مغطسان وليس عندهم مغطس عام كما في مصر ولكن هذه العادة أسلم
بالنسبة للعورة فانه لاطريقة ان يطلع انسان على عورة آخر حتى ان
الخلوة التي فيها مغطسان بين كل مغطس ستارة تمنع ان ينظر الانسان
صاحبه وليس فى دخول الانسان هذه المغاطس الصغيرة لذة كالدخول
في الحمامات ولا يعرق الانسان بها أبدا اذ الحرارة لاتوجد الافي المغطس
لافى الخلوة أبدا وان كان يمكن ان يوصي الانسان على حمام بالبخار
فانهم يصنعون له ذلك ولكن بثمن آخر غير الثمن المعتاد وفي الحمام صفان
من الخلاوي صف للرجال وصف للنساء وكما انه يوجد حمامات مستقرة
يوجد حمامات منقولة فاذا طلب الانسان حماما في بيته أو كان مريضا

أو نحو ذلك فانهــم يحملون اليه في عربة كالبرميل الماء البارد فى شقة والساخن في أخرى ومعها محم فيوضع المحم فى بيت الانسان ويملا من الماء المسخن فيغتسل الانسان منه ثم بعد فراغه يحملونه الى بيت الحمام ومن الحمامات حمام يضع فيه الانسان بعض بدنه لبعض الامراض فيسمى نصف حمام والحمامات بباريس كثيرة فاشهرها ثلاثون حماما تقريبا *
ومن أمور الرياضات النافعة لصحة البدن مدارس يتعلم فيها علم السياحة وهي ثلاثة مكاتب على نهر السين ومنها مدارس لتخفيف البدن وجعله قابلا للاشياء العجيبة كالبهلوانية والمصارعة ونحو ذلك

الفصل التاسع في الكلام على إعتناء باريس بالعلوم الطبية

اعلم ان مدينة باريس هي أعظم مدن الافرنج التي يرحل اليهــا الغربا لتعلم العلوم خصوصا العلوم الطبية وقد ينتقل اليها المرضى من بلاد بعيدة للبحث عن تداويهم فيها والعــلوم الطبيه التي تسمى أيضا عــلم الحكمة هي علم الطب والجراحة والتشريح وفن الفسيولوجيا من حالة وسياسة الصحة لحفظها وتطبيب الحيوانات وغــير ذلك والحكماء في باريس كثيرون جداً حتى يوجد فى كل خط عدة حكماء بل الطرق مــلوءة من الحــكماء حتى ان الانسان اذا أصيب فى الطريق بداء فانه لابد أن يجد الحكيم حالا لكثرة الحكماء بهذه البلدة ووضع المرضى بالنسبة للاطباء مختلف فمن المرضى من يطلب الطبيب ليزوره عنده وللحكيم قدر معلوم على كل مرة يأتيها اليه ومن المرضى من يذهب الى الطبيب فى بيته وللطبيب ساعات معينة يمكث فيها قصدا فى بيته لتلقى الناس ومن المرضى من ينتقل مدة معينة في بيت يسمى بيت الصحة معــد

لمن يدفع قدرا معينا فى نظير أكله وشربه وسكناه وتطبيب بدنه وخدمته ونحو ذلك وفى باريس بيوت حكماء معدة لمن ابتلى بخلل شيء من عظام البدن كالاحديداب فانه يدخل بيتا من هذه البيوت للتطبيب فيقومون بدنه بشيء من علم الحيل كما اذا كان انسان مقطوع أحد الاطراف فانهم يجبرون ذلك بان يضعوا له من المعدن او الخشب شيأ في محله وفي هذه المدينة ايضا بيوت يدخل فيها النساء الحوامل المشرفات على الولادة لتلدن فيها وتقضين فيها مدة النفاس وفي هذه البيوت توجد القوابل وسائر مايحتاج اليه في الولادة ومن المواضع المعدة للمرضي والتي يوجد فيها الاطباء المارستانات العامة فتدخلها المرضي للعلاج ولاقامة مدة المرض بلا عوض ثم ان الاطباء في باريس فرقتان احداهما الاطباء عامة لمطلق الامراض على تنويعها والاخرى لدا آت خاصة وذلك ان علم الطب متسع جدا فقل ان يشتغل انسان بسائر فروعه ويحققها فاحتياج اطباء الفرنساوية الى ان الطبيب بعد ان يقرأ فروع العلوم الطبية ينبغي له ان يختار منها فنا ليصرف فيه همته ويتقوى فيه ويتبحر حتى يشتهر ويمتاز عن غيره من الاطباء بتحقيق ذلك الفن حتي يجلب اليه من به داء يدخله شيء من ذلك الفن فلذلك يوجد فى باريس اطباء مثلا لخصوص مرض الرئة واطباء مرض العين تسمى المكحلاتية واطباء لامراض الاذنين واطباء لداء الانف وتجبيره حتي ان من اطباء الانف من يمكنه بالحيلة ان يرجع الانف المجدوع صحيحا وفى باريس اطباء تستعمل جاذبية المغناطيس الانسانية للاستعانة على مداواة الانسان وتفصيل ذلك ان في باريس جماعة من الطبايعية تزعم انه ثبت عندهم ان بدن الانسان يشتمل على مادة سيالية يعني جاذبية المغناطيس الانسانية يعني ان هذه المادة

لها خاصية المغناطيس وتحصل هذه بتقريب اليد عدة مرات كالمسح فينعس الانسان او تغيب حواسه حتي لايحس بشيء فاذا غاب وكان مريضا بمرض شديد عالجه الحكماء بقطع شيء أو بفتح شيء من بدنه من غيران يشعر بشيء ابدا وقد جرب ذلك في قطع ثدي امرأة بعد مغناطيسيتها فمكثت عدة ايام ثم ماتت فقال علماء المغناطيسية انها ماتت بسبب آخر لا بألم القطع فانها عاشت بعده فالمغناطيسية نافعة لمعالجة الامراض العصبية وفى باريس ايضاً حكماء لخصوص مداواة خلل العقل اولألم اعضاء التناسل او الحصوة ولخصوص الامراض الجلدية المنفرة وغيرها كالجزام والجرب وفي باريس ايضا حكماء لتوليد النساء فان العادة ايضا في باريس ان المرأة يولدها رجل حكيم عارف بامور الولادة وبها حكماء لمعالجة البياضة التي تنزل بالعين والماء الذى يعميها وبها حكماء لاوجاع الصدر وداء الفالج الذى هو شلل بعض الاعضاء فيداوونه بعلاج يسمي الاكمبكتور بكسر الهمزة والكاف وسكون الميم وضم الباء وسكون الكاف وضم التاء يعني شكات دبابيس كثيرة دقيقة فيخرجون بذلك شيأ من الدم ينفع لتخفيف ضرر هذا الداء وبها حكماء لعلاج اختلال خلقة الانسان وهذا العلاج يسمي الارتو بيدي بضم الهمزة وسكون الراء وضم التاء وكسر الباء وسكون الياء وفتح الدال يعني فن اصلاح خلل اعضاء الاطفال فمن الحكماء من يصلح خلل الفم او الوجه ومنهم من يشتغل بتدبير الاعضاء الناقصة لسد خللها باعضاء اخري مدبرة ثم ان فروع العلوم الطبية كثيرة فالمشهور منها فن التشريح وفن تمييز امراض الانسان من حال طبيعته وفن الكيميا العقاقيرية وفن اسباب الامراض الباطنية الطبية وعلم الجراحة الطبية ووضع العصابة على الجراح والتضميد

بالمراهم وفن تطبيب ملازم الفراش المبتلى بامراض ظاهرية وفن تطبيب
ملازم الفراش المبتلى بامراض باطنية وفن معالجة النفسا وتوليد الحامل.
وعلم الطبيعة التي تدخل الطب وعلم العقاقير والادوية المفردة او المركبة.
صناعة المعالجة ومباشرة المريض ومدارس الحكمة بمدينة باريس ومنافعها
شهيرة فمنها مدرسة كبيرة تسمى اكدمة الحكمة السلطانية وهي ديوان
الحكماء السلطانية وهي مجعولة لحاجة المملكة الفرنسيسية ومباشرة الامراض
العامة الضرر كالامراض الوبائية والامراض التي يعتقد الفرنساوية انها
معدية وكمرض فصل البهائم ومن وظيفة علماء اكدمة الحكمة معالجة
سائر الناس بما تجمله المملكة موقوفا على النفع العام كاشهار تلقيح البقري
لاخراج الجدرى وامتحان الادوية الجديدة والادوية المكتومة
وامتحان والادوية المعدنية الاصلية او المصطنعة لادخالها في الادوية
وبالجملة فاهل هذه الجمعية السلطانية اعظم الحكماء الفرنساوية
ولنذكر هنا بعض ما يتعلق بما رستان باريس فى فصل فعل الخير وقد
اسلفنا بعض شيء من ذلك فى الفصل السابق
ولنذكر لك نبذة من فن قانون الصحة وتدبير البدن حتى تتم فائدة هذه الرحلة.
وهذه النبذة ترجمتها في باريز لقصد استعمال جميع الناس بمصر لها لصغر حجمها.
فهي وان كانت تخرجنا عما نحن بصدده الا ان منفعتها عظيمة وثمرتها جسيمة

نصيحة الطبيب

المادة الاولى في وصية صحاح البدن

لاشك ان الاطباء معتبرون بين الناس لشدة نفعهم عندهم ومع
ذلك فالاولى الاستغناء عنهم لانهم رفقاء المرضى فلنحرص على حفظ

أنفسنا من أسباب المرض ومن الاحتياج الى الطبية والدواء المجرب لمنع الاحتياج اليه هو اعتياد الكد والقناعة ولنذكر لك بعض أمور آخر الاول لاتسكن دارا مماسة لمزرعة مرتفعة أودارا غائرة في الارض يسيرا فان كلا هذين الموضعين يجعل الدار رطبة ومضرة للصحة فالعافية ولو كانت قوية تذهب فيهما على تداول الايام * ارفع أرض بيتك بعض قراريط برمل أو حصى أو طوب مسحوق أو ماأشبه ذلك وتجنب البناء فى أرض مماسة لارض أعلا منها * إجعل منافس الهواء الى الجنوب الشرقى أي اجعله بين الشرق والجنوب فان ذلك للصحة أسلم من جميع الاوضاع * الثاني الهواء المخزون يجلب الحمى المحرقة فوسع طاقاتك ليسهل فيها دخول الهواء والنور وافتحها في غالب الاحيان لان البرد للصحة أوفق من الحر فاهل الجانب الشمالي حياتهم وصحتهم أبرك من أهل الجنوب والمريض يشفى فى غرفة مفتوحة لسائر الرياح وربما هلك لو كان بجانب الحرارة * الثالث بركة الماء الراكد اذا اشتد قربها من البيوت فانه يتصاعد منها أبخرة لاتناسب الصحة بل تؤذيها أو ربما قتلت وبسبب ذلك ترى بعض البلدان منتنا بالاوباء فاجتنب هذه الاشياء الجالبة للامراض والاوجاع * الرابع السكر يرعي البدن ويحرقه ويسرع بالمشيب فنصيب من ينهمك على شرب الخمور وغيرها من المسكرات أن يصاب بداء الذبول ويقصر الاجل * الخامس من أسباب امراض اختلاف الزمن كتعاقب الحر والبرد ونزول المطر السريع أو نزوله باردا في وسط الايام الحارة فاولى مايطرد هذه الامراض ان تلبس أزيد مما يقتضيه الفصل فالبس أثواب الشتاء قبل فراغ الخريف ولا تعجل خلعها عند دخول الربيع واذا ابتل بدنك كله بماء بارد فاغتسل بالماء

الفاتر فان لم يبتل الا عضو فقط فاغسله وحده * السادس احذر اذا اشتد حرك ان تمكث في موضع بارد أو تشرب ماء شديد البرودة والا فالعرق يحبس حالا ويتداخل في الباطن ويتسبب عن ذلك داء الخناق وورم الصدر والقولنج المحرق وغير ذلك فاذا نفذ القضاء وابتلى باحدها فالواجب تداركه لعله يخف فاول ماتحسن بمبادي العلامات فضع القدمين في ماء هين الحرارة وطر بالماء الفاتر ظاهر المتالم من الحلق أو الصدر أو البطن واحتقن بالماء الفاتر المخلوط بيسير اللبن وتعاطى الشوربة التي صورتها أن تأخذ قبضة من زهر الخمان وتضعها في اناء خزف مع أوقية ونصف من جيد الخل ورش على الجميع قدح ماء مغلي وغط الاناء ودعه يبرد فمتى بردت هذه الشوربه فصفها بخرقة وذوب فيها اوقيتين من العسل فاذا فعلت ذلك فقد غنمت ماحرمت منه الطبيب من الدراهم فان ماتعطيه له منها ذاهب عن يدك وربما كان ذلك الطبيب لايفيدك في هذا الداء شيأ

المادة الثانية في الدلالة على مايصنع حين اخذ المرض في الظهور

اعلم ان كثيرا من الناس باعتناء فاسد يريد أن يداوي المرضى فيهلكهم فاول مايبدو قليل من الحمى أو القئ فلا يجد أحسن من تعريق المريض فيضغطه تحت أغطية ثقيلة ويحجب عنه الهواء ويسقيه شوربة الخضراوات الحارة وربما سقاه خمرا حارا أو حلوا فهل من الا صحاء من يستطيع حمل ذلك أو ليس ان هذا يمرض من ليس بمريض نعم قد يكون العرق به الشفاء لكن حين تكون الامراض قد صدرت عند انحباسه أو بعد تقليل هذه أو ازالتها بكثرة تعاطى الشوربات وعلى كل حال

فلا بد من ادخال الهواء اللين في موضع المريض لما ان حاجة الانسان الى الهواء كحاجة السمك الى الماء والشوربات الحادة تزيد الحرارة التي تهلك المريض وتحرقه وتيبسه والخمر هو سم حقيقي في الحمى فعليك بخلاف ذلك من الشوربات الرطبة الباردة فانها تذيب الاخلاط المنفسدة وتسهل خروجها وتخفف الحرارة وتنظف المعدة وبعض الناس يريد أن يرد العافية لذي الحمى فيعطيه المرق فيضاعف ألمه مع ان من الحقيقه المقررة عند أكابر الاطباء ان المريض الذي به خميرة المعدة كلما أعطوه من الاغذية زاد ضعفه وهذه الاغذية اذا انفسدت بالاخلاط المعفونة التي تختلط معها في الجوف تنقلب مرضا جديدا فما يتعين في شفاء المريض هو ما يضعف المرض ففي كل عشرين مريضا يموتون في الارياف فاكثر من الثلثين يمكن أنه كان يشفى بلا شيء لو كان في موضع مستور من مضار رياح وكان لا يشرب الا ماء مبرداً ولكن لا مفر من القدر وأغلب الامراض الحادة والحميات يتقدمها أيام تشويش كيسير الخدر وقلة النشاط وعدم شهية الاكل ويسير ثقل المعدة والتعب وثقل الرأس والنعاس الثقيل عديم الراحة غير المصلح القوى بل وثقل الصدر والميل الى البرودة وتيسر العرق غير المعتاد وانقطاع العرق المعتاد وعند ذلك يتيسر تدارك أو تخفيف هذه الامراض المضرة بأربعة الاول ترك سائر الاشغال الشاقة والمداومة على الاشغال الهينة * الثاني تقليل أكل المغذيات أو اجتنابها لاسيما ترك اللحم والمرق والبيض والنبيذ * الثالث اكثار الشرب يعني ان يشرب كل يوم قزازة فاكثر في كل نصف ساعة طاسة من الشربة المذكورة في المادة السابقة أو من الماء الفاتر المخلوط في كل قزازة اما بخمسة عشر أو بعشرين حبة من الملح المعتاد أو بفنجان خل أو بملاعق من العسل الرابع الاحتقان بماء فاتر او بهذا الدواء وهو أن تأخذ قبضتين من

الحشايش أو من زهر الخبازي وتغمرها وترش عليهما نصف قزازة ماء مغلي وتصفيها بخرقة وتضيف عليهما أوقية عسل

المادة الثالثة فى الدلالة على مايصنع حين ظهور المرض

اعلم أنه ينبغي للمريض اذا تلبس بالبرودة أو الحي أو الالم أنه يلزم الفراش أو الجلوس وأن يتغطي زيادة عن عادته وأن يشرب في كل ربع ساعة فنجانا من مسخن الشوربة السابقة فلا بأس بتغطية المرضي حال بردهم ولكن لابد من تخفيف الغطاء كلما خفت البرودة حتي يكون بمجرد انقطاعها ليس عليهم الا الغطاء المعتاد ثم ان بعض اهالى القرى يعتادون النوم على طراحة مكبوسة ريشاً ويتغطون بغطاء ثقيل من الزغب والحر الصادر عن الريش هو خطر على المحمومين لكن لما اعتيد على ذلك يمكن اغتفار هذه العادة في بعض الاحيان الا في مـدة الحر او اشتداد الحي فليتخذ للنوم طراحات مكبوسة بالقش وللغطاء ملاحف او اكسيه أقل خطراً من الريش فهذا هو مايريح المريض وينبغي الحذر من تسخين هواء محل المريض ومن كثرة الناس واللفظ ومن الكلام معه الا على قدر الحاجة ينبغى فتح طيقانه وأقله ربع ساعة في النهار وربع ساعة بالليل وينبغي مع فتح الطيقان فتح باب الغرفة ليتجدد الهواء ولكن لابعاد المريض عن جريان الاهوية فلتسحب عليه ستائر فرشه أو ليحجب عن الهواء بكيفية أخرى وفي زمن الحر ينبغي ابقاء طاقة من الطيقان مفتوحة ويحسن أيضاً تبخير غرفته بخل مطفى فوقه نحو بجرفة حديد محماة وينبغى في الهجير والمريض متعب بالهواء الحار أن يرش بلاط غرفته وأن يوضع فيها فروع غليظة من شجر الصفصاف

ونحوه تغمس في إناء فيه ماء لتكون مسقية وليجتنب المريض تناول الاطعمة المغذية ولا يأكل الا يسيراً من خفيف الثريد المنضج أو الارز المطبوخ بالماء مع يسير من الملح ولا بأس في الصيف بالأثمار المستوية وفي الشتاء بالتفاح المنضج أو البرقوق والاجاص بعد تيبسهما وطبخهما فهذه الاثمار اذا أكلت بلا اكثار منها تروي وتبرد وتصلح الصفراء المنفسدة الحارة فهي الاغذية اللائقة بالمحموم واستعمل الشراب الرطب والمبرد الذي ذكرناه سابقاً ولا بأس أيضاً أن تضع في نحو قزازة الماء طاسة من عصير الفواكه التي ذكرناها قريبا وينبغي للمريض أن يشرب كل يوم قزازتين من ماء فاكثر وان يتناول في المرة يسيراً ففي كل ربع ساعة يشرب فنجانا مالم ينم واللائق أن يكون الشراب غير شديد البرودة ففي اعتدال الزمن يكون في طراوة نسيم الغرفة ولو امتنع المريض من حاجة الانسان جملة أيام أو يبل بكثرة أو خرج بوله أحمر أو خلط في كلامه أو كانت حمته قوية أو كان وجع رأسه أو كليته شديداً أو كانت بطنه متألمة أو كان محتاجا كثيرا الي النوم فليحتقن كل يوم مرة بالحقنة المركبة مما سبق ذكره في المادة الثانية فالاحتقان شفاء لمحموم الا اذا حدث للمريض العرق النافع فلا يحتقن واذا خف المرض فينبغي الخروج من الفراش في اليوم ساعة فاكثر كما يمكنه ولكنه لابد من نصف ساعة أولا ينبغي ترك فراشه وهو متلبس بالعرق ومن المستحسن تصليح فراشه كل يوم وتغيير ماعلى بدنه كل يومين اذا تيسر ذلك ومن الضرر البين الحكم بخلاف ذلك وظن أنه يخاف على المريض من خروجه من فراشه فيتركه في ثيابه المتسخة وهذه الثياب لاتقتصر في اضرارها على ابقاء أصل المرض فقط بل تقويه قبل أن المريض تعبان جدا وهذه حجة غاطلة ولو سلم أن

استعمال ذلك يتعبه درجة فانه يزيد مابقي من قوته ويسرع تخفيف ألمه

﴿ المادة الرابعة في معالجة الناقه ﴾

اعلم انه ما دام بالانسان قليل من الحمى فلا يتناول الا الاغذية الخفيفة التي بيناها فاذا انقطع عرق الحمى فلا باس ان يتناول غيرها كقليل من اللحم الطري او السمك او المرقة والبيض هين النضج فهذه الاغذية تصلح القوي بشرط عدم الاكثار فيما يتناول منها والا فتبطي الصحة لان المعدة الضعيفة من المرض ليست متأهلة الا ليسير الهضم فلو اعطيتها فوق ما في قوتها فلا ينهضم سائر ما يدخل فيها بل ينفسد وقوام البدن انما هو بما تهضمه المعدة لا بما يصل اليها فقط فينبغي للناقه ان يكون كالمريض في تناوله قليلا في كل مرة ولكن في غالب الاوقات وان لا يتعاطي في المرة الاجنسا واحد امن الاطعمة وان لا يكثر من تغيير الاطعمة وان لا يستعجل في مضغ ما يتناوله من الجوامد وان لا يكثر من الشرب وخير الشراب هو الماء المخلوط بشيء من الانبذة وليسر على قدرما يستطيع ماشيا اوراكبا عربانةاو فرساومن العبث تركدركوب الخيل في هذه الحاله لمن يملك الخيل كاغلب اهل الارياف واذا كان السير بعد تناول الطعام كان مقويا لمادة الهضم بخلاف فعله قبل فهو ربما يضر الهضم وليتناول من قام من المرض يسيرا من الطعام في المساء لان النوم اريح واصلح له من الاكل ولا يضره عدم قضاء الحاجة كل يوم نعم اذا جاوز يومين من غير خروج شيء فليحتقن ثالث يوم او قبله ان علم ان قبض بطنه تتولد عنه الحرارة اوالانتفاخ اوضيق الصدر اووجع الرأس. وينبغي لمن قام من مرضه جديد ان لا يسرع في العود الى شغله فان لم يصبر

الى تمام عافيته طال ضعفه فالاستعجال على الشغل قبل أوانه يعقبه من الخسارة زيادة على ما يؤمل كسبه فان لم يحفظ على نفسه ولا أصابه مرض الذبول فينبغي حين ارادة الاخذ للمبادي مراقبة العواقب

﴿ المادة الخامسة في وصايا عامة على الصحة ﴾

اتخذ القناعة في الاكل فمن لم يقنع لايشبع بل يهلك نفسه * قيل من أرخي على الطعام طويل عنانه حفر مقبرته بحدة أسنانه * لاتأكل دون مرتين في اليوم بل لابأس بثلاثة والصغار لهم أن يأكلوا أربع مرات بل خمسة (لاتنم عقب الأكل ومدة النوم للسليم ست ساعات أو سبعة وللضعيف والصغير أطول من ذلك تضمحل القوة والعقل ويذهب كل منهما باعتياد تطويل النوم * النظافة نصف الصحة فلتكن في البدن والثوب والمسكن والغذا والمتاع لاتمضغ الدخان ولا تنتشق به فكثرة اللعاب الذي يكسبه للطبيعة مضعف على طول الزمن وبه يضيع الريق اللازم في الهضم وينتن النفس وتسود الاسنان وتفسد وقد شوهد أن كثيرا من الناس اعترته الحماقة بالاكثار من شرب الدخان أو شم النشوق * إياك والانهماك على تعاطي الخمور والمسكرات سيما أيام الصوم وقد توهم أنها تشد القوى مع ان القوة المستفادة من تعاطيها تمر في أدني زمن ويعقبها وهن وذلك كما أن النار تذكو اذا أكثرت من نفخها وترعي الوقود سريعا ولا تعطي الحرارة الا درجة وأما الفلاحون الذين يشتغلون في وقت الصيف فعليهم تغطية رؤسهم وأن يتداركوا أشغالهم

﴿ المادة السادسة في معالجات لجملة علل وامراض ﴾

الاول الزكام والنزلة يقال هذا ليس بشئ ان هو الازكام أو نزلة نعم نسلم ان الانسان لايموت بذلك لكن يتسبب عن ذلك حرارة الصدر المهلكة له ومن كلام بعض الحكماء الاقدمين يهلك بالنزلة والزكام أبلغ مما يهلك بالوبا وعلاج ذلك استعمال الشربة المذكورة في المادة الاولى أو تعاطي سلاقة الحمان التي ربعها أو ثلثها ابن وينبغي قبيل النوم وضع الرجلين في الماء الفاتر ولو انحبست البطن تعين الاحتقان وينبغي الاقتصار على تناول الاطعمة الخفيفة وتعاطي اليسير في المأكل ولا بأس بتعاطي بعض طاسات من خفيف مرقة الخشخاش الاحمر وقد يوهم بعضهم ان هذا الداء يذهب بالعرقي المحروق أو الخمر المعطر والحلو مع ان هذا كالقاء الحطب في النار اذهذه الاشربة أقرب في تثقيل هذا الداء من ازالته أو ليس ان هذا الداء حرارة وهي تزداد بهذه الاشربة * الثاني وجع الاسنان اذا كان الوجع ناشئا عن فساد السن فخير علاجه كما قيل الكلبتان فاللائق قلعه والادام الوجع وفسد غيره من الاسنان وربما جر ذلك الى فساد الحنك ولكن لو اختير بقاء السن خوفا من قلعه فلا بأس أن تختبر بان تلطخ على موضع الفساد قطنة مبلولة في قطرات من عصير القرنفل فان ذلك يصلحها زمنا طويلا وربما كانت نهايته تفتتها وسقوطها ويمكن أيضا أصلاحها بان تلطخ على ذلك الموضع قطعة صغيرة من عرق عاقر قرحا وتتمضمض بسليق النبات المسمى حشيشة الفضة وأما اذا تحرك الوجع من غير ان تكون الاسنان منفسدة فادم الغرغرة بالشعير أو بالماء واللبن وتضميد الصدغ بالضماد المطري واتخذ الحموم جملة ليال بماء فاتر

ولا تشرب الأنبذة المخدرة ولا تكثر من الاكل وأما اذا كان بالاسنان قرح فتنضيجه بان تديم في فمك لبنا أوتينا مطبوخا في لبن فاذا نضج فافتحه فانه سهل غير مولم * الثالث السكتة إعلم ان داء السكتة يأتي الانسان فجأة فيعطل الحواس والحركات الاختيارية ماعدا النبض وبه يعسر التنفس وهذا المرض مخوف فتجب المسارعة الى الطبيب ومدة انتظار حضوره يجب أولا كشف رأس المريض وتغطية ماعداه من البدن بشيء خفيف جداً وجلب الهواء الطرى عنده وفتح طوقه بالكلية ثانياً يقام حسبما يمكن رأسه الى أعلا ورجلاه الى أسفل ثالثاً يحقن بحقنة مصنوعة من سلاقة الحشايش الطرية والملح رابعاً أسقه كثيرا من الماء حسب الامكان خامساً ابعاده الاشربة المخدرة كالخمر وكذلك الماء المعطر شربا وضمادا وسعوطا سادساً عدم مسه وتحريكه الالضرورة سابعاً عصب الرجلين تحت الداغصة وهى العظم المدور والمتحرك في وسط الركبة حتى يحجب الدم عن الصعود الى الرأس وربما يرجع داء السكتة بعد ذهابه وكلما رجع كان أصعب مما قبله فالواجب تداركه من قبل بأن يأكل وهو فى هذه الحالة قليلا جداً وأولى ماينفع له ان يترك العشاء وان يجتنب الاشياء الغزيرة المائية وطيبات الروائح والحوامض والاشربة المقوية والقهوة وان يأكل قليلا من اللحم وكثيرا من الخضراوات والفواكه وان يشرب دواء مسهلا مرتين أو ثلاثا كل سنة وان يتريض وان لا يكثر من السخونة في أوضته أو حرارة الشمس وان لا يتأخر فى النوم أو في القيام منه وان لا يلبث فوق ثمان ساعات في فراشه * الرابع ضربة الشمس هو مرض يصيب الانسان متى اعترض في حر الشمس زمنا طويلا عريان الرأس فيعرف هذا المرض بوجع الرأس الشديد واحترار البشرة واحمرار العيون وجود الدموع وضعف البصر عن

الامتداد الى الضوء وقد يحصل للمريض به سهر وربما أحس بالنوم وقلق
شديدا وفي الغالب تكون بشرة الوجه محترقة فالمريض لا يزال شديدا حتى يأتي
الطبيب سريعا فينبغي في مدة انتظاره أن تضع رجلي المريض في ماء فاتر وتدخله
نصف حمام أو حماما كاملا واحقنه باعشاب مطرية واسقه كثيرا من شربة
الليمون والماء أو أسقه ماء مخلوطا بيسير الخل وأنفع من ذلك مصل اللبن الصافي
المخلوط بيسير الخل والطخ على جبهته وصدغه ورأسه خرقة مطراة
بماء بارد وخل معا * الخامس نهش السميات اولا اخرج الزبان اذا
لصقت بالمحل الملدوغ ثانياً تعهده بالماء ثالثاً ألطخ عليه اما كزبرة
اوكرفسا او زهر الخمان رابعاً فان عظم الحرقان فاسرع ما ينفع هو
ان تبل خرقة صوف في سلاقة الخمان وتلطخها وهي هينة
الحرارة خامسا ان تلصق على الوجع لبخة من سحيق بزر الكتان او
من لباب الخبز الممزوج باللبن او العسل * السادس قاعدة يجب اتباعها في
تعهد الصغار والاطفال * حق على الامهات اللاتي يردن حفظ صحة ابنائهن
وتربيتهم ان يتركن عوائد البربر من لف الاطفال بكيفية يمتنع معها
تحركهم وتنقل ارجلهم او ايديهم فكيف يقلن لو اخبرهن انسان ان
اللازم لصحتهن ان يحتبسن في اثوابهن وان يلصقن اذرعتهن ببدنهن
وان لا يتحركن كالمسلسل فلاي شيء يصنعن ذلك باطفالهن وهم ضعاف
فليطلقنهم يتحركوا وليعرضن اطرافهم للهواء * من يتوهم من غير مستندان
اهل الفرس الصغير او العجل كذلك من المستحسن لصحتهما ربطهما
وتكتيفهما على ذلك الوجه او ليس ان حكم تربية الادمي هي كغيره
من باقي الحيوانات * السابع السم بالفطر وهي جنس ردي من الكمأة
كثير من الناس من يهلك بميله الى الفطر وكان الاحسن في حقهم يقيئهم

ان يتجنبوه وقد شوهد غير مرة ان الام تحمل لعيالها كثيرا من الفطر لتبريهم به فتقتلهم بيدها واعمال هذا النبات السمي لا يظهر الا بعد مضي ست ساعات الى اثنى عشرة فاول ما تحس بها اطلب الطبيب وتناول مدة انتظار حضوره حبتين او ثلاث حبات من الطرطرمقي اي ملح طرطير المقيء بعد تذويبه في طاسة ماء * الثامن السم بالزنجار اعلم ان آنية النحاس التى تستعمل فيها المطبوخات هي خطرة بسبب زنجرتها سريعا والزنجار سم قوي فلتبيض اوانيك وقتا بعد وقت بالقسدير ولا تترك الاطعمة تبرد فيها خصوصا اذا كان بها الخل او الحماض او الحريفات او الدسمة فاذا اعتراك وانت محترز عن ذلك قولنج او قيء فامزج نحو خمسة عشرة من بياض البيض في قزازتي ماء واشرب منها طاسة في نحو دقيقتين لتتقايا السم فان لم تجد البيض فاكثر من شرب اللبن فان عدمت اللبن فمن المـاء المحلي او ماء الصمغ * التاسع دآء الكلب وهو معروف لسائر الناس بوصفه وعمله الرديئين وهو يتولد طبيعة في الذياب والثعالب والسنانير وخصوصا في الكلاب وعضة الحيوان الكلب تكسب هذا الداء للآدميين وغيرهم من الحيوانات وعلامة الكلب الكلب انك تراه اولا كئيبا ذابلا مدة ايام فيختفي ويسلك المحال المظلمة ولا ينبح بل يختفي ويترك المأكل والمشرب ثم يهجر بيت اصحابه ويجري من جهة الي اخرى ويقف شعره ويبتل لسانه من اللعاب ويتدلى من فمه وينعوج ذنبه بين رجليه ويهرب من المائعات ويهم ان يعض سائر الناس حتي صاحبه ثم يموت بعد يوم او يومين بشدة مسارعته وتفوح من جيفته رائحة منتنة فالواجب حينئذ دفنها في عميق من الارض ومتي عض هذا الكلب الانسان فان الجرح من عادته ان يلتئم بالسهولة كانه غير متسمم وبعد مدة قليلة او

كثيرة وهي ثلاثة اسابيع الى ثلاثة اشهر يحس بالجرح وجع مكتوم فينتفخ اثره ويحمر وينفتح ويقيح ومدته تخرج حارة منتنة محمرة ويذوق المريض الكآبة والخدر والكسل والبرودة ويعسر عليه التنفس ويمسك الوجع امعاءه ويضطرب في نعاسه ويعطش عطشا مهلكا ويقاسي اذا شرب ثم يعتريه الارتعاد من الماء والمائع ويبح صوته ثم يجن ويموت وليس من شأن من اصيب بهذا الداء ان يعض غيره دائما بل معظم المبتلين بهذا الداء اذا احس هجومه عليه ينصح الحاضرين بان يكونوا منه على حذر وما يذوقه من الالم تقصر عنه العبارة فيتمنى ولو الموت ومعالجته هي ان اول ما يعضه الكلب تسرع بوضع الدواء فيه فان توانيت سرح السم الى الدم ولا يجدي التطبب شيأ وذلك الدواء هو أن تستخرج الدم من الجرح بعد كشفه وتغسله بماء مملح وتكويه بحديدة بعد حرقها في النار حتى تبيض بعد الاحمرار وتغرزها في سائر أقطار الجرح فلو بقي جزؤ من الجرح غير محكم الكي كان الكي كلا شيء ويصح أن تستعمل بدل الحديدة المحروقة دهن الزاج فتدخله بين شفتي الجرح وتجريه في سائره ومتى انكوى اللحم تغطيه بخرقة مدهونة بالقيروطي أي المرهم أو بالزبدة الطرية واعلم انه يجب غسل الثياب المنقوبة باسنان الكلب الكلب لما أنها حين تشربت من ريقه تخلل بها جزء من سمه وما تقدم لك هو الكيفية المتعينة المجربة في هذا المرض الشديد فلا تتردد أو تخف قليلا من الالم الذي يطرد غيره من الالم الشديد أو الهلاك المفزع وأيضاً لو طلبت الحكيم لاثبت لك بسداد رأيه هذه المعالجات السالفة ولا بأس أن تستعمل هذا الدواء في أي حيوان معضوض بكلب كلب * وأزل ما على الجرح من الشعر ولو كان المعضوض اذنا أو ذنبا فلتقطعه ولتكو على ما سبق موضع القطع

وينبغي ان تعزل البهائم المعضوضة عن غيرها من سائر البهائم حتى يزول مابها ولا تعدي غيرها * العاشر الاستعانة على افاقة الغريق لا تيأس من فاقة الغريق الا اذا أخذ بدنه في العفونة فحينئذ ولو مضت ساعات كثيرة من وقت غرقه أو ذهبت حركته بالكلية أو فقد أمارات الحياة فافعل به مايستحقه عليك من واجبات الاخوة فقبل كل شيء أطرد من اجتمع عليه من الخلق لانه يضيق الصدر ويحجب الهواء ثانياً لو رأيت الغريق قد فقد الحس والحركة فامل رأسه بحيث يكون وجهه الى أسفل وافتح شفتيه حتى يخرج بسهولة الماء الذي قد دخل من الفم او الانف وارفع رأسه مغطاة بقلنسوة من صوف ان تيسرت وادرج باقي بدنه في نحو ملحفة وانقله سريعا الى اقرب موضع رابعا بعد وصوله اخلع ماعليه من الثياب باسهل ما يمكن ولو بقطعها بآلات ان لزم * خامساً افرش له عند ذلك بعض طراحات ومخدات بها بعض صلابة واجعلها قريبا من نار متقدة وضع فوق الطراريح ملحفة من الصوف ورقد الغريق فوقها مرفوع الرأس ملفوف البدن سادساً دلك البدن تحت الملحفة بالرفق بخرقة صوف مدفئة يابسة ثم دلك بالمائعات القوية المستقرة على ظاهر بدنه خصوصاً على السرة وما حولها والاولى خصوصاً في الشتاء ان تسخن عاجلا ماء وتملأ منه مثانات على الثلثين من ماء هين الحرارة وتضعها فوق أجزاء البدن المحتاجة للحرارة سابعاً مدة الدلك او عقب وضع المثانات ينبغي ان تدخل الهواء في صدره بان تضع قصبة او ريشة في فم المريض او في احدى طاقتي انفه مع فتح الاخرى وانفخ في تلك القصبة بمنفاخ لدفع الهواء فيها فان كان النفخ في الفم فاقبص الانف ولكن ارخ أصابعك مرة بعد أخرى ليخرج منه الهواء أحيانا ثامناً اشممه القلى البخاري

يعني الروح البخارية من ملح النشادر بان تقرطس ورقة حتى تكون مبرومة فى صورة فتيلة وتشربها من قرازة قلى بخارى وتعرضها تحت انف الغريق او تدخلها في منخاره وتكرر هـذا العمل مراراً بالرفق ناسماً العقه ان أمكن يسيراً من روح الانبذة المخلوط بالكافور وربما مكث هذا المائع فى فمه يسيراً من الزمن ثم بلعه ولكن لا تملأ فمه منه حتى يتعسر بلعه عاشراً لو بلعها فاعطه اكثر منها فلو تحركت معدته من غير وجود قيء وذلك مايتعبه فاعطه ثلاث حبوب من الطرطر مقى مذوبة في ثلاثة او اربعة ملاعق ماء فان تقايا بهذه الكيفية فاسقه ماء فاترا وان انزل من المخرج شيأ فقوه بتناوله شيأ من الانبذة حادي عشر لو أبطأ عن الاحساس فاحقنه حقنة حريفة وصورتها ان تأخذ اوراقا يابسة من الدخان قدر نصف اوقية ومن الملح المعتاد ثلاثة دراهم وتغلى ذلك في مقدار من الماء يعادله نحو ربع ساعة وتحقنه به ويصح ان تؤلف هذه الحقنة من نصف طاسة ماء وطاسة خل وربع رطل من الملح المعتاد وهذه كيفية معالجة الافاقة للغريق وتدبيرها ممكن لكل انسان حتى يحضر الطبيب فيعينهم ايضا ولو كانت مفيدة ففائدتها لا تحصل الا بعد التدبير مدة ساعات على التوالي ففائدة ذلك بطيئة خفيـة ولذلك كان اللازم استدامة ذلك زمنا فمن الغرقى من لايفيق الا بعد ست ساعات او سبعة من مبدء خروجه من المـاء الحادي عشر غيبوبة الحياة برائحة بيوت الاخلية والبالوعات والآبار والمجارى ونحوها أولا اخرج سريعاً من أصيب بهذا الداء وضعه تحت الهواء ثانياً جرده من الثياب ورش على بدنه ماء بارداً او ماء مشوبا بخل وهو أولى وأولى منـه حامض الجير ثالثاً العقه ماء بارداً ممزوجا بقليل من الخل رابعاً احقنه بحقنة ماء بارد

ثلثها خل ثم بعد ذلك احقنه بملح ذائب خامساً ادخل في انفه طرف شعر ريشة وحركها بالرفق سادساً ادخل الهواء في صدره بواسطة قصبة وانفخها بمنفاخ كما سلف في الغريق عند العمل السابع واسلك سبيل النشاط والاستعجال في هذه المعالجة فكلما أبطأت كلما ظن اليأس من انتاجها ولما كان الموت لا ينكشف الا بعد مدة تحتم ادامة المعالجة حتى يتيقن * الثاني عشر غيبوبة الحياة بالبرودة اعلم ان شدة البرد قد تستحكم باعمالها في الانسان فتجمد الاعضاء وتحبس جريان الدم وربما مات بها الانسان ودواؤها مخوف العاقبة جداً وان كان لا ألم به أبدا فمباديها هو الرعشة التي تكاد ان تكون مصرعة وصلابة الجسم وانحباس الدم وخدر المفاصل وذهاب الاحساس والتذاذ البدن بالنوم وانقياده اليه ولو بالقهر وانقطاع حركات الحياة على التدريج وعاقبته خروج المبتلى به من حيز الاحياء الى حيز الاموات وفي الحقيقة حركات الحياة ليست الا متوقفة فعليك ان تسرع في معالجته بدواء سواء ذهبت امارات الحياة بالكلية او بقي منها شيء واعلم ان بعض الناس توهم ان معالجة افاقته تكون بالحرارة وهذا وهم فاسد لاضرار الحرارة بكثير من الناس ولكن معالجته هي ان تلف أولا بدنه في ملحفة من صوف وتحمله الى اقرب مايرتاح فيه من الاماكن وتخلع ثيابه وتضعه في فرش غير محمي ثانياً اذا كان عندك ثلج فدلك البدن مع رفق بشيء من ذلك ماراً من القلب الى المفاصل ثم بعد لحظات ادلكه بدل الثلج بخرقة مسقية بماء بارد وبعده بماء فاتر ثم بماء مسخن ورش على وجهه شيأ من هذه المياه ثالثاً لو تعذر الثلج فضعه في حمام فيه ماء بئر بارد وبعد نحو ثلاثة دقائق افرغ عليه قليلا من الماء المسخن وهلم جرا فافرغ عليه كل ثلاثة دقائق

حتى تذهب برودة الماء على التدريج ويصير فاترا معتدلا .واعمل جميع
ذلك نحو ثلاثة ارباع ساعة فقط فان استشعرت برجوع حركة نبض
المريض فلك ان تزيد حرارة الحمام حتى يصير في درجة سخونة الحمام
المعتاد وما دام المريض في الحمام فرش على وجهه يسيراً من ماء بارد
بعد تدليكه بخرقة رقيقة * رابعاً المسه في انفه بطرف ريشة او بفتيلة
ورق مسقية من القلى البخاري *خامسا ادخل الهواء في صدره بواسطة
انبوبة او منفاخ كما سبق في الغريق * سادساً اعطه سفوفا حبات من
الملح المعتاد والعقه لعقتين ماء باردا مخلوطا بقطرات من ماء المسكة *
سابعا اذا بقي بالمريض الخدر فاسقه قليلا من ماء ممزوج بخل وان كان
نومه به سبات فاحقنه بحقنة حادة وهي ما تقدمت في شأن الغريق ومن
سوء الخطأ توهم ان استعمال الخمور والمسكرات القوية يمكن ان يتدارك
بها ابعاد هذا الداء مع ان الامر بعكس ذلك وهو ان كثرة الاشربة
تحبس جريان الدم فمن ينهمك على تعاطيها فهو أشد تأثراً من غيره
بآفات البرودة *الثالث عشر غيبوبة الحياة بدخان الفحم كل من يمكث
في غرفة مغلوقة موقود بها فحم فقد ألقى نفسه في مهلكة فمبدؤها يحصل
للانسان شدة وجع الرأس وبعد ذلك يعتريه تعسر النفس ثم يقع في
ذبول كحالة الموتى فان عولج فذاك والا هلك ومعالجته هي ان تسرع
الى تعريضه في الهواء وتجرده من اثوابه وتنيمه على ظهره وتسقيه ماء
ممزوجا بخل وترش من هذا الماء على وجهه وصدره وتبل خرقة من
ذلك الماء وتدلك بدنه بها وتمسح وجهه ثم تعيد ذلك جملة مرات
وتقرب نحو مشامه عود كبريت مشتعل او غيره من حاد الرائحة وتغمزه
في باطن انفه بطرف ريشة وتحقنه مرتين الاولى بماء ممزوج بخل

والثانية بماء ملح فان بقي بعد ذلك على حالته فدلك فقار ظهره بمسحة من عرف حيوان والطخ شيأ من معجون الخردل على بطن رجليه وادخل الهواء في صدره بان تدخل في احدى طاقتي انفه فم منفاخ وتنفخ والحال ان الاخرى مسدودة فاجتهد وواظب على ذلك وليس في الغالب يفوق المريض فان ساعدتك المقادير على افاقته وظهر شيء من امارات الحياة فضعه في فرش عظيم التسخين في غرفة بها الهواء والعقه شيأ من خير الاشربه * الرابع عشر في معالجة الحرق أول ما يحترق عضو الانسان فليغمس العضو في ابرد ما يمكن من الماء وان تعذر غمسه في الماء فرشه دائما باسفنجة مملوءة منه وكلما تسخن الماء المستعمل في ذلك الغسل فجدده وواظب على ذلك ساعات وافتح ما ينتفخ من الدمامل بطرف ابرة واحذر ان تفشخها أو تسلخ البشرة ثم الطخ على ذلك العضو المرهم الملصوق على بعض خرقة رقيقة بورق اللازوق ومحل هذا كله ما لم يمض نصف ساعة قبل غسل العضو المحروق في ماء بارد والا فهذا الدواء يكون مضراً بل في هذه الحالة لا بد ان تكتفي باستعمال المرهم الذى تنوب عنه الزبدة الطرية ولو رأيت الحرق امتد على العضو بتمامه فعليك بالحكيم لتستعين به على ذلك * الخامس عشر في الجدري والتخلص من مجيئه بتلقيح البقري أمر الجدري معلوم وكونه اما قاتلا او مشوها سيما بالوجه بين عند سائر الناس وربما اذهب البصر وأورث أسقاما لا تنقضي الا بانقضاء الاجل وهناك طريقة لتداركه قبل أوانه مجربة فمن مرض بالجدري مع وجودها فهو من سوء تفريط والديه واهمالهم فعلى أب الانسان وأمه المبادرة لذلك فاذا بلغ سن المولود ستة أسابيع الى ثمانية وجب طلب الحكيم ليخرج سم الجدري بالتلقيح ولا

عذر لهما ان أهملا فى ذلك لقدرتهما على مداواة ولدهما فلو تركاه حتى أصيب بالجدرى فقد فات أوان استعمال تلقيح البقرى فيندمان حيث لاينفع الندم وفي بعض الممالك تلقيح البقري للاطفال معين على بيت المال فلا كلفة فيه خصوصا على الفقراء فعلى أهل هذه المملكة ان يقبلوا عليه في الحال ولا يتأخروا الى غد فربما في اليوم القابل تحرك سم الجدري ولا يغتر بقول من يزعم انه غير مثمر شيأ فصحيح التجربة أوضح فائدة استعماله ومن استعمله لطفل فأصيب الطفل بعد ذلك بالجدري فذلك لفقد شروط كون التلقيح كان غير محكم الوضع والحبات الذي أخذت كانت غير تامة فاذا استعملته في المولود فاطلع الحكيم على حبات البقري تحقق اصابة استعماله وعدمها واستعمال تلقيح البقري غير مؤلم فهو أخف من شكة ابرة ولا يمرض به الانسان ويصح استعماله لاي عمر كان والجدري داء متوقع مدة أجل الانسان حتي كانه دين ماله الى القضاء وقضاؤه يحصل بالمسارعة الى استعمال تلقيح البقري لمن يريد التخلص من اصابته

* خاتمة * هذا آخر ما أردنا شرحه من النصائح النافعة للصحة * فالصحة جوهر نفيس عن سائر ماعداه * اذ بسلبها لا تنفع زينة الحياة * فما ثمرة الاموال لعليل * لايتمتع منها بشفاء الغليل * يذهب المريض كنوز ذهبه * لمن يبريه من وصبه * ومع ذلك قد يكون خلاف غرضه * فلا يصح له الشفاء من مرضه * تقرع الامراض باب الخطير * على نسق ماتقرع باب الحقير * ولا ترق لشكواه * ولا تسمع دعواه * حكمة بالغة للحكم العدل * ذى الاقتدار والفضل * فليس بنا قوة ولا حول بل الكل بحول وقوة ذي الطول * فهو الممرض والشافي * والمبتلى والمعافى * ها نحن الآن في حيز الحيات والثبات * ولا ندري هل نعد

غدا فى زمرة الاموات * فهذا سر خفى لا نصل الى فهمه * كيف وقد استأثر الله به غامض علمه * فلا نثق بالمخايل الظاهرة * من الصحة الزاهية الزاهرة * فربما في أسرع من البرق اللامع * تعترينا الامراض وتلزمنا المضاجع * وقدرتنا على القبض على الاجل * وحفظ الصحة من الخلل كاقتدارنا على عروج السما * واتخاذ الافلاك ملزما * فعلينا بالاستعداد للمعاد * ولنكن كالمسافر المستحضر على الحمل والزاد * العازم على الرحيل الجازم من الاقامة بالقليل * قد كان بالامس نوبة الجار * وستأتي غدا نوبة صاحب الدار ولا خوف علينا ولا حزن * حيث كان خلاص ذمتنا حسن * هذه والحمد لله وحده وصلى الله وسلم على نبيه وآله وصحبه وسلم

الفصل العاشر فى فعل الخير بمدينة باريس

اعلم أن غالب الناس ببلاد الافرنج وسائر البلاد التي تكثر الصناعة والتجارة فيها يعيشون من كسب أيديهم فاذا حصل للانسان منهم مانع كمرض أو نحوه فقد معيشته واضطر الى أن يعيش من غير كسب يده كان يتكفف الناس أو نحو ذلك فشرعت المارستانات المعدة لفعل الخير حتى أن الانسان لا يسأل ما في أيدى الناس وكلما كثرت صنائع بلدة وكثر كسبها كثرت أهاليها فاحتاجت الي مارستانات اكثر من غيرها ومعلوم أن مدينة باريس من أعمر المدن وأكثرها صناعة وتجارة فلذلك كثرت مارستاناتها ومواضعها المصنوعة لفعل الخير فكانت مارستاناتها وجمعيات فعل الخير بها سادة لخلل شح افراد أهلها وبخلهم لما تقدم أنهم بمعزل عن الكرم من العرب فليس عندهم حاتم طى ولا ابنه عدى ولم يخرج من بلادهم معن ابن زايدة الشهير بالحلم والندى الذي قال فيه الشاعر

يقولون معن لا زكاة لماله * وكيف يزكى المال من هو باذله
اذا حال حول لم تجد في دياره * من المال الا ذكره وجمايله
تراه اذا ماجئته متهللا * كأنك تعطيه الذى أنت نائله
هو البحر من كل النواحي أتيته * ولجته المعروف والبر ساحله
اذا مر بالوادى فتبكي تلاله * عليه وبالنادي فتبكي أرامله
تعود بسط الكف حتي لو انه * أراد انقباضاً لم تطعه أنامله
ولو كان مافى كفه غير روحه * لجاد بها فليتق الله سائله

ولم يسمع في بلادهم عند ملوكهم ووزرائهم شيء ولو يسيراً مما يحكي عن بني العباس والبرامكة اصلا فالملك المنصور المشهور بالدوانقي اكرم الكرماء بالنسبة اليهم نعم ان البلاد المتحضرة يقل كرمها وأيضاً يرون أن إعطاء القادر على الشغل شيأ فيه اعانة له على عدم التكسب وفي مدينة باريس ديوان لتدبير المارستانات وأهله خمسة عشر نفساً للمشورة العامة وفي هذا الديوان خمسة نظارات النظاوة الاولى لمباشرة المارستان النظارة الثانيه لمباشرة مهمات المارستانات والخدمة للمرضي والعقاقير العامة النظارة الثالثة مباشرة الاوقاف النظارة الرابعة مباشرة الفقراء في بيوتهم واعانتهم النظارة الخامسة مباشرة مصاريف المارستان وتوابعها ولا يدخل الانسان المارستان الا اذا ثبت مرضه بقول الحكماء ومن قام من مرضه فى المارستان وأراد أن يخرج منه قبل أن يتم شفاؤه وترجع له قوته أخذ من الوقف بعض شيء يستعين به على قوته حتي يمكنه الرجوع الى أشغاله وأعظم مارستان باريس المارستان المسمي أوتيل ديو يقرب أن يكون معناه بيت الله وهو موقوف على المرضي والجرحي ولا يدخل فيه الاطفال ولا أرباب الداء العضال ولا المجانين ولا النفساء ولا أربابه

الامراض المزمنة ولا المبتلي بالافرنجي فان كل داء من هذه الاشياء له مارستان خاص ومن المارستانات الشهيرة في باريس مارستان يسمي سنلويز وهو معد لارباب الامراض المزمنة ولارباب الدمامل والقوبة والحكة والجرب ونحو ذلك وفي باريس مارستان للقطة يعني الاطفال الذين يلتقطونهم من الطرق فيدخل فيه الذين يهملهم اهلهم كاولاد الزنا ونحو ذلك وفي باريس مارستان ايضا للايتام وفيه يدخل الاولاد الفاقدون لاهاليهم وهو موقوف على نحو ثمانماية ذكر وانثي فالذكور فيه في شقة والاناث في اخري ويباشر هذا المارستان عدة راهبات تسمى عندهم اخوات الاحسان ويتعلم صغار هذا المارستان فيه القراءة والكتابة والحساب ولهذا المارستان ديوان يدبره فلا يوضع الصغير في هذا المارستان الا بامر هذا الديوان واذا بلغ الانسان احد عشر سنة في السن فانه يخرج باذن اهل ذلك الديوان من هذا المارستان ويسكن عند معلم صنعة ومصرفه يخرج من وقف المارستان ولمعلم الصنعة ان يتبني الصغير اي يأخذه وينزله منزلة ابنه ولكن بشرط ان يثبت لاهل ذلك الديوان يساره وفضله وحسن حاله ومن جملة مارستانات باريس مارستان موقوف لتلقيح الجدري بوضع البقري ومنها مارستانان يسميان مارستاني الشيخوخة والهرم فاحدهما للذكور والاخر للنساء ومنها مارستان لاصحاب الداء العضال موقوف على اربعماية وخمسين مريضا ذكرا وخمسماية وعشرين مريضة ومنها مارستان العميان من اهل باريس او غيرها من العمالات فلهم فيه الاكل والشرب وسائر مايحتاجون اليه في تعليمهم ونحو ذلك ومنها مارستان المجانين وفيه قشلة عظيمة تسمى مارستان السقط وفيه يوضع مجاريح الحروب ومقاطيع الايدي او الارجل او نحو ذلك وهو من انظف

واعظم المارستانات وفيه ستة عشر طبيبا وجرائحيا وستة عقاقيرية لصناعة الادوية ويوجد في باريس زيادة عن هذه المارستانات ديوان عام يسمي ديوان الاحسان والمقصود منه تكميل الخير الذي لايمكن في المارستانات كما اذا حرقت تجارة تاجر اوانكسر فانه يجبر من هذا الديوان بشروط معلومة وفى كل خط بباريس ديوان احسان والاحسان فيه قسمان احسان حالى واحسان حولى فالاول يعطي للفقير الذي وقف حاله أو حدث له مايعطله والثاني لمن به حالة دائمة تمنعه من الشغل ومن فعل الخير بمدينة باريس انه يوجد بشاطئ نهرها علب وحوائج بها روائح لتشميم الغريق والمغشي عليه والجريح ونحو ذلك ليفيق ويوجد أيضاً بهذه المواضع عدة رجال من أهل الخبرة لينهضوا لاسعاف من وقعت له حادثة عارضة ومن هذا كله يتبين أن فعل الخير بمدينة باريس أكثر منه في غيرها بالنسبة للجملة أو للمملكة لا الكل واحد على حدته فانه قد يشاهد فى طرقها أن بعض الناس الذين يذهبون الى المارستانات الموقوفة ونحوها يقع في وسط الطريق من الجوع وربما تراهم ينهرون السائل ويردونه خائباً زاعمين أنه لاينبغي السؤال أبداً لانه اذا كان السائل قادراً على الشغل فلا حاجة له الى السؤال وان كان عاجزا عنه فعليه بالمارستانات ونحوها ولان السائلين عندهم أصحاب حيل في تحصيل الاموال في غالب الاحوال حتي أنهم يتشكلون فى صورة المجاريح ونحوهم ليشفق الناس عليهم ويرقوا لحالهم ومن فعل الخير أنهم يجمعون عند الحاجة أشياء لمن نكبه الزمان حتي يصير بها غنياً فمن ذلك انهم جمعوا لاولاد الجنرال نحو مليونين من الفرنكات يعني ستة ملايين قروش

الفصل الحادي عشر في كسب مدينة باريس ومهارتها

اعلم أن من المركوز في أذهان هؤلاء الطوائف محبة المكسب والشغف به وصرف الهمة اليه بالكلية ومدح الهمة والحركة وذم الكسل والتواني حتى ان كلمة التوبيخ المستعملة عندهم على السنتهم في الذم هي لفظة الكسل والتنبلة وسواء في محبة الاشغال العظيم والحقير ولو حصل من ذلك مشقة أو مخاطرة بالنفس فكأنهم فهموا قول الشاعر

حب السلامة يثني عزم صاحبه * عن المعالي ويغري المرء بالكسل
فان جنحت اليه فاتخذ نفقا * فى الارض أو سلما في الجو واعتزل
ودع غماز العلي للمقدمين على * ركوبها واقتنع منهن بالامل

الى ان قال

فانما رجل الدنيا وواحدها * من لا يعول في الدنيا على رجل

ثم ان أعظم التجارات وأشهرها في باريس معاملات الصيارفة والصيارفة قسمان صيارفة المملكة أو الميري وصيارفة باريس ووظيفة صيارفة الدولة بالنسبة للتجارة ان تودع الناس مايريدون وضعه ويأخذون كل سنة ربحه المعين في قانونهم فلا يعد عندهم هذا الربح ربا الا اذا زاد عما في القانون وللانسان أن يأخذ ما أودعه من المعاملة عند صيارفة الدولة متى أراد ومثل ذلك صيارفة باريس فانهم يأخذون ويعطون الاموال بالمرابحة وهم يعطون الربح أزيد مما تعطيه صيارفة بيت المال الذين هم صيارفة المملكة ولكن المال المودع عند صيارفة المملكة أأمن من المودع عند صيارفة المدينة وذلك لان صيارفة المدينة قد يفلسون وأما صيارفة الدولة فان ما يأخذونه يكون دينا على الدولة والدولة دائمة

موجودة ومن امور المعاملات المهمة عند اهل باريس جمعية تسمي الشركا في الضمانة فانها تضمن لمن يدفع لها كل سنة قدرا هينا مخصوصا سائر ما يتلف في بيته بحادثة قهرية كما اذا انحرق بيته او حانوته او نحو ذلك فانها ترجمه له كما كان وتدفع له قيمته وفي مدينة باريس معامل سلطانية ومعامل غير سلطانية فمنها معامل المعادن كاشتغال الفضة والذهب واتخاذ الآنية منهما ومنها معامل الصيني والفرفورى ومعامل الشمع الاسكندرانى ومعامل الصابون والقطن والجلود المدبوغة وشغل السختيان ونحو ذلك وصناعتهم تعظم جودتها شيأ فشيأ حتي انهم كل نحو ثلاثة سنوات يعرضون اشغالهم على رؤس الاشهاد ويظهرون ما اخترعوه وما كملوه وفي باريس عدة خاناة عظمي توجد فيها سائر المبيعات ووكائل وحوانيت وبيوت للتجارة او الصناعة مكتوب على واجهتها اسم التاجر واسم تجارته وبعض الاحيان قد يكتب اسم المتجر ولا يمكن ان يشرع الانسان في التجارة الا اذا دفع لبيت المال شيأ ولو هينا فياخذ نشانا علامة على الاذن له في التجارة فيحتاج ان يكون معه النشان وعلى تجارته وللتجارة مكتب مخصوص يسمي مكتب التجارة يتعلم فيه التلامذة علم التجارة وعلم تمييز صفات انواع الاشياء المبيعة ومعرفة الاثمان والقيم وفي هذا المكتب خمسة عشرة مدرسة وفيه تلامذة من اقاليم عديدة وبمقتضي قانون ذلك المكتب انه يدفع القدر المعين يقبل من اراد الدخول للتعليم من سائر الامم ومن الامور التي تعين على التجارة والكسب تعمير طرق البر والبحر فمن ذلك صناعة الخلجان والقوارب التي تسير بالدخان ونصب القناطر ونصب دواوين تسفير العربيات الكبيرة والتيلغراف وهي الاشارة ونصب البريد بالساعي والبريد بالخيل وغير ذلك

فانظر الى مدينة باريس فان حوالها اربعة خلجان تأتى منها المتاجر وفي نهر السين تسير قوارب على صورة العربات وقوارب تمشي بالنار سريعة السير وبمدينة باريس جملة أنواع من العربات مختلفة الشكل والاسم والسير والاستعمال فمنها عربات معدة لوسق الامتعة من باريس الى البلاد البرانية وتسمى رولاحة ومنها جنس معد لوسقه بالناس ليسافر فيه الناس ويسمي الدلجنس ومنها عربات صغيرة للسفر الى المحال القريبة من باريس تسمى كوكو بضم الكافين ويدفع فيها على كل رأس قدرا معلوما كالسفر في السفن وفي باريس عربات تستأجر الى أجل معلوم كيوم أوشهر أوسنة والعربيات العادية فى باريس هى الفياكره وهي مافيها مقعد فيه سدلتان متقابلتان تسعان ستة انفس ولها حصانان يسحبانها والكبريوله وهي نصف الفياكره فلها سدلة واحدة وركوب الفياكره أوالكبريولة تكون أجرته بالساعة أو يستأجره من محل الى محل آخر وأجرة ذلك محدودة لا تزيد ولا تنقص ووجودها في سائر طرق باريس أكثر من وجود الحمير في طريق القاهرة وقد تجددت الآن عربيات كبيرة تسمي الامنيبوسه معناها لكل الخلق وهى عربات كبيرة تسع كثيراً من الخلق مكتوب على بابها أنها تمشي الي الحارة الفلانية فكل الناس الذاهبين الى حارة واحده يركبونها ويدفع كل منهم قدراً معيناً وهي موجودة فى أمهات خطوط باريس ومن العربيات جنس ينقل أمتعة البيوت ومنها عجلات البياعين ويوسقونها ويدورون بها فى الطرق ليبيعوها وهذه العجلات قد يسحبها حصان وقد يسحبها حمار وقد يسحبها شخص وحده أو مع كلبه وبها أجناس آخر من العجلات لحمل الحجارة والتراب وغيرذلك وأما البريد المسمي عند الفرنسيس البسطة فانه من أهم المصالح النافعة

في التجارات وغيرها يسهل فيه أخبار الغير بواسطة المكاتبات التي تذهب عاجلا ويأتي ردها في أسرع مايكون وتدبيرها بكيفيتها التي هي عليها من أعظم مايمكن فان المكاتيب التي تبعث في البلد أو العمالة تصل الى صاحبها من غير شك لان سائر نمرة البيوت مكتوب عليها بالرقم عددها المسمى النمرة فبها يمتاز البيت عما عداه والمكتوب الذي تبعثه لانسان تضعه في محل المكاتيب الموضوع في كل حارة فيأتي الساعي ويأخذه فيصل المكتوب الى الحارة الاخري ويأتي رده في يومه ثم أن الفرنساوية يحترمون أمور المراسلات غاية الامكان فلا يمكن لانسان أن يفتح مكتوباً معنوناً باسم آخر ولو كان متهما بشيء ولما كان احترام المراسلات بباريس على هذه الحالة كثرت الرسائل بين الاحباب والاصحاب خصوصاً بين العشاق لأمن الانسان على مكتوبه من أن يفتحه غير المرسل اليه المعنون باسمه واعلام العشق بين العاشق ومعشوقته يكون بالمراسلة وبها أيضاً يحصل الوعد بالمواصلة وفي باريس محل لارسال المعاملات والحوائج مع الساعي أيضاً من غير خوف أبداً ومن الامور النافعة في التجارات الجرنالات فيكتبون فيها كثيراً من البضاعة النافعة أو الجيدة الصنعة ويمدحونها ليروجوا السلع وليعلموا الناس بها وصاحب البضاعة يدفع لهم شيأ في نظير ذلك وسيأتي الكلام عليها ان شاء الله تعالى وقد يطبع التاجر الذي يريد ترويج سلعته عدة أوراق صغيرة ويرسلها مع خدم في سائر البيوت ولسائر المارين بالطرق ويفرقها عليهم مجانا ففي هذه الاوراق يذكر اسمه واسم دكانه وما عنده من المبيع ويعين القيمة لسلعته وبالجملة ففي مدينة باريس يباع سائر مايوجد في الدنيا سواء كان خطيرا أو حقيرا ومن أعظم الاشياء دكاكين العقاقير

فيها توجد سائر الادوية مجهزة وسائر العقاقير التي على وجه الارض المعروفة الاسم والخاصية وسائر الخلق بباريس يحبون الكسب والتجارة سواء الغني والفقير حتى أن الصغير الذي لايمكنه التكلم الا بالاشياء الصغيرة اذا أعطيته فلساً يفرح به ويصفق بيده قائلا مامعناه بالعربية كسبت وقنيت ولولا أن كسبهم مشوب في الغالب بالربا لكانوا أطيب الامم كسباً واذا كسدت تجارة أحدهم كما هو غالب في تلك البلاد فسد حاله وآل أمره الى تطلب مافي أيدي الناس وربما أخذ معه مكتوبا من أحد الكبار يدل على كساد حاله وانه يستحق الاعانة ويكثر وقوع مثل هذا الامر في هذه المدينة وان كثر اخذها وعطاؤها وتداول الامطار والرياح لايمنع الانسان منهم الخروج الي شغله يقولون بلسان حالهم اليد الفارغة تسارع الي الشر والقلب الفارغ يسارع الي الاثم واهل باريس اغنياء جدا حتي ان المتوسط منهم اغني من تاجر عظيم من تجار القاهرة فلا يرضون قول الشاعر

ولا فخر الا بالنوال وبالعطا * وليس بجمع المال عز ولا فخر

بل يحرصون على الاموال ويسلكون سبيل الحرص زاعمين أنه يزيد في الارزاق ولا يقتدون بقول الشاعر

وليس يزاد في رزق حريص * ولو ركب العواصف كي يزادا

وقد يوجد بها من أهالي الحرف الدنيئة من ايراده كل سنة أبلغ من مائة الف فرنك وذلك من كون العدل عندهم فهو المعول عليه في أصول سياساتهم فلا تطول عندهم ولاية ملك جبار أو وزير اشتهر بينهم أنه تعدي مرة وجار ولا شك أنهم يأسس في قلوبهم قول الشاعر

والملك الجبار والمنيع * ماعنده هاد ولا شفيع

رعية الجبار مرعي الحرب * والملك العادل نصف الخصب

وهذا لايمنع من انهم يدفعون الميري عن طيب خاطر لما انهم يرون ان الخراج عمود الملك اذا دفع كل انسان منهم ماهو عليه قادر فمال الميري هو قوام صورة الممالك واحسان صرفه في استحقاقه خير مما هنالك قال الشاعر

والمال أس لقيام الصورة * وخير منه صالح المشورة

ولما كانت رعيتهم رايمة كانت الدولة عندهم لها ايراد سنوي عظيم فان ايراد الدولة الفرنساوية كل سنة نحو تسعماية وتسعة وثمانين مليون فرنك ومن جملة أسباب غناء الفرنساوية أنهم يعرفون التوفير وتدبير المصاريف حتى انهم دونوه وجعلوه علما متفرعا من تدبير الامور الملكية ولهم فيه حيل عظيمة على تحصيل الغنا فمن ذلك عدم تعلقهم بالاشياء المقتضية للمصاريف فان الوزير مثلا ليس له أزيد من نحو خمسة عشر خادما واذا مشى في الطريق لاتعرفه من غيره فانه يقلل أتباعه ما أمكنه داخل داره وخارجه وقد سمعت ان قريب ملك الفرنسيس المسمى الدوك درليان وهو الآن السلطان الذي هو من أعظم الفرنسيس مقاما وأكثرهم غناء له من الاتباع وسائر من في طرفه من العساكر ونحوها كالبستانجية والخدم وغير ذلك نحو أربعماية نفس لاغير والفرنساوية يستكثرون ذلك عليه فانظر الفرق بين باريس ومصر حيث أن العسكري بمصر له عدة خدم

الفصل الثاني عشر في دين اهل باريس

قد تقدم لنا في الشرطة ان دين الدولة هو دين النصارى القاثوليقية وقد بطل هذا الشرط بعد الفتنة الاخيرة وهم يعترفون للبابة الذي ملك رومة بانه عظيم النصارى وكبير ملتهم وكما ان الدين القاثوليقي

دين الدولة الفرنساوية كذلك دين غالب الناس عندهم وقد يوجد بباريس الملة النصرانيــة المسماة البروتستانية وغيرها ويوجد بها كثير من اليهود المستوطنين ولا وجود لمسلم مستوطن بها وقد أسلفنا أن الفرنساوية على الاطلاق ليس لهم من دين النصرانيه غير الاسم فهم داخلون في إسم الكتابيين فلا يعتنون بما حرمه دينهــم أو أوجبه أو نحو ذلك ففي أيام الصيام في باريس لاينقطع أكل اللحم في سائر البيوت الا مانذر كبعض القسس وبيت ملك الفرنسيس القديم وأما بقي أهل المدينة فانهــم يستهزؤن بذلك ولا يفعلونه أبداً ويقولون أن سائر تعبدات الاديان التي لا نعرف حكمتها من البدع والاوهام ولا تعظم القسس في هــذه البلاد الا في الكنائس عند من يذهب اليهم ولا يسأل عنهم أبداً فكأنهم ليسوا الا أعدا للانوار والمعارف ويقــال ان غالب ممالك الافرنج مثل باريس في مادة الاديان ثم أن مسيو دساسي لما أطلع على ذلك كتب عليه مانصه قولك أن الفرنساوية ليس لهم دين البتة وأنهم ليسوا نصارى الا بالاسم فيه نظر نعم ان كثيراً من الفرنساوية خصوصاً من سكان باريس ليسوا نصارى الا بالاسم فقط لايعتقدون اعتقادات دينهم ولايتعبدون بعبادات النصرانيه بل هم في أعمالهم لايتبعون الا أهواءهم تشغلهم أمور الدنيا عن ذكر الاخرة تراهم مادامت حياتهم لايهتمون الا باكتساب الاموال باي وجه كان واذ أحضرهم الموت ماتوا كالبهائم ولكن فيهم أيضاً من يقيم على دين أبائه يؤمن بالله واليوم الآخر ويعمل الصالحات وهم طائفة لاتحصى من الرجال والنساء ومن العوام والخواص بل ومن المشهورين بفضل العلم والأدب غير أنهم في ورعهم وتقاهم على مراتب شتى منهم من يشارك عامة الناس في تصرفاتهم ويحضر معهم في محافل اللذات أعني

السبكتا كل والبال ومجامع الاغاني ومنهم المتقشفون المرضون عن كل
ماتشتهيه الانفس وهؤلاء أقل عددا وان دخلت كنايسنا أيام الاعياد
المعظمة ظهر لك صحة قولي هذا انتهت عبارته والحامل له على ذلك كونه
من أرباب الديانه وعددهم نادر لاحكم له ومن الخصال العادية المهولة
ببلاد الفرنسيس أو ببلاد النصارى القاثوليقية عدم الاذن بزواج القسيسين
على اختلاف مراتبهم ودرجاتهم فان عدم زواجهم يزيدهم فسقا على
فسقهم ومن الخصال الذميمة أن القسيسين يعتقدون أنه يجب على العامة
أن يعترفوا لهم بسائر ذنوبهم ليغفروها لهم فيمكث القسيس في الكنيسة
على كرسي يسمى كرسي الاعتراف فسائر من أراد أن تغفر ذنوبه ذهب
الى كرسي الاعتراف داخل باب بينه وبين القسيس حايل كالشبكة
فيجلس ثم يعترف قدامه بذنوبه ويستغفره فيغفر له وقد عرف عندهم
ان اكثر من يدخل الكنيسة او يذهب الي الاعتراف يكون من النساء
والصغار وهذا موافق لقول بعض شعراء العرب
ايدن من خل الكنيسة * يوما يلق فيها جآذرا وظباء
ودرجة القسيسية عندهم مختلفة فاولهم الكردينال وهو بعد البابة في الرتبة
وذلك ان البابة قبل توليته يشترط ان يكون كردينالا ثم بعده المطران ثم
بعده الاسقف ثم الخورى ثم نايب الخورى ثم الشماس وعند الفرنساوية
اعياد دينية منتقلة يعني لا تقع في يوم معين كل سنة بل هي دورية ومرتبة
في الغالب على وقوع عيد الفصح فمن اعيادهم الغريبة عيد الرفاع وقد تقدم
ومنها عيد ظهور السيد المسيح ويسمي عند الفرنسيس عيد الملوك وذلك
ان كل عائلة تصنع فطيرة عظيمة وتضع فيها حبة فول في عجينها
ويقسمون الفطيرة على الندامي فكل من جاءت حبة الفول في نصيبه فهو الملك

فان جاءت في نصيب رجل فانه يسمي باسم الملك ويخاطب فوق المائدة
وتمام الليلة بخطاب الملوك ثم يختار من النساء امرأة يجعلها الملكة فتخاطب
ايضا بذلك الخطاب وان جاءت الفولة في نصيب امرأة فانها ايضا تختار
من الحاضرين شخصا كالزوج لها وتطلق عليه اسم الملك فيكون سائر
اكرام الليلة للملك والملكة برسوم خاصة وقوانين مألوفة وهذه الكيفية
تصنع في سائر البيوت في مدينة باريس حتي بيت ملك الفرنسيس ومن
جملة بدع القسيسين انهم يصنعون في عيد القربان موكبا ويلبسون فيه
حللا مطرزة ويدورون المدينة بشيء يسمونه البونديو وكلمة البونديو
مركبة من كلمتين الاولى بون ومعناها طيب او عظيم والثانية ديو ومعناها
الآله فكانهم يقولون ان الآله حاضر في الجحفة التي بين ايدى
القسوس والمراد عندهم بالبونديو عيسى عليه السلام والفرنساوية
يعرفون أن هذه الامور من باب الهوس الذي يدنس بلادهم ويذري
بعقول اهلها غاية الامر ان العيلة السلطانية كانت تعين القسيسين على هذه
الامور فتمتثل الرعية لذلك مع غاية الخط والتشنيع وللقسيسين بدع
لا تحصى واهل باريس يعرفون بطلانها ويهزؤن بها ولهم اعياد اخر لا
يسعها هذا الكتاب ثم ان لكل انسان من الفرنساوية عيد وهو يوم
مولد القديس الموافق له في اسمه فاذا كان انسان اسمه بولص مثلا فان
عيده يكون عيد ماري بولص فترى كل انسان اسمه بولص يصنع وليمة
ويشهر عيده وفي عيد الانسان يهادونه بانواع الازهار

﴿ الفصل الثالث عشر في ذكر تقدم اهل باريس في العلوم ﴾
﴿ والفنون والصنائع وذكر ترتيبهم وايضاح مايتعلق بذلك ﴾

الذي يظهر لمن تأمل في احوال العلوم والفنون الادبية والصناعة في هذا العصر بمدينة باريس ان المعارف البشرية قد انتشرت وبلغت اوجها بهذه المدينة وانه لايوجد من حكماء الافرنج من يضاهي حكماء باريس بل ولا في الحكماء المتقدمين كما هو الظاهر ايضا غير ان صاحب النقد السديد قد يقول ان سائر الفنون العلمية التي يظهر اثرها بالتجاريب معرفة هؤلاء الحكماء بها ثابتة واتقانها عندهم لانزاع فيه كما يشهد لذلك قول بعض اجلة الحكماء الامور بتمامها والاعمال بخواتيمها والصنائع باستدامتها واما اغلب العلوم والفنون النظرية فانها معروفة لهم غاية المعروفة ولكن لهم بعض اعتقادات فلسفية خارجة عن قانون العقل بالنسبة لغيرهم من الامم غير انهم يموهونها ويقوونها حتى يظهر للانسان صدقها وصحتها كما في علم الهيئة مثلا فانهم محققون فيه واعلم ممن عداهم بسبب معرفتهم باسرار الآلات المعروفة من قديم الزمان والمخترعة له ومن المعلوم ان المعرفة باسرار الآلات اقوى معين على الصناعات غير ان لهم في العلوم الحكمية حشوات ضلالية مخالفة لسائر الكتب السماوية ويقيمون على ذلك ادلة يعسر على الانسان ردها وسيأتي لنا كثير من بدعهم وننبه عليها في محالها ان شاء الله تعالى ولنقل هنا ان كتب الفلسفة باسرها محشوة بكثير من هذه البدع فسائر كتب الفلسفة يجري فيها الحكم الثالث من الخلاف الذي ذكره صاحب متن السلم في الاشتغال بعلم المنطق فحينئذ يجب على من أراد الخوض في لغة الفرنساوية المشتملة على شيء من الفلسفة ان يتمكن

من الكتاب والسنة حتى لايغتر بذلك ولا يفتر عن اعتقاده والا ضاع يقينه وقد قلت جامعاً بين مدح هذه المدينة وذمها

أيوجد مثل باريس ديار * شموس العلم فيها لا تغيب
وليل الكفر ليس له صباح * أما هذا وحقكم عجيب

ومن جملة مايعين الفرنساوية على التقدم في العلوم والفنون سهولة لغتهم وسائر مايكملها فان لغتهم لا تحتاج الى معالجة كثيرة في تعلمها فأي انسان له قابلية وملكة صحيحة يمكنه بعد تعلمها ان يطالع أي كتاب كان حيث انه لا التباس فيها أصلا فهي غير متشابهة واذا أراد المعلم ان يدرس كتاباً لايجب عليه ان يحل الفاظه أبدا فان الالفاظ مبينة بنفسها وبالجملة فلا يحتاج قارئ كتاب ان يطبق ألفاظه على قواعد أخرى برانية من علم آخر بخلاف اللغة العربية مثلا فان الانسان الذي يطالع كتاباً من كتبها في علم من العلوم يحتاج ان يطبقه على سائر الات اللغة ويدقق الالفاظ ما أمكن ويحمل العبارة معاني بعيدة عن ظاهرها وأما كتب الفرنسيس فلا شيء من ذلك فيها فليس لكتبها شراح ولا حواشي الا نادرا وانما قد يذكرون بعض تعليقات خفيفة تكميلا للعبارة تقييداً ونحوه فالمتون وحدها من أول وهلة كافية في افهام مدلولها فاذا شرع الانسان في مطالعة كتاب في أي علم كان تفرغ لفهم مسائل ذلك العلم وقواعده من غير محاكة الالفاظ فيصرف سائر همته في البحث عن موضوع العلم وعن مجرد المنطوق والمفهوم وعن سائر مايمكن انتاجه منها وأما غير ذلك فهو ضياع مثلا اذا أراد انسان ان يطالع علم الحساب فانه يفهم منه ما يخص الاعداد من غير ان ينظر الى اعراب العبارات واجراء ما اشتملت عليه من الاستعارات والاعتراض بان العبارة كانت قابلة التجنيس وقد خلت

عنه وان المصنف قدم كذا ولو أخره كان أولى وانه عبر بالفاء في محل الواو والعكس أحسن ونحو ذلك ثم ان الفرنسيس يميلون بالطبيعة الى تحصيل المعارف ويتشوقون الى معرفة سائر الاشياء فلذلك ترى ان سائرهم له معرفة مستوعبة اجمالا لسائر الاشياء فليس غريباً عنها حتى انك اذا خاطبته تكلم معك بكلام العلماء ولو لم يكن منهم فلذلك ترى عامة الفرنساوية يبحثون ويتنازعون في بعض مسائل علمية غويصة وكذلك أطفالهم فانهم بارعون الغاية من صغرهم فالواحد منهم كما قال الشاعر

عشق المعاني الغر وهو مراهق * وافتض أبكار الفنون وليدا .

فانك قد تخاطب الصغير الذي خرج من سن الطفولية عن رأيه في كذا وكذا فيجيبك بدلا عن قوله لا أعرف أصل هذا الشيء ما معناه الحكم على الشيء فرع عن تصوره ونحو ذلك فاولادهم دائماً متأهلون للتعلم والتحصيل ولهم تربية عظيمة وهذا في الفرنسيس على الاطلاق والعادة انهم لا يزوجون أولادهم قبل تمام تعلمهم وهذا يكون غالباً في عشرين الى خمس وعشرين سنة فقل منهم من كان في سن العشرين ولم يبلغ درجة التدريس او تعلم صنعته التي يريد تعليمها غير انه قد يمكث مدة طويلة ليتمكن من العلوم والفنون غاية التمكن وهذا السن في الغالب يظهر به براعة الانسان وحسن طالعته كما قال الشاعر

اذا ما أول الخطي أخطا * فما يرجي لآخره انتصار

اذا حاز الفتى عشرين عاما * وما بلغ المراد فذاك عار

فكان هذا السن عند سائر الامم سن انتهاء الناجب فانظر الى الاخضري فانه في سن احدى وعشرين سنة قد نظم رسالة السلم وشرحها وكذلك العلامة الامير فانه في دون العشرين بيسير صنف مجموعه فتورك على قول الاخضري

ولبني احدي وعشرين سنه * معذرة مقبولة مستحسنه

فانه وهو في دون ذلك السن الف في أصعب من ذلك المقام وما قلناه بالنسبة لارباب المعارف من الافرنج وأما علماؤهم فانهم منزع آخر لتعلمهم تعلماً تاما عدة أمور واعتنائهم زيادة على ذلك بفرع مخصوص وكشفهم كثيراً من الاشياء وتجديدهم فوائد غير مسبوقين بها فان هذه عندهم هي اوصاف العالم وليس عندهم كل مدرس عالما ولا كل مؤلف علامة بل لابد من كونه بتلك الاوصاف ولا بد له من درجات معلومة فلا يطلق عليه ذلك الاسم الا بعد استيفائها والارتقا ولا تتوهم ان علماء الفرنسيس هم القسوس لان القسوس انما هم علماء في الدين فقط وقد يوجد من القسوس من هو عالم أيضا وأما مايطلق عليه اسم العلماء فهو من له معرفة في العلوم العقلية ومعرفة العلماء فى فروع الشريعة النصرانية هينة جداً فاذا قيل فى فرانسا هذا الانسان عالم لايفهم منه انه يعرف فى دينه بل انه يعرف علماً من العلوم الاخر وسيظهر لك فضل هؤلاء النصارى في العلوم عمن عداهم وبذلك تعرف خلو بلادنا عن كثير منها وان الجامع الازهر المعمور بمصر القاهرة وجامع بني أمية بالشام وجامع الزيتونة بتونس وجامع القرويين بفاس ومدارس بخارى ونحو ذلك كلها زاهرة بالعلوم النقلية وبعض العقلية كعلوم العربية والمنطق ونحوه من العلوم الالية والعلوم فى مدينة باريس تتقدم كل يوم فهى دائما في الزيادة فانها لا تمضي سنة الا ويكشفون شياً جديدا فانهم قد يكشفون في السنة عدة فنون جديدة أو صناعات جديدة او وسائط أو تكميلات وستعرف بعض هذا انشاءالله تعالى ومما يستغرب ان في رجال العسكرية منهم من طباعه توافق طباع العرب العربا في شدة الشجاعة الدالة على

قوة الطبيعة وشدة العشق الدالة ظاهراً على ضعف العقل ومزاجهم كالعرب في الاشعار الحربية بالغزل فقد رأيت لهم كلاما كثيراً يقربه من كلام بعض شعراء العرب مخاطباً لمحبوبته

ولقد ذكرتك والوغى بحرطني * والنقع ليل والاسنة أنجم
فحسبته عرسا ونحن بروضه * وأنا وأنت بظله نتنعم

وقول الآخر

ولقد ذكرتك والرماح نواهل * مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لانها * برقت كبارق ثغرك المتبسم

وقول صاحب لامية العجم

لا اكره الطعنة النجلاء قدشفعت * برشقة من نبال الاعين النجل
ولا أهاب صفاح البيض تسعدني * باللمح من خلل الاستار في الكلل
ولا أخل بغزلان تغازلني * ولو دهتني أسود الغيل في الغيل

ولنذكر لك مجامع العلماء والمدارس المشهورة وخزائن الكتب ونحو ذلك لتعرف به مزية الافرنج على غيرهم فمن خزائن الكتب الخزانة السلطانيه وفيها سائر ما أمكن الفرنساوية تحصيله من الكتب في أي علم كان باي لغة كانت مطبوعة أو منسوخة وعدة مافيهامن الكتب المطبوعة أربعماية الف مجلد وفيها مبلغ عظيم من الكتب العربية الخزائنية التي يندر وجودها بمصر أو بغيرها وفيها عدة مصاحف لانظير لها أبداً ثم أن المصاحف التي عند الفرنساوية في خزائنهم غير مهانة بل هي مصونة غاية الصون وان كان عدم أهانتها حاصلا غير مقصود غير ان الضرر في كونهم يسلمونها لمن يريد أن يقرأ القرآن منهم أو يترجمه أو نحو ذلك وتوجد المصاحف للبيع في مدينة باريس وبعضهم لخص من القرآن العظيم سائر الايات

التي اختارها اللترجمة ثم ترجمها وضم اليها قواعد الاسلام وبعض شعبه وقال في كتابه انه يظهر له ان دين الاسلام هو أصفى الاديان وأنه مشتمل على ما لا يوجد في غيره من الاديان ومن خزائن الكتب الخزانة المسماة خزانة مسيو وتسمي خزانة الارسنال والارسنال هي الترسخانة وهي أعظم الخزائن بعد الخزانة السلطانيه وبها نحو ما يتي الف مجلد مطبوعة وعشرة آلاف منسوخة وأغلب هذه الكتب كتب تاريخ وأشعار خصوصاً الاشعار الايطاليانية ومنها خزانة مزارينه وفيها خمسة وتسعون الف مجلد مطبوعة واربعة آلاف منسوخه ومنها خزانة الانسطيطوت وفيها خمسون الف مجلد ومنها خزانة المدينة وهي نحو ستة عشر الف مجلد وهي دائماً في الزيادة وكتبها آداب ومنها خزانة بستان النباتات وفيها عشرة آلاف مجلد في العلوم الطبيعيات وفيها خزانة الرصد السلطاني وفيها كتب علم الهيئة ومنها خزانة مكتب الحكمة ومنها خزانة أكدمة الفرنسيس وهي خمسة وثلاثون الف مجلد وكل هذه خزائن موقوفة وهناك خزائن مملوكة وهي كثيرة جداً فمنها ما يشتمل على خمسين الف مجلد ومنها اللدولة نحو أربعين خزانة فاقل ما يوجد في كل خزانة منها ثلاثة آلاف مجلد وأكثرها في الغالب خمسون الف مجلد وقد تنوف عن ذلك ولا حاجه لتسميتها هنا ولكل انسان من العلماء اوالطلبة أو الاغنيا خزانة كتب على قدر حاله ويندر وجود انسان بباريس من غير ان يكونَ تحت ملكه شيءٌ من الكتب لما أن سائر الناس تعرف القراءة والكتابة وسائر بيوت الاعيان فيها خلوة مشتملة على خزانة الكتب وعلى آلات العلوم وأدواتها وعلى التحف الغريبة التي تتعلق بالفنون كالاحجار التي يبحث عنها علم المعادن ونحو ذلك ففي باريس كثير من الخزائن التي يقال لها خزائن المستغربات فيوجد بها ما تتشوق اليه نفوس الفضلا ليستعينوا به على الغوص في الطبيعيات كالمعادن

والاحجار والحيوانات البرية والبحرية المحفوظة الجثةوسائر المواليدمن الاحجار والنباتات وسائر الاشياء التي فيها آثارالقدماوتعلق هذه الاشياء بالعلوم ان الانسان يدرس مايراه في الكتب ويقابله فان رأى في كتاب تعريف حجر كذاوحيوان كذاوكان الحجر أو الحيوان نصب عينه قابله مع الاوصاف المذكورة في الكتب وانفع الاشياء بالنسبة للطبيعيات بمدينة باريس البستان السلطاني المسمى بستان النباتات وفيه سائر ماتعرفه البشر من الأمور الخارجة من الارض الغريبة يزرع بارضه سائر النباتات الاهلية التي يعالجون تطبيعها عندهم بقوة الصناعة والحكمة فيطالع طلبة علم العقاقير والحشايش دروسهم ويقابلون ما في الكتاب على ما يرونه ويأخذون فرعا من كل صنف من الحشايش يضمونه في نحو ورقة ويكتبون اسمه وخاصيته وفيه ايضاً سائر مراتب الحيوانات الحية غريبة اواهلية برية أووحشية فيوجد بها نحو الدب الابيض والاسود والسبع والضبع والنمورة والسنانير الغريبة والابل والجواميس وغنم بلاد التبت وزرافة سنار وفيلة الهند وغزلان البربر والايل وبقر الوحش وانواع القردة والثعالب وسائر انواع الطيور المعروفة لهم وسائر هذه الحيوانات التي تراها حية بهذا البستان تراها ميتة ايضا محشوة بالتبن يراها الانسان على صورة الحية كالبو البقر الذي يصنعه الفلاحون بوادي مصر ويوجد في هذا البستان اروقة مملوءة بالمعادن النفيسة وسائر الاحجار سواء كانت غشيمة او طبيعية فترا فيها مراتب الطبيعيات الثلاثة بسائر اجناسها وانواعها واصنافها ففيها كثير من الاشياء التي لايمكن ان نجد لها اسماء عربية كحيوانات بلاد امريكة او نباتها واحجارها وكل هذه الاشياء موضوعة بهذا البستان كالعينة او الانموذج من كل شيء ومكتوب على كل شيء اسمه باللغة

الفرنساوية او اللاطينية مثلا فى القاعة التي فيها سبع مكتوب عليها اسم السبع باللغة الفرنساوية وهو ليون وهكذا ومما وقع فى هذا البستان مااشتهر ان بعض السباع قد مرض فدخل حارسه ومعه كلب فقرب الكلب من الاسد ولحس جرحه فبرىء الجرح فحصلت الالفة بين الاسد والكلب ودخلت محبة الكلب في قلب الاسد فصار الكلب يتردد دائما على الاسد ويتملق اليه ويراه كانه من اصحابه فلما مات الكلب مرض الاسد لفرقته فوضعوا معه كلبا آخر امتحانا لطبعه فتسلى به عن الميت ولا زال معه وفي بستان النبات رواق يسمي رواق التشريح وفيه جميع الموامي اى الجثث المحنطة المصبرة ونحوها من الجثث ويوجد بهذا الرواق بعض شيء من جثة المرحوم الشيخ سليمان الحلبي الذي استشهد بقتله للجنرال الفرنساوى كليبر وقتل الفرنساوية له في ايام تغلبهم على مصر ولاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ومن محال العلوم الفلكية الرصد السلطاني بمدينة باريس وهو من اغرب المراصد الموجودة على ظهر الدنيا وذلك انه مبنى من مجرد الحجارة بغير دخول الحديد او الخشب في مادته وهو على شكل مسدس الاسطحة المتوازية القائمة الزوايا موجه الضلوع الاربعة الي الاربع جهات الشرق والغرب والشمال والجنوب وفي طرف الجهة الجنوبية صومعتان مثمنتي الزوايا وفى طرف الجهة الشمالية صومعة ثالثة مربعة وهي باب الرصد وفيه رسم الفرنسيس في رواق في الدور الاول خط نصف نهارهم فخرج ذلك الخط يقسم الرواق قسمين متساويين فمن هذا الخط يحسب الفرنساوية درجة الطول فينسبون اليه غيره من الاماكن المغايرة له في السمت وقد اسلفنا ذلك موضحا في الفصل الاول من المقالة الثانية وارتفاعه وسطحه ثلاثة وثمانون قدما فوق الارض

وهو منقسم الى عدة اروقة مناسبة لحاجة اشغال المالك فمن هذه الاروقة ستة لها مارق مفتوحة قطر كل مارق ثلاثة اقدام وهو موضوع على كيفية يمكن معها رؤية السما ويعين فيها على مايحتاج الى رصده فترى منها النجوم وانت في المخادع التي تحت الارض وفي هذه الاروقة امتحنوا ثقل الاجسام الطبيعية وميزان الهواء وفي هذا الرصد رواق كبير فيه آلات وعلى قبته آلة تدل على الرياح المسماة الانيمومتر بها تقاس قوة الرياح وفيها طشت يسمى دن المياه يدل به ماء المطر الذي ينزل كل سنة ومخادع هذا الرصد هي داخلة في الارض التي عمقها يساوي سمك حيطان الرصد والى هذه المخادع ينزل بدرج على الدوران والانعطاف كدرج المنارة وعدة درجها ثمانية وستون ووظيفة هذه المخادع انها قد تفيد الطبايعية والكيماوية ان يصنعوا بها تجاريبهم بان يجمدوا فيها المايعات ويبردوا بها الاجسام ليعرفوا مزاج الاهوية وفيها رواق يسمى رواق المناجاة او رواق الاسرار وذلك ان فيه امرا عجيبا من قرع الصوت للاذن اي وصوله بالهواء اليها وذلك ان بالرواق عمودا يقابله عمود آخر فاذا وضع الانسان فمه على العمود واسر بكلام فانه يسمعه الانسان الذي بالعمود الآخر ولا يسمعه من يقرب منه وهذه الامور يفهمها من له المام بخاصية الصوت ومن المحال العلمية بمدينة باريس موضع يقال له الكنسرو توار بضم الكاف وسكون النون وكسر السين وسكون الراء وفتح الواو وسكون التاء كلمة فرنساوية معناها المخزن أو المحفظا ونحو ذلك وفي هذا المحل جميع الآلات سواء العظيمة وغيرها خصوصاً الآلات الهندسية كآلات الحيل وتحريك الاثقال ويزعم الفرنساوية أنه ليس في الدنيا نظير هذا المخزن وفي هذا المحل يرد الصدا صوت الشخص برد عجيب

ثم أنه يكثر بباريس مدارس سائر العلوم والفنون والصنايع وقد سلف الكلام على اعتناء الفرنساوية بالحكمة يعني علم الطب ولهم فيها مدارس كثيرة ولنذكر هنا محال العلماء ومراتبهم فنقول أن العلماء في مدينة باريس لهم مجامع عظيمة تسمى باسماء مختلفة فمنها مايسمى اكدمة ومنها مايسمى مجمعا أو مجلساً والانسطيطوت عندهم اسم عام يشتمل على جميع اجتماع الاكدمات أي المجالس الخمس وهي اكدمية اللغة الفرنساوية واكدمية العلوم الادبية ومعرفة الاخبار والآثار واكدمية العلوم الطبيعية والهندسية واكدمية الصنائع الظريفة واكدمية الفلسفة وقولنا اكدمية او اكدمة أو أقدمة هو لفظ مأخوذ من اسم مكان في مدينة أثينا كان أفلاطون الحكيم يعلم فيه تلاميذه ومنه قيل لطائفة من الفلاسفة القدما الاكدميون وكان يقال لهذا المكان اكدمية لان صاحبه كان شخصاً يونانيا اسمه اكدمس وقد جعل هذا المكان وقفا لاهل مدينة أثينا وصيروه بستانا يتماشون فيه ويتفرجون فيه فكان يدرس فيه أفلاطون ومنه قيل لجماعة افلاطون اكدميون ويقال لهم أفلاطيون وهم مشهورون أيضاً في كتب العربية بالاشراقيين بالقاف والفاء ويقال لهم أيضاً الاهيون ويطلق اكدميون الآن عند الفرنساوية فيفهم منه بمجرد الطلاق أهل اكدمة الفرنسيس وهم كبار علماء الفرنساوية فاذا قيد فالمعنى ظاهر كما اذا قيل اكدمة مصر فالمراد بها الجامع الازهر لان المراد به ديوان أكابر علماء مصر فاول علماء باريس بل وعلماء فرانسا ديوان العلوم المسمى اكدمة الفرنسيس وأهلها أربعون عالما كل واحد من الاربعين يسمي عضوا يعني أن هذا الديوان بأربابه كالبدن وكل واحد كالعضو منه وفي الغالب أن أرباب هذا الديوان لهم

فضل عظيم على من عداهم من الفرنساويه ووظيفتهم تأليف القواميس
الفرنساوية وانهم يمتحنون مؤلفات العلوم الادبيه وكتب التاريخ وقد
اتفق أن بعض علماء الفرنسيس قد بلغ درجة عالية في العلوم وصلح
لان يكون من أرباب هذه الاكدمة بدل واحد من أربابها مات وكان
هذا العالم كثير المجون فتوقفوا في قبوله في هذا الديوان فما كانت حيلته
الا أنه كان دائما يعرض بهجو أهلها فمن نوادر وقائعه انه مر ذات يوم
ومعه بعض أصحابه فتذاكروا في فضل علماء اكدمة فقال لاشك أن
عقول أرباب هذا الديوان كعقل أربعة يشير بذلك الى بعض الامثلة
الفرنساوية من قولهم في مدح الانسان ان له عقلا كعقل أربعة ومشيرا
الى أن عقل كل عشرة منهم كعقل واحد فظاهر عبارته من باب المدح وباطنها
غير ذلك ومن نوادره أنه كتب قبل موته كعادة الفرنساوية على رخامة
قبره المهيء له بيت شعر باللسان الفرنساوي يقول فيه ما معناه بالعربية

هاقبر من لم يك شيئا أيمه * كلا ولا من علما اكدمه

ومعناه هذا قبر من لم يصل الى درجة أياما كانت حتي لو بلغت
هذه الدرجة في الحقارة درجة هؤلاء العلماء وهناك اكدمة تسمي
اكدمة تقييد الفنون الادبية وأهل ديوان هذه الجمعية ثلاثون نفسا
ووظيفتها الاشتغال بالالسن النافعة وبآثار القدماء خصوصا بالمباني الغريبة
وبالعلوم الادبية وبعوائد الامم وأخلاقها وغالب شغلها تكميل آداب
العلوم الفرنساوية بما خلت عنه مما هو في كتب علوم اللغات الغريبة
كاللاطينية والعربية والفارسيه والهندية والصينية واليونانية والعبرانية
والقبطية وغيرها ومن الاكدمات الاكدمة المسماة اكدمة العلوم
السلطانية وأهلها منقسمون احد عشر قسما لكل قسم منهم فرع مخصوص

فتكون فروعهم اثني عشر فرعا فاهل القسم الاول يشتغلون بالرياضيات
كالهندسة والحساب وأهل القسم الثاني بعلوم الحيل كعلم جر الاثقال ونحوه
والثالث بالعلوم الفلكية والرابع بالعلوم الجغرافية والعلوم التجريبيه والخامس
بعلم الطبيعه العامة والسادس بالطبيعة والسابع بعلم المعادن والاحجار
والثامن بعلم الحشايش والتاسع بتدبير مصاريف الارض والعاشر بتطبيب
الدواب والحادى عشر بالتشريح والثاني عشر بفن الطب والجراحة ومنها
الاكدمة السلطانية المسماة اكدمة مستظرفات الفنون وهي خمسة فروع الاول
فن الرسم الثاني فن النحاتة الثالث فن العمارات الرابع فن النقاشة الخامس
فن تركيب حروف الموسيقا ومنها مكتب الفنون الظريفة وهو مكتب
موقوف على تعليم علم الرسم وتوابعه وفيه يتعلم الرسم والنقاشة والعمارة
ومن مجالس العلوم جمعية تسمي أثينة الفنون وهي تعين على تقدم الفنون
والصنائع وهي كالحكم الذي ينفذ الاشياء ويقضي فيها برأيه ومنها
أثينة باريس السلطانية وهي محل علوم وفنون ولا يكون فيها الانسان
للتعلم الا اذا دفع شيئا يسيراً كل سنة والمدرسون فيها أرباب فضل ومنها
جمعية تسمي الجمعية الفيلومانية ومعناه محبوا العلوم والغرض من هذه
الجمعية الاعانة على التقدم في علوم التولدات وهي مرتبة الحيوانات والنباتات
والمعادن ومنها جمعية تشتغل بعلوم الانشا والبلاغات والغرض من هذه
الجمعية تدوين العلوم الادبية وحفظ غريبها حتى لا تفسد لغة الفرنسيس
واذا اخترع الانسان معنى غريبا او اجاب عن سؤال غريب او قال شعرا
مقبولا فانهم يعطونه جائزة ذلك ومنها جمعية تسمي حسن الدروس ووظيفتها
تعليم الآداب القاثولقية والدين القاثولقي ومنها جمعية تسمي اكدمة
اتبا ابولون يعني الادبا وهي مجلس ارباب الفنون الادبية ومنها جمعية تسمي

الجمعية الآسياتية يعني في لغات اهل آسيا او اللغات المشرقية وتحصيل كتبها الغريبة وترجمتها الى الفرنساوية او طبعها لتشتهر ومنها جمعية تسمي الجمعية الجغرافية وهي معدة لتحسين وتكميل علم الجغرافيا فهي تقوى الناس على السفر الى البلاد المجهولة الاحوال فاذاسافر فيها انسان ورجع يطلبون منه سائر ماعلقه عليها فتأخذ ماعلقه وتقيده وتدخله في كتب الجغرافيه ولذلك كان ذلك العلم عند الفرنساوية دائما يأخذ في الكمال وبالجملة فهذه الجمعية هي التي تخدم سائرمايتعلق بالجغرافيا كطبع الخرطات ونحوها ومنها الجمعية الغرماتيقية يعني المشتغلة بنحو اللغة الفرنساوية فان علم النحو يسمى في اللسان الفرنساوي الاغرمير وباللاطينية والايطاليانية اغرماتيقا ووظيفة هذه الجمعية الاشتغال بتصحيح اللغة وتجديد اصطلاحات او ابقاء الاصطلاحات القديمة لان اللسان الفرنساوي لسان غير قار القواعد كتابة وقراءة ومنها جمعية تسمى جمعية المولعين بالكتب الخزائنية ووظيفة اهل هذه الجمعية الحث على طباعة الكتب النافعة النادرة ومنها جمعية للخطاطين واهلها يشتغلون باجادة الخط ومنها جمعية تسمى جمعية المغناطيسية الحيوانية وهي جماعة تقول بوجود سيال مغناطيسي في الحيوان ومنها جمعية حفظة آثار القدماء وهي جمعية معدة لحفظ سائر ما يوجد من الآثار الباهرة عند القدماء كبعض مبانيهم ومومياهم والبحث عن ذلك وملابسهم ونحو ذلك ليتوصل به الي دراسة عوائدهم ففي ذلك يوجد كثير من الامور النفيسة المأخوذة من بلاد مصر كالحجر المصور عليه فلك البروج المأخوذ من دندره فان الفرنساوية يتوصلون به الى معرفة الفلك على مذهب قدماء أهل مصر فان مثل ذلك يأخذونه بغير شيء الا انهم يعرفون مقامه فيحفظونه ويستخرجون منه نتائج شتي ومنافع عامة

ومنها مكتبة تسمي مكتبة الاطوال واهلها اثنا عشر ثلاثة مهندسون وأربعة فلكيون وأربعة بحرية وواحد جغرافى فيشتغلون بعلم الهيئة وتأليف الرزنامات السنوية وتحرير الزيجات وذكر اطوال البلاد ومنها الجمعية السلطانية في علوم الفلاحة وتحرير توفير المصاريف البرانية والجوانية وأهل هذه علماء اغنياؤهم يعطون الجائزة لمن يخترع شيئاً جديدا نافعا ومنها جمعية لتحسين الاصواف ووظيفة أهلها مباشرة مايتعلق بالغنم ومنها جمعية تعين على حث الفرنساوية على البراعة في الفنون والصنائع وهي تعين الصنائع بسائر أنواعها على التقدم فاذا اقترح انسان شيئاً نافعا اخذ من أهل هذه الجمعية تحفة عظيمة وشهرة وفي باريس مدارس سلطانية تسمي الكوليج بضم الكاف وفتح اللام وسكون الياء وهي مدارس يتعلم فيها الانسان العلوم المهمة التي تكون وسائل في الامور المقصودة منها وهى خمسة كوليجات يدرس فيها صناعة الانشا والتأليف والالسن القديمة الغريبة والعلوم الرياضيات وعلم التاريخ والجغرافيا والفلسفة واصول الطبيعيات يعني كتبها الصغيرة وعلم الرسم وعلم الخط وفيها مراتب للطلبة فان الانسان يسلك فيها في العادة مرتبة كل سنة ففي كل سنة من ستة سنين يخرج الانسان من مرتبة الي اعلا فهي بالترقي لابقوة الفهم ولا بغيره فلا يمكن للانسان أن يتعدي أبدا وهناك كوليجان آخران غير سلطانيين وفيهما يدرس مايوجد في الكوليجات الخمسة السابقة وفيها كوليج آخر يسمي كوليج الفرنساوية السلطاني وهو أعظم جميعها فيتعلم فيه الرياضيات والطبيعة المخلوطة بالحساب والطبيعة العملية والهيئة والطب والتشريح العمليين وفيه يتعلم اللغات كالعربية والفارسية والتركية والعبرانية والسريانية والهندسة

ولغة أهل الصين وعلومهم ولغة التتار والحكمة اليونانية التي هي فلسفة اليونان وعلم الفصاحة والبلاغة في اللسان اللاطيني وعلوم بلاغة اللغة الفرنساوية وهذا الكوليج يشتمل على اكابر المدرسين وفيه ستة آلاف طالب ومن أشهر المدارس مدرسة بوليقنيقا بضم الباء وكسر اللام وسكون الياء والقاف وكسر التاء والنون وسكون الياء يعني مدرسة كليات العلوم وفيه يدرس الرياضيات والطبيعيات لتربية مهندسين في علم الجغرافيا وفي العسكرية فمهندسوا الجغرافيا يهندسون القناطر والارصفة والطرق والجسور والخلجان وكل آلات الحيل ورفع الاثقال واما مهندسوا العلوم العسكرية فهم يهندسون القلاع والحصون والبروج والتوقي من ضرر الاعداء والاتخاذ المراضي وهندسة تسييب البارود وارباب هذه المدرسة محققون لهم باع في سائر العلوم ويكفي في فضل الانسان ان يكون من تلاميذها ومنها مكتب يسمى مكتب الفروع الفقهية فيدرسون فيه احكام المعاملات والجنايات ونحوها ومنها مكتب موقوف على تعليم علم الرسم فيدرس فيه الذكور والاناث علم التصوير ومنها مكتب الغنا السلطاني فيتعلم فيه ايضاً الذكور والاناث علم الالحان الصوتية والغنا الكنايسي ومنها مكتب موقوف ايضا على علم الرسم والرياضيات لتكون وسائل للفنون فيتعلم فيه الحساب والهندسة والقياس ونحاتة الحجر والخشب وعلم المساحة وتصوير البهيمة والآدمي والازهار وانواع الزينة ومنها مكتب القناطر والجسور وفيه يتعلم هندسة الطرق والخلجان والارصفة ومنها مكتب سلطاني لتعلم علم المعادن وفيه يتعلم وسائط كشف المعادن واستخراجها ومنها مدرسة الفنون والحرف يتعلم فيها علمي الكيميا والهندسة الداخلين في الحرف والفنون وفيها يوجد سائر آلات الصنائع الموجودة الى هذا

العصر ومنها مكتب يسمى مكتب اللغات المشرقية المستعملة وفيه يتعلم الفارسي والملاباري والعربية الاصلية والدارجة ولغة الترك والارمل والروم ومنها مكتب يسمى مكتب الاوليغولوغي بفتح الهمزة وسكون الراء وكسر اللام وسكون الياء وضم الغين واللام وكسر الغين الاخيرة يعني تفسير الكلمات المكتوبة من قديم الزمان في اللغات القديمة فيفسرون فيه النقود والمعاملات المكتوبة في الا زمنة السالفة والاحجار المنقوشة وترجمة اليها كل القديمة المكتوبة ومنها مكتب سلطاني يتعلم فيه تواريخ الدول وسياساتها ونحو ذلك ومنها مكتب سلطاني للموسيقا والانشا والخطابة وفيه يتعلم أهل اللعب والغنا والآلاتيه من الذكور والاناث وأهل التعلم به أربعماية نفس ومنها مدرسة بستان السلطان التي هي بستان النباتات وبها يقرأ ثلاثة عشر درساً في جملة فروع كعلم الحشايش والطبيعيات والكيميا والمعادن والتشريح والمقابلة بين أجزاء بدن الآدمي والبهيمة وفيها مكتب يسمى مكتب البستنجية وفيه يتعلم علم زراعة الشجر وحفظه من البرد وتطبيع النباتات الغريبة المنقولة على أقليم المحل الذي نقلت اليه ومنها مكتب تقليم الاشجار غير المثمرة لاخراج ثمرها ومنها مكتب تعليم النباتات والمعادن لمن يريد السفر في بلاد ليميز نباتها ومعدنها ومنها مكتب يسمي طب البهائم وفيه يتعلم تطبيب البهائم وفيه مارستانات للحيوانات المروضة وفيه مدرسة كيميا ومدرسة لعلم الطبيعة وفيه العقاقير وبستان حشايش ومكتب للفلاحة العملية وجملة أجناس من البهائم معدة لتجربة اختلاف أصناف البهائم وأصولها فيطلقون فيه صنفا مثلا من الخيل على صنف آخر كحصان عربي على حجرة اندلسية ليتولد منها صنف آخر. ومنها مكتب الصم البكم وهو موقوف على مائة نفس ويدخلون فيه من إحدى

عشرة الى ستة عشر فيتعلم فيه القراءة والكتابة والحساب واللسان والتاريخ والجغرافيا وصنعة من الصنايع وفي هذا المكتب ورشة يتعلم فيها علم الطباخة والنقاشة والنجارة والخراطة والخياطة والصرماتيه ونحوها ومنهـا مكتب العميان السلطاني وهو موقوف على جملة محصورة من العميان فيتعلمون القراءة على شيء مكتوب لهم كتابة مخصوصة فيمسونها باليد ويتعلمون أيضا علم الجغرافيا على خرطات مخصوصة أيضاً ويتعلمون التاريخ واللغات والرياضيات والموسيقا بالصوت وبالآلة وغير ذلك من الحرف كشغل الجرابات ونحوه وغير ماذكرنا يوجد أيضاً عدة مدارس ويوجد في باريس أيضاً مكاتب تسمى البنسيونات جمع بنسيون بفتح الباء وسكون النون وكسر السين وضم المثناة التحتية وسكون الواو وهي مكاتب يتعلم فيهـا الصغار الكتابة والقراءة وعلوم الآلات كالحساب والهندسة وغيرها كالتاريخ والجغرافيا وهي نحو مائة وخمسين بنسيونا وفيهـا أكل الانسان وشربه ونومه وغسل حوائجه ونحو ذلك فيدفع أهالي الاولاد قدرا معلوما في السنة وغير البنسيونات المذكورة يوجد بيوت يكون صاحبها عالما فيأخذ عنده عدة أولاد ليأ كلوا معه ويشربوا معه ويعلمهم بنفسه أو يحضر لهم معلمين عنده وغير هـذا كله فكثير من الناس يحضر لاولاده المعلم في البيت كل يوم ليعلمهـم عنده ومن الاشياء التي يستفيد منها الانسان كثير الفوائد الشاردة التذاكر اليومية المسماة الجرنالات جمع جرنال وهو يجمـع في اللغة الفرنساوية على جرنو وهي ورقات تطبع كل يوم وتذكر كل ماوصل اليوم علمه في ذلك اليوم وتنتشر في المدينة وتباع لسائر الناس وسائر أكابر باريس يرتبونها كل يوم وكذلك سائر القهاوي وهذه الجرنالات مأذون فيها لسائر أهل

فرانسا أن تقول مايخطر لها وان تستحسن وتستقبح مأراه حسنا
أو قبيحاً وان تقول رأيها في تدبير الدولة فلها حرية تامة مالم تضر
في ذلك فانه يحكم عليها وتطلب قدام القاضي والجرنوعصب فكل جماعة
لها في مذهبها مذهب كل يوم يقويه ويحاميه ويؤيده ولا يوجد في الدنيا
أكذب من الجرنالات أبدا خصوصاً عند الفرنسيس الذين لايحاشون
الكذب الا من حيث كونه عيبا وبالجملة فكتاب الجرنو أسوء حالا من
الشعرا عند تحاملهم أو محبتهم والجرنالات مختلفة الانواع والاصناف.
فمنها ماهو معد لذكر أخبار داخل مملكة الفرنسيس وخارجها ومنها
ماهو مخصوص بامور المملكة فقط وما هو للمعاملات وما هو للطب
ولكل علم على حدته كعلم الطب الى آخره والجرنال الواحد ينطبع
منه غالبا للبيع خمسة وعشرون الف نسخة وكل جرنال تكثر نسخه
على حسب رغبة الناس فيه وأرباب الجرنو يعرفون الاخبار الغريبة
قبل غيرهم لان لهم مراسلات مع سائر البلاد ومن جملة علوم باريس
الدفاتر السنوية والتقويمات الجديدة والزيجات المصححة ونحو ذلك
فكل سنة يظهر فيها كثير من الروزنامات المشتملة زيادة على التواقيع
وعلى غرائب العلوم والفنون وعلى كثير من أمور الدولة وعلى تسمية
أكابر الدنيا وتسمية أعيان فرانسا وتعيين بيوتهم ودرجاتهم ووظائفهم.
فاذا احتاج الانسان الى اسم واحد والى بيته راجع في ذلك للكتاب وفي
باريس أوض القراءة اوخلوات القراءة فيذهب الانسان فيها ويدفع قدرا
معلوما ويقرأ سائر الجرنالات وغيرها من الكتب ويستأجر منها مايحتاجه
من الكتب ويأخذه عنده ويرجعه ومما يبهر العقول في باريس دكاكين
الكتبية وخاناتهم وتجارات الكتب فانها من التجارات الرائجة مع كثرتها

وكثرة المطابع وكثرة التآليف التي تتطبع كل سنة فانها يعسر حصرها واغلبها المقصود منه الكسب لا النفع ولا تمر سنة بمدينة باريس الا ويخرج من المطبعة كتب معدومة النظير واعتناؤهم بالمعارف هو أحسن ماينبغي ان يمدحوا به قال الشاعر

اذا شئت ان تحظى من الكتب كلها * باطيب مروى وأحسن مسموع
فطالع مجاميع الدفاتر انها * تفرق من هم الفتى كل مجموع

وقال آخر

اجعل جليسك دفترا في نشره * ليريك من حكم الزمان نشورا
ومعيد آداب ومؤنس وحشة * واذا انفردت فصاحبا وسميرا

وبالجملة فلا يمكن وصف مدينة باريس مع تفصيل علومها وفنونها الا انه يمكن التعبير عن ذلك أجمالا كما ذكرناه

المقالة الرابعة فيما كنا عليه من الاجتهاد والاشتغال بالفنون المطلوبة لتحصيل غرض ولي النعم وفي تدبير أشغال الزمن في القراءة والكتابة وغيرهما وفي المصاريف الواسعة الخارجة من طرف صاحب السعادة وفي عدة مراسلات بيني وبين بعض خواص الافرنج تتعلق بالتعلم وفي ذكر ماقرأته من الفنون والكتب بمدينة باريس ومن هذه المقالة تفهم أن تعلم الفنون ليس سهلا وانه لابد لطالب المعارف من اقتحام الاخطار لبلوغ الاوطار في تلك الاقطار قال الشاعر

دعيني انل مالا ينال من العلا * فسهل العلا في الصعب والصعب في السهل
تريدين إدراك المعالي رخيصة * ولابد دون الشهد من ابر النحل

وقال آخر وهو من الكلام الجامع

من كان يعلم ان الشهد راحته * فلا يخاف للذع النحل من ألم

وقال آخر ايضاً

ان الفضائل بالاخطار مولعة * فابغ الفضائل وابذل جهدك الثمنا
وان أراك الهوى منه الهوان فقل * حكم المنية في حب الحبيب منا

(الفصل الاول فيما حصل لنا في أول الامر)
(من الترتيب في القراءة والكتابة وغيرها)

من عادة أهل باريس انهم في التعليم يبدؤن بتعليم الانسان القراءة في كتب عظيمة الحروف لترسم صورها في اذهانهم وفي هذه الكتب توجد الحروف الهجائية بتركيبها ثم بعد عدة الفاظ لغوية من الاسماء والافعال فهذه الطريقة يتعلم الانسان منها الكتابة ويحفظ هذه الكلمات وينطق بها كما ينبغي حتي تخرج لغته من صغره صادقة الجودة ثم بعدها تلقي في هذه الكتب عدة جمل سهلة التعقل تناسب الصغار فمن هذه الجمل ماوجدناه في الكتاب الذي قرأناه * هذه فرس لها أربع أرجل والطيور ليس لها الا رجلان لكن لها أجنحة تطير بها وأما السمك فانه يسبح في الماء ونحو ذلك مما هو معلوم للمخاطب فهو مثل قول النحاة السماء فوقنا والارض تحتنا الممثل به لما لم يفد فائدة جديدة على اختلاف تفسير الوضع في قولهم الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع ثم بعد ذلك يوجد في هذا الكتاب أوصاف الحيوانات المعروفة خصوصا التي تتعلق الصغار باللعب بها من العصافير والطيور والسنانير ونحو ذلك ثم بعد ذلك نبذة صغيرة في كيفية سلوك الصغار وطاعتهم للوالدين ونحو ذلك ثم نبذة في علم الحساب فبعد فراغ هذا الكتاب يبدئون في قراءة كتاب أهم منه وفي كتاب النحو الفرنساوي وغيره وتقسيم الزمن على دروس

الانسان فان الانسان يتعلم في النهار عدة أمور مختلفة فيقرأ في الصباح مثلا التاريخ ثم بعده درس تصوير مع معلم الرسم ثم بعده درس النحو الفرنساوي ثم بعده درس تقويم البلدان ودرسا مع معلم الخط لتعلم قواعد الكتابة الى آخره وقد أسلفنا ذلك ولما كانت آمال ولي النعم متعلقة بتعلمنا عاجلا ورجوعنا الى أوطاننا ابتدأنا في مرسيليا قبل وصولنا الى باريس وتعلمنا في نحو ثلاثين يوما التهجي ثم لما ذهبنا الى باريس مكثنا جميعاً في بيت واحد وابتدأنا في القراءة فكانت أشغالنا مرتبة على هذا الترتيب وهو انا كنا نقرأ في الصباح كتاب تاريخ ساعتين ثم بعد الغدا نتعلم درس كتابة ومخاطبات ومحاورات باللغة الفرنساوية ثم بعد الظهر درس رسم ثم درس نحو فرنساوي وفي كل جمعة ثلاثة دروس من علمي الحساب والهندسة وفي مبدأ الامر كنا نأخذ في الخط درسين يعني في معرفة الكتابة الفرنساوية ثم بعد ذلك كنا نأخذ كل يوم درسا ثم انتهى الامر الى انا تعلمنا الخط فانقطع عنا معلم الخط وأما الحساب والهندسة والتاريخ والجغرافيا فلم نزل نشتغل بها حتى سهل الله علينا بالرجوع وقد مكثنا جميعاً في بيت واحد دون سنة نقرأ معاً في اللغة الفرنساوية وفي هذه الفنون المتقدمة ولكن لم يحصل لنا عظيم مزية الا مجرد تعلم النحو الفرنساوي ثم بعد ذلك تفرقنا في مكاتب متعددة كل اثنين أو ثلاثة أو واحد منا في مكتب مع أولاد الفرنساوية أو في بيت مخصوص عند معلم مخصوص بقدر معلوم من الدراهم في نظير الاكل والشرب والسكنى والتعليم وتعهد أمورنا من غسل ونحوه فكان يأخذ صاحب المكتب أو البيت نحو عشرة اكياس كل سنة في نظير ذلك ولا يلزمنا شيء في المأكل والمشرب * ولما كانت طباع هذه البلاد شدة البرودة كان لكل

واحد منا في كل سنة بثلثماية قرش خشب للتدفي بها وغير هذه المصاريف العظيمة كان يشترى لنا من طرف الميري أيضاً القمصان والسراويل والنعال وسائر مايلزم من الالات والادوات مثل الكتب والورق والحبر وأقلام التصوير وغيرها ومما ينبغي ذكره أيضاً ما كان يعطي للحكماء والاجزاجية في مداواة من كان يمرض منا فان الحكماء بباريس مع كثرتهم غاية الكثرة يأخذون في زيارتهم للمريض الموسر قدراً له وقع على اختلاف مراتبهم في الشهرة وعدمها وبتعدد القدر بتعدد الزيارة وهذا ان لم يكن للحكيم سنوية معلومة وقد أسلفنا ذلك في باب اعتناء الفرنساوية بالطب وتعهدهم للصحة فاقل الحكماء يأخذ في كل زيارة يمكث فيها نحو نصف ساعة ثلاثة افرنكات والحكيم المتوسط يأخذ في كل زيارة خمسة فرنكات والحكيم الجليل القدر يأخذ في كل زيارة أبلغ من خمسين فرنكا وكلما تعددت الزيارة في اليوم الواحد تعدد القدر وأما بالنسبة للمعدم فقد لا يأخذون منه شيأ ونحن نعد هناك من الموسرين بل من الاغنياء لتجملنا بالملبس الغريب عندهم ولنسبتنا لولي النعم ولكثرة هذه المصاريف في تعليمنا وغيره من سائر ما ذكرنا كان ناظر التعليم أو الضابط علينا يذكرنا به في أغلب الاوقات لنجتهد وسترى بعض ذلك في مراسلات كتبها لي بعد الامتحان العام

﴿ الفصل الثاني فى تدبيرنا فى شأن الدخول والخروج ﴾

حين اجتماعنا في بيت الافندية كنا لانخرج منه ليلا ولا نهارا الا يوم الاحد الذي هو عيد الافرنج بورقة اذن للبواب من الضابط الذي نظره علينا ولى النعم ثم بعد تفرقنا فى المكاتب المسماة البنسيونات كنا

نخرج أيام البطالة وهي يوم الاحد بتمامه ويوم الخميس بعدالدروس وأيام
أعياد الفرنساوية ومنا من كان يخرج كل ليلة بعد العشا ان لم يكن له
درس بعده ولنذكر لك هنا قانون نامة الذي صنعه الافندية بعددخولنا
في البنسيونات وعبارته هذه صورة ترتيب الافندية فى البنسيونات *
المادة الأولى أن يوم الاحد المقرر لهم الخروج فيه يلزم أن يخرجوا
من البنسيونات في الساعة تسعة ويأتوا الى البيت المركز من أول الامر
ويقدموا وقت الدخول ورقة معلمهم الى الافندي النوبتجي في هذا
الشهر لاجل أن يعلم ساعة دخولهم في البيت وبعد ذلك يذهبون الى
المواضع المعدة للفرجة بشرط أن يجتمع ثلاثة أو أربعة ثم يرجعون الى
البنسيونات فى أيام الصيف الساعة تسعة وفي أيام الشتا الساعه ثمانية
وهـذا الترتيب لازم ولا بد فان رجع أحد الى البنسيون قبل ذلك
وتعشي هناك فهو أولى وأحسن من اللوازم أن لايدور أحد في الازقة
ليلا ومتي دخل في البنسيونات يعطى الورقة المذكورة للمعلم * المادة
الثانية أن من لم يمتثل لخصوص ماسبق يمنع الخروج من البنسيون بحسب
الاقتضا جمعة أو جمعتين * المادة الثالثة أن كل من له شكاية من معلمه
لاتسمع ولا تقبل حتي يكتبها فى ورقة ولا تسمع الا اذا كانت من جهة
التعليم أو من جهة أخري يحصل له منها ضرر ولكن قبل أن يكتب
ورقة الشكاية يعرف عنها معلمه مرة ثم يكتبها للنوبتجي في هذ الشهر
المادة الرابعة ان جميع الافندية يمتحنون في آخر كل شهر ليعرف ماحصلوه
من العلوم فى هذا الشهر ويسألون عما يحتاجون اليه من الكتب والآلات
ويكتب في آخر كل شهر كسبهم وتحصيلهم وأفعالهم على الصحيح ولاجل
هذا ينبغى التفكر في هذا بالخصوص لاجل تحصيل غرض حضرة

ولى النعم * المادة الخامسة لو احتاجوا شيأ من الكتب والآلات في اثناء
الشهر يطلبونه من معلمهم بورقة يكتبونها له ومعلمهم يخبر بذلك مسيو جومار
فان رآه مناسبا يعطيهم ذلك بعد مايخبر النوبتچى فان اشترى أحد شيء
من غير اجازة يلزمه أن يدفع ثمنه من عنده * المادة السادسة انه بعد
الامتحان بما ذكرنا في المادة الرابعة ان استحق أحد من الافندية الهدية
بنجابته تعطي له كتب وآلات وسكة * المادة السابعة فى محل التفرج
أو الطريق لاينبغي لاحد منهم أن يرتكب مايخل بمروءته وهذا الامر
هو اهم الجميع وممنوع أشد المنع (المادة الثامنة أن كل الافنديه الذين
هم في البنسيونات لايدخلون في البيت المركز الا كل خمسة عشر يوما
مرة وهو يوم الاحد * المادة التاسعة أن يوم الاحد الذي لايأتون
فيه الى البيت يخرجون فيه مع أولاد الفرنساوية أو مع المعلمين الى
مواضع التفرج او الرياضة أو ماينبغي رؤيته وكذلك يوم الخميس أو
يوم التعطيل ان لم يكن عليهم شغل فيذهبون مع من ذكر الى المواضع
المذكورة * المادة العاشرة يتبعون قوانين البنسيون كاولاد الفرنساوية
بالتدقيق والاهتمام في غير الامور المتعلقة بالدين * المادة الحادية عشر
اذا خالف أحد هذا الترتيب يقابل بقدر مخالفته واذا أظهر عدم الطاعة
يحبس بالخشونة وان كان أحد يتشبث بافعال غير لائقة وأطواره غير
مرضية وجاءت تذكرة من معلمه تشهد عليه بقبح حاله وتبين عصيانه
فمثل ما ذكر حضرة ولى النعم أفندينا في القوانين التي أعطاها لنا نتشاور
مع المحبين لحضرة أفندينا من أهالى هذه المدينة ونرسل فاعل القبح
والعصيان بنفسه حالا الى مصر من غير شك ولا شبهة * المادة الثانية
عشر أن جميع الافنديه يكونون فى البنسيونات فى هذا الترتيب على

حذ سوا وان كان في البنسيونات ثدتان ما احداهما للمعلمين والاخري للتلامذة فافنديتنا يأكلون مع معلميهم * المادة الثالثة عشر أن الافندية المذكورين يلزمهم جميع ماذكر من القوانين من غير امتياز وبسبب ذلك اعطينا كل واحد منهم صورة ذلك * المادة الرابعة عشر كل المواد السابقة هي خلاصة أفكارنا ونتيجة أذهاننا وأذهان الاعيان الذين وصاهم علينا حضرة أفندينا وبناء على ذلك كل أحد يلزمه أن يتبعه مع التنبه لاجل تحصيل رضاء حضرة أفندينا ولى النعم فمن لم يمتثل أو تعلل بشئ يجرى عليه ماهو مذكور في قانون حضرة أفندينا ولى النعم حفظه الله

الفصل الثالث في ترغيب ولى النعم لنا في الشغل والاجتهاد

جرت عادته من مدة خروجنا من مصر بانه كان يتفضل علينا ببعثه لنا فرمانا كل عدة أشهر يحثنا فيه على تحصيل الفنون والصنائع فمن هذه الفرمانات ما كان من باب ما يسمى عند العثمانية إحياء القلوب مثل الفرمان الآتي ومنها ما كان من باب التوبيخ على ما كان يصله منا ويبلغه عنا من بعض الناس حقاً أو غير ذلك كفرمان آخر وصلنا قبل رجوعنا الى مصر القاهرة ولنذكر لك هنا فرمانا من النوع الاول الذي هو إحياء القلوب وان كان فيه أيضاً شائبة توبيخ لتعلم كيف كان حفظه الله يحثنا على التعليم وهذه صورة ترجمته * قدوة الأماثل الكرام الأفندية المقيمين في باريس لتحصيل العلوم والفنون زيد قدرهم ينهى اليكم انه قد وصلنا أخباركم الشهرية والجداول المكتوب فيها مدة تحصيلكم وكانت هذه الجداول المشتملة على شغلكم ثلاثة أشهر مبهمة لم يفهم منها ما حصلتموه فى هذه المدة وما فهمنا منها شيأ وأنتم في مدينة مثل مدينة باريس التى

هي منبع العلوم والفنون فقياساً على قلة شغلكم في هذه المدة عرفنا عدم غيرتكم وتحصيلكم وهذا الامر غمنا غما كثيراً فيا أفندية ماهو مأمولنا منكم فكان ينبغي لهذا الوقت ان كل واحد منكم يرسل لنا شيأ من أثمار شغله وآثار مهارته فاذا لم تغيروا هذه البطالة بشدة الشغل والاجتهاد والغيرة وجئتم الى مصر بعد قراءة بعض كتب فظننتم انكم تعلمتم العلوم والفنون فان ظنكم باطل فعندنا ولله الحمد والمنة رفقاؤكم المتعلمون يشتغلون ويحصلون الشهرة فكيف تقابلونهم اذا جئتم بهذه الكيفيه وتظهرون عليهم كمال العلوم والفنون فينبغى للانسان ان يتبصر في عاقبة أمره وعلى العاقل ان لا يفوت الفرصة وان يجني ثمرة تعبه فبناء على ذلك انكم غفلتم عن اغتنام هذه الفرصة وتركتم أنفسكم للسفاهة ولم تتفكروا في المشقة والعذاب الذي يحصل لكم من ذلك ولم تجتهدوا في كسب نظرنا وتوجهنا اليكم لتتميزوا بين أمثالكم فان أردتم ان تكسبوا رضانا فكل واحد منكم لا يفوت دقيقة واحدة من غير تحصيل العلوم والفنون وبعد ذلك كل واحد منكم يذكر ابتدائه وانتهائه كل شهر ويبين زيادة على ذلك درجته في الهندسة والحساب والرسم وما بقى عليه في خلاص هذه العلوم ويكتب في كل شهر ما تعلمه في هذا الشهر زيادة على الشهر السابق وان قصرتم في الاجتهاد والغيرة فاكتبوا لنا سببه وهو اما من عدم اعتنائكم أومن تشويشكم وأى تشويش لكم هل هو طبيعي أو عارض وحاصل الكلام انكم تكتبون حالتكم كما هي عليه حتى نفهم ما عندكم وهذا مطلوبنا منكم فاقرأوا هذا الامر مجتمعين وافهموا مقصود هذه الارادة * قد كتب هذا الامر في ديوان مصر في مجلسنا في اسكندرية بمنه تعالى فمتى وصلكم أمرنا هذا فاعملوا بموجبه وتجنبوا وتحاشوا عن خلافه (خمسة

في ربيع الاول سنة ١٢٤٥) خمسة وأربعين بعد الألف والماءتين من الهجرة انتهت صورة المكتوب * ومن وقت هـذا المكتوب صرنا نكتب كل شهر جميع ما قرأناه وما تعلمناه في ذلك الشهر وتكتب تحته المعلمون اسماءهم وتبعثه الى ولي النعم فلما تساهل بعض منافي ذلك كتب مسيو جومار الينا جميعاً مكاتيب ليأمر من كان مواظباً على كتابة هذه الاوراق في كل شهر ان يدوم على مواظبته ويوبخ من تساهل وهذه صورة ترجمة المكتوب الذي أرسله الى في هذا المعنى ولنذكره كما هو باريس ١٥ في شهر يونيه ٢٥ في شهر محرم سنة ١٢٤٦ الى محبنا العزيز الشيخ رفاعة لا يخفى عليكم الامر الوارد من ولى النعم المتعلق بالاوراق الشهريه المشتملة على الدروس التي قرأتموها فدم على ما أنت عليه من المواظبة وابعث هذه الاوراق في يوم الثلاثين كل شهر لمسيو المهردار أفندى واطلب منه أوراقا غير مكتوبة لتكتبها بعد ذلك ومن المعلوم ان هذه الورقة الشهرية لا تأخذ في كتابتها الا نصف ساعة لان الغرض منها مجرد ضبط عدد الدروس التي قرأتها ومعرفة نوعها وليكتب رئيس مدرستك في كل شهر في الورقة الشهرية تحت اسمك ولا يخفى على اجتهادك ولا أجهل قدر ثمرة تحصيلك فاطلب منك ان تواظب على توفية الحقوق التي كلفت بها واعلم وتيقن بمحبتي لك جومارا أحد أرباب ديوان الانسطيطوت

﴿ الفصل الرابع في بعض مراسلات بيني وبين بعض ﴾
﴿ من كبار علماء الفرنساوية غير مسيو جومار ﴾

فمن كاتبني عدة مرات مسيو دساسي ولنذكر لك بعض مكاتيبه فمنها ما كتبه باللغة العربية ومنها ما كتبه باللغة الفرنساوية * صورة مكتوب منه من

الفقير الى رحمة ربه سبحانه وتعالى الى المحب العزيز المكرم والاخ المعز المحترم الشيخ الرفيع رفاعة الطهطاوي صانه الله عز وجل من كل مكروه وشر وجعله من ذي العافية وأصحاب السعادة والخير أما بعد فان القطعة التي أكلت المطالعة فيها من كتابك النفيس وحوادث أقامتك في باريس رددتها اليك على يد غلامك ويصلك صحبتها حاشية مني على ما تقوله فى باب تصريف الفعل فى لغتنا الفرنساوية فاذا نظرت فيها تبين لك صحة ماتستعمله من صيغة الفعل الماضي فمن الواجب عليك أن تصنف كتابا يشتمل على نحو اللغة الفرنساوية المتداولة عند أمم أوربا كلها وفي ممالكها حتى يهتدى أهل مصر الى موارد تصانيفنا في فنون العلوم والصناعات ومسالكها فانه يعود لك في بلادك أعظم الفخر ويجعلك عند القرون الآتية دائم الذكر ودمت سالما * كتبه المحب سلوستري دساسي انتهى

صورة مكتوب آخر الى حبيبنا الشيخ رفاعه الطهطاوي حفظه الله وابقاه أما بعد فانه سيصلك مع هذا ماطلبته منا من الشهادة باننا قرأنا الكتاب المشتمل على حوادث سفرك وكلما امعنت فيه النظر من أخلاق الفرنساوية وعوائدهم وسياساتهم وقواعدديتهم وعلومهم وآدابهم وجدناه مليحا مفيدا يروق الناظر فيه ويعجب من وقف عليه ولا بأس ان تعرض خط يدنا على مسيو جومار وان شاء الله يحصل لك بمصنفك هذا حظوة عند حضرة سعادة الباشا وينعم عليك بما أنت أهله ودمت على أحسن حال * محبك الداعي سلوستري دساسي البارزي وصحبة هذا المكتوب ارسل الى ورقة باللغة الفرنساوية لاطلع عليها مسيو جومار وهي بالتقريظ أشبه وصورة ترجمتها لما اراد مسيو رفاعة ان اطلع على كتاب سفره المؤلف باللغة العربية قرأت هذا التاريخ الا اليسير منه فحق

لي ان اقول انه يظهر لي ان صناعة ترتيبه عظيمة وان منه يفهم اخوانه من أهل بلاده فهما صحيحا عوائدنا وأمورنا الدينية والسياسية والعلمية ولكنه يشتمل على بعض أوهام اسلامية ومن هذا الكتاب يعرف علم هيئة العالم وبه يستدل على ان المؤلف جيد النقد سليم الفهم غير انه ربما حكم على سائر اهل فرانسا بما لايحكم به الاعلى اهل باريس والمدن الكبيرة ولكن هذه نتيجة متولدة ضرورة من حالته التي هو عليها حيث لم يطلع على غير باريس وبعض المدن وقد أحرص في باب العلوم على ذكر المعلومات توطئة للتوصل الى المجهولات خصوصا في نبذته المتعلقة بعلم الحساب وبهيئة الدنيا وعبارة هذا الكتاب فى الغالب واضحة غير متكلف فيها التعميق كما يليق بمسائل هذا الكتاب وليست دائماً صحيحة بالنسبة لقواعد العربية ولعل سبب ذلك انه استعجل في تسديده وانه سيصلحه عند تبييضه وفي التكلم على علم الشعر ذكر استطراد بعض أشعار عربيه اجنبية من موضوع هذا الكتاب على مايظهر لي لكنه ربما أعجب ذلك اخوانه من أهل بلاده وفي الكلام على تفضيل الصورة المدورة على غيرها من الاشكال ذكر بعض أشياء قليلة الجدوى فينبغي له حذفهاوما ذكرت هذه الاشياء وبينتهاهذا التبيين الا للاعلام باني دققت النظر في قراءتي هذا الكتاب وبالجملة فقد بان لي ان مسيو رفاعه احسن صرف زمنه مدة إقامته في فرانسا وانه اكتسب فيها معارف عظيمة وتمكن منها كل التمكن حتى تاهل لان يكون نافعا في بلاده وقدشهدت له بذلك عن طيب نفس وله عندي منزلة عظيمه ومحبه جسيمه *البارون سلوسترى دساسي باريس في شهر فبريه سنة ١٨٣١ ١٩ في شعبان سنة ١٢٤٦

وصورة ترجمة مكتوب كتبه لى قبيل خروجي من مدينه باريس بعد

إهداء السلام الى مسيو رفاعه يحصل لي حظ عظيم اذا جاء عندي يوم الاثنين الآتي والساعة في ٣ ان أمكنه ان يسرني برؤ يتي له لحيظات لطيفة ويحصل لي أيضاً غاية الانبساط اذا بعث لي أخباره بعد وصوله الى القاهرة فاذا لم يتيسر لي رؤيته طلبت له طريق السلامة ولا ازال اتذكر دائماً آثاره واستنشق أخباره مع انجذاب قلب وانشراح صدر * البارون سلوستري دساسي

وصورة ماكتبه مسيو كوسين دي برسوال مدرس اللغة العربية المتداولة في المحاورات المشهورة باسم الدارجة عند العامة بدار كتبخانه السلطانية بباريس وكنت كتبت له ان يبعث لي رأيه في هذه الرحلة فكتب هذا الجواب وصورته حضرة المحب العزيز الاكرم الفصيح اللسان والقلم جناب الشيخ رفاعة المحترم حفظه الله آمين بعد اهدائكم جزيل السلام ومزيد التحية والاكرام فقد ورد علينا عزيز مكتوبكم البارحة فبادرنا بقضاء حاجتكم فواصل لكم طية تحرير تحتوي على رأينا في كتاب حوادث سفركم الذي تفضلتم علينا باطلاعنا عليه وبالحقيقة قلنا مثل ماهو اعتقادنا وشرحنا ماوجدنا فيه من المحاسن وأما بخصوص المذام فما لقينا من ذلك شيأ وحيث انكم عازمون على السفر في آخر هذا الشهر فالمأمول من حسن محبتكم انكم بعد وصولكم بالسلامة الى بلادكم لا تخرجونا من خاطركم وتواصلونا بالاعلام بصحتكم ونترجاكم أيضاً انه اذا طبع كتابكم تبعثوا لنا منه نسخة وبذلك تصيرونا ممنونين ولافضالكم شاكرين والله تعالى يحفظكم والسلام

محبكم كوسين دي برسوال ٢٤ شباط سنة ١٨٣١

والمراد بطية التحرير ورقة شهادته بانه اطلع على هذا الكتاب وقال رأيه فيه وصورة ترجمة هذه الطية التي كتبها لمسيو جومار باللغة

الفرنساوية ليخبره برأيه في هـذه الرحلة قرأت بالتأمل مؤلف الشيخ
رفاعة الملقب بتخليص الابريز في تلخيص باريز فوجدته يتضمن حكاية
صـغيرة في سفر المصريين المبعوثين الى فرانسا من طرف وزير مصر
الحاج محمد علي باشا وتشتمل على تخطيط مدينـة باريز وعلى نبذات
مؤخرة في جملة فروع من العلوم المطلوبة التعلم من هؤلاء التلامذة وقد
ظهر لي ان هـذا التأليف يستحق كثيراً من المدح وانه مصنوع على
وجه يكون به نفع عظيم لاهالى بلد المؤلف فانه أهدى لهم نبذات صحيحة
من فنون فرانسا وعوائدها وأخلاق أهلها وسياسة دولتها ولما رأى
ان وطنه أدنى من بلاد أوربا في العلوم البشرية والفنون النافعة أظهر
التأسف على ذلك وأراد ان يوقظ بكتابه أهل الاسلام ويدخل عندهم
الرغبة في المعارف المفيدة ويولد عندهم محبة تعلم التمدن الافرنجي والترقى
في صنايع المعاش وما تكلم عليه من المباني السلطانية والتعليمات وغيرها
أراد ان يذكر به لاهالى بلده انه ينبغي لهم تقليد ذلك وما نظر فيه في
بعض العبارات يدل في الغالب على سلامة عقـله وخلوه من التعسف
والتحامل وعبارة هذا الـكتاب بسيطة أي غير متكلف فيها التنميق
ومع ذلك فهي لطيفة وحين كانت نسخة هذا الـكتاب بيدي كان الجزء
الذي يتعلق بالعلوم والفنون غير تام فما رأيت منه الا نبذة في الرياضيات
وعلم هيأة الدنيا ومبادي أصول الهنـدسة والجغرافيا الطبيعية فهذه
النبذات وان كانت موجزة الا انها مشبعة فيترجي ان المؤلف يدوم على تأليف
النبذات الباقية بهذه المثابة واذا اجتمعت هذه النبذات في هذا الـكتاب
فانها تكون كتاب علوم مستقل مفتاحا لغيره من العلوم نافعاً لاهل العربية
واذا فرغ الـكتاب بهذه الطريقة فانه يستدل به على رفعة عقل مؤلفه

وانساع دائرة معرفته * كوسين دى برسوال

فاذا قابلت هذا المكتوب مع ما تقدم رأيت ان مسيو دساسي ومسيو كسين اتفقا على حسن هذا الكتاب وعلى بساطة عبارته أي عدم التأنق فيها وعلى نفعه لاهل مصر وانما مسيو دساسي أعابه بثلاثة أشياء الاول اشتماله على بعض مسائل يعتقد انها من أوهام الاسلام الثاني جعلنا ما ينسب لمدينة باريس وغيرها من المدن عاما لسائر بلاد فرانسا الثالث ذكرنا بعض أشياء قليلة الجدوى عند تفضيل الشكل المدور على غيره من الاشكال وأما مسيو كسين فانه لم يتعرض لما جعله مسيو دساسي من باب الاوهام ولما تحدثت معه في شأن ذلك أجابني بانه لم ير ذلك مضرا حيث اني كتبت على ما هو فى اعتقادي والا لو تتبعت ماقاله الافرنج ووافقت آراءهم للحيا أو غيره لكان ذلك محض موالسة وأما قوله كسيو دساسي ان عبارة هذا الكتاب بسيطة فمعناه ان تراكيبه لم يحاول فيها سلوك طريق البلاغة يقال عند علماء الفرنساوية عبارة بسيطة فى مقابلة العبارة البليغة ولنذكر لك هنا رسالة من شخص كان بيني وبينه محبة اكيدة وصورة اجتماعي بهذا الشخص اني دخلت مكتبه لقراءة الكازيطات أي الوقايع اليومية فتعرفت بهذا الشخص الذي هو محاسبجى فى وزارة الخزينة المالية وأخوه مأمور دبرطمانه يعني اقليما من اقليم الفرنساوية وهو من بدنة عظيمة تسمى السلادانية نسبة الى سلاذان يعني صلاح الدين يتوهمون أنهم ينتسبون الى السلطان صلاح الدين الايوبي قائلين انه يحتمل ان يكون حين محاربته مع الافرنج تسرى بفرنساوية فحملت منه ثم انطلقت الى بلادها فبقى الاسم في أولادها وذراريها الى الآن ثم اني كما تعرفت به تعرفت بسائر أقاربه

ولا زلت معهم على الصحة الا كيدة مدة اقامتي في رباريس فلما سافرت
كان عند أخيه المأمور في اقليم الترك في مدينة يقال لها الپي فارسل الى
هذا المكتوب وهذه صورة ترجمته مع بعض حذف جائز الى حضرة
عزيزنا الشيخ رفاعه قد سلمت أمانتك لابن شيخ المأمورية ليعطيها لك
فانتظرها بعد وصول هذا المكتوب بزمن يسير وقد وكانى أخي بان
أخبرك بثنائه عليك على ماصنعته معه من الجميل في اعارتك له هذه الامانه
وأن أهنيك على بلوغك المأمول هل عن قريب تفارقنا لترى وطنك
العزيز فان شاء الله تجتمع بما تركته فيه من الاقارب والاحباب وتجده
بخير فقد بلغني ان سفرك قد قرب جدا حتى اني لا أظن أن أقابلك فى
مدينة باريس ولكن لو سافرت قبل هذا الزمن بيسير لاجتمعنا في
مرسيليا وودعتك في آخر مدينة من مدن الفرنساوية تعبر فيها في سفرك
ولو تأخر سفرك مدة يسيرة لافترقنا فى مدينة باريس التي كان بها أول
اجتماعنا ولا أدري ان كان التلاقى مقدرا أم لا ولكن تقلبات الدهر كثيرة
خصوصاً للافرنج فلا يمكنني أن أجزم بعدم الاجتماع وبالجملة فلا شك
انك تركت فى فرانسا صديقاً يتذكرك ويتأثر لك بما يقع لك من النفع
والضرر ويسر غاية المسرة اذا بلغه انك تحظى في بلادك بثمرة فضلك
وأوصافك وليت شعري ترجع الى بلادك باي اعتقاد فى طبيعة الفرنساوية
فقد رأيت هذه الملة فى وقت ينبغي ان يكون تاريخاً من غرائب سيرها
وأظن انك تسئل في بلادك مراراً عديدة عن هذه الفتنة العظيمة ونصرة
الفرنساوية في طلب الحرية فاذا وقع اتفاقا ان سفرك توقف مدة أيام فأمولى
أن أراك في مدينة باريس والا فارجو منك أن لا تسافر حتى تودعني بلسان
القلم بمحبتي لك غاية المحبة انتهت صورته   حول سلادان

وهذه صورة مكتوب تفهم منه أيضاً رغبة الفرنساوية في تحصيل الكتب الغريبة وترغيبهم للمؤلفين أو المترجمين في ترجمة الكتب وتأليفها وهذه صورة ترجمة هذا المكتوب الى مسيو الشيخ رفاعة قد حملني مسيو دبنغ ان أسأل عن ترجمتك لكتاب العلوم الصغير المشتمل على أخلاق الامم وعوائدهم وآدابهم لان مسيو دبنغ مؤلف هذا الكتاب فاذا كانت ترجمتك تطبع في مصر هل يتيسر لمؤلف الاصل ان يقيد اسمه لتحصيل عدة نسخ من نسخ هذا الكتاب بالشرا ونعرفك انك تخبرنا من اي محل وصلت في الترجمة من المجلد الاول من جغرافيا ملطبرون فان هذا الجزء الآن يطبع طبعاً آخر مصححاً مشتملا على زيادات لا توجد في الاول فلا بأس ان نحيطك به علماً فانه يكمل طبعه في أثناء هذا الشهر ومني اليك مزيد التحية * محبك الصادق رنو بخزانة الكتب السلطانيه بباريز

الفصل الخامس فى ذكر ماقرأته من الكتب في مدينة باريس وفي كيفية الامتحانات وفيما كتبه لى مسيو جومار وفيما كتب من خلاصة الامتحان الاخير فى الوقائع العلمية واذكرهنا ما قرأته مرتباً بهذا الترتيب وان تكرر مع ما سبق

تعليم أصول نحو اللغة الفرنساوية

كان خروجنا من الكرنتينة في السابع والعشرين من شهر شوال سنة ٤١ وبعد أيام قليلة فى مرسيليا ابتدأنا في التهجي والقراءة وبعد نحو أربعين يوماً تعلمنا الحروف الفرنساوية والتهجي ووصلنا باريس فى شهر محرم فرجعنا ثانياً للابتداء فى أصول الهجا واشتغلنا بذلك نحو شهر ثم ابتدأنا جميعاً في قراءة أجرومية لومند في نحو اللغة الفرنساويه

وكان المعلم يضيف اليها من أجرومية أخرى مايحتاج اليه الحال فلما خرجت من بيت الافندية قرأت مع مسيو شواليه أجروميه أخري ومع معلم آخر يسمى لمونري أجروميتين وفى كل من البيتين يعني بيت الافندية وبيت المعلم كنت أشتغل بالاعراب النحوي والاعراب المنطقى يعني تطبيق الكلام على قواعد النحو وقواعد المنطق وبالاملا والانشا والقراءة ولا زلت على ذلك ثلاث سنوات

(علم التاريخ)

ابتدأنا في بيت الافندية حين كنا معاً بكتاب سير فلاسفه اليونان فقرأناه وتممناه ثم ابتدأنا بعده في كتاب تاريخ عام مختصر مشتمل على سير قدما المصريين والعراقيين وأهل الشام واليونان وقدماء العجم والرومانيين والهنود وفي آخره نبذة مختصره في علم الميثولوجيا يعني علم جاهلية اليونان وخرافاتهم ثم قرأت عند موسيو شواليه كتابا يسمى لطائف التاريخ يتضمن قصصاً وحكايات ونوادر ثم بعده قرأت كتابا يسمي سير أخلاق الامم وعوائدهم وآدابهم ثم تاريخ سبب عظم دولة قياصرة الروم وانقراضها ثم كتاب رحلة انخرسيس الاصغر الى بلاد اليونان ثم قرأت كتاب سيغور في التاريخ العام ثم سيرة نابليون ثم كتابا في علم التواريخ والانساب ثم كتابا يسمي بانوروما العالم يعني مرآة الدنيا ثم رحلة صنفها بعض المسافرين في بلاد الدولة العثمانية ثم رحلة فى بلاد الجزائر

علم الحساب والهندسة

قرأت في الحساب كتاب بزوت وفى الهندسة الاربع مقالات الاول من كتاب لوجندره

علم الجغرافيا بانواعها

قرأت مع مسيو شواليه كتاب جغرافية يشتمل على الجغرافية التاريخية والطبيعية والرياضية والسياسية ثم قرأت رسالة اخرى في الجغرافية الطبيعية مقدمة لقاموس في الجغرافية يعني معجم البلدان ثم قرأت الكتاب الاول بعينه مع معلم اخر غير مسيو شواليه وقرأت ايضا مع مسيو شواليه جملا عظيمة من جغرافيـة ملطبرون ورسالة الفها لتعليم بنته في هيئة الدنيا وقرأت وحدى مؤلفات عديدة في هذا الفن

فن الترجمة

ترجمت مدة اقامتي في فرنسا اثني عشر كتابا او شذرة يأتي ذكرها في آخر هذا الكتاب يعني اثني عشر مترجما بعضها كتب كاملة وبعضها نبذات صغيرة الحجم

كتب في فنون مختلفة

قرأت كتابا في علم المنطق الفرنساوى مع مسيو شواليه ومسيو المونزي وعدة مواضع من كتاب ليبرتر وايال من جملتها المقولات وكتابا آخر في المنطق يقال له كتاب قندلياق غير فيه منطق ارسطو وقرأت مع مسيو شوالية كتابا صغيرا في المعادن وترجمته وقرأت كثيرا من كتب الادب فمنها مجموع نويل ومنها عدة مواضع من ديوان ولتير وديوان رسين وديوان رسو خصوصاً مراسلاته الفارسية التي يعرف بها الفرق بين اداب الافرنج والعجم وهي اشبه بميزان بين الاداب المغربية والمشرقيـة وقرأت ايضاً وحدى مراسلات انكليزية صنفها القونت شسترفيلد لتربية ولده وتعليمه وكثيرا من المقامات الفرنساوية وبالجملة فقد اطلعت في آداب الفرنساوية على كثير من مؤلفاتها الشهيرة وقرأت في الحقوق الطبيعية مع معلمها

كتاب برلماكي وترجمته وفهمته فهما جيدا وهذا الفن عبارة عن التحسين والتقبيح العقليين يجعله الافرنج اساسا لاحكامهم السياسية المسماة عندهم شرعية وقرأت ايضا مع مسيو شواليه جزئين من كتاب يسمي روح الشرايع مؤلفه شهير بين الفرنساوية يقال له منتسكو وهو اشبه بميزان بين المذاهب الشرعية والسياسية ومبني على التحسين والتقبيح العقليين ويلقب عندهم بابن خلدون الافرنجي كما ان ابن خلدون يقال له عندهم ايضا منتسكو الشرق اي منتسكو الاسلام وقرأت ايضا في هذا المعنى كتابا يسمي عقد التأنس والاجتماع الانساني مؤلفه يقال له روسو وهو عظيم في معناه وقرأت في الفلسفة تاريخ الفلاسفة المتقدم المشتمل على مذاهبهم وعقائدهم وحكمهم ومواعظهم وقرأت عدة محال نفيسة في معجم الفلسفة للخواجه وليتر وعدة محال في كتب فلفسة قنديلاق وقرأت في فن الطبيعة رسالة صغيرة مع مسيو شواليه من غير تمرض للعمليات وقرأت في فن العسكرية من كتاب يسمى علميات كبار الضباط مع مسيو شواليه مايه صفحة وترجمتها وقرأت كثيرا في كازيطات العلوم اليومية والشهرية التي تذكر كل يوم مايصل خبره من الاخبار الداخلية والخارجية المسماة البوليتيقيه وكنت متولعا بها غاية التولع وبها استعنت على فهم اللغة الفرنساويه وربما كنت اترجم منها مسائل علميه وسياسية خصوصا وقت حرابة الدولة العثمانية مع الدولة الموسقوبية ولنذكر لك هنا ترجمة رسالة فرضية من فرنساوي متطوع بالخدمة في معسكر الموسقو من مدينة شملا القريب الى بعض امراء الالوية بمدينة باريس تاريخها اثنان وعشرون من يوليه الافرنجي سنه ١٨٢٨ من الميلاد اعلم يامحبنا ان هذا أول مرة التحم فيها صفنا مع الصفوف الاسلاميه من منذ وصولنا الى العساكر الموسقوبيه ثم ان سائر مارأيته مما يذهل العقول ويحير الالباب

يقصر عنه العبارة كيف وهواجس غريب بالنسبة الى مثلي فلو كنت مثل جنابكم من العسكر المتمرن على الحروب سافرت في غزوة مصر ورأيت واقعة ابي قير وحصار مدينة عكا لما حار لبي حين رأيت شيأ جديداً لم اكن عاينته قبل ذلك مما يكل عنه الوصف ولكن تأمل ياأخي فى امري حيث اني قد كنت فى خفر ملكنا وخرجت من مكتب سنسير ولم احضر من الوقائع الاوقعة الاندلس فلم اشعر الا ان وجدت نفسي قدام جبل بلقان بعد ان جبت البراري والقفار وعاينت المشاق بتهديد اهلها لنا وتخلصهم منا وادهاشهم لجيوشنا وانظر في استعجابي وذهاب صوابي حين خرجت الفوارس التركية متصافة صفوفا عجيبة للحرابة الاسلامية باعلى شملا وقد وصل الى شريف علمكم من دفتر علم الموسقو تفصيل هذه الواقعة وشرح الجم الغفير من عساكرنا والخبر بانها صارت ضايعة وقد شاهدت بعيني سوء ميتة الميرالاي باردي الموسقوبى بحالة رديئة حيث انقسم نصفين بضربة مدفع تركية ومن الآن فقط ظهرت صعوبة هذه الحرابة وطول مدتها لا يعد من الغرابة وان كان بعساكرنا شجاعة وصلابة في الحروب فعساكر الاسلام لها مصادمة قوية بمعزل عن الهروب وهذه المصادمة هي التي تستسهل الخطر وتخترق المانع لبلوغ الوطر ينتج منها ثمرتان الاولى انها تلقى الحيرة في عقول الرجال والثانية ان عاقبتها دائما تفرغ الفزع في قلوب الاعداء ولو كانوا من الابطال ولو شاهدت عيناك ما شاهدته من ان الفرسان العثمانية ترعب الانسان بمجرد منظرها المرعب وبسرعة اقتحامها المدهش المعجب ومشيها على صوت الالحان الوحشية وصهيل الخيول الكردية ونزولها كالصواعق على المشاة الموسقوبية لحكمت مثلي بان هذه الحرابة تطول وان اضطرام نارها قل ان يزول أو ليس ان

للدولة العثمانيـة فرساناً عظيمة مرتبة بترتيب عجيب وهمة علية بنظام غريب أو هل ينكر أحد ان رجالهم متمرنون على ركوب الخيل وان خيولهم على أصل خلقتهم الوحشية طائعة لسيدها في الاقدام والاحجام يبلغ عليها فى الحرابة المقصود والمرام فياويح العساكر القرابة التي يلتحم صفها بصف هذه الخيول المركوبة لهؤلاء الفحول الذين لهم زيادة عن قوتهم الجهادية دعامة غيرتهم الاسلامية والوطنية وهذه مزية لا توجد يقيناً في عساكر الموسقو ثم ازدحام الخلائق فيأوقات الحروب له تدبير صحيح ولكن فى هذه الواقعة لا يجهل انسان ولو كان من القزاق ان الفخر لعساكر الاسلام وهـذا الخبر ربما ظهر لك انه عجيب من مثلى خصوصاً وأنا قد جئت متطوعا في عسكر الموسقو لاشاركهم في اقتحام الاخطار وأقتسم معهم الفخار ولكن لما وصلت الي هنا ظهر لي ان الظن قد خاب واني قد حدت عن الصواب ورأيت أعداءنا الذين كنا نتهمهم بحقارة الرتبة والرداءة هم الليوث الضراغم ليس لهم شيء من الدناءة بل هم أقرب الى قبول التأدب والظرافـة من الافرنج واعلم يا أخي ان غيرتي على خلاص الاروام من يد العثمانيـة لم تنقص شيا ولـكن أقول ليت شعري هل تلزم الغارة على اسلامبول فى خلاصهم أو ليس مما يحسر عليه ان ماخسرناه فيأخذ مدينة ابرائل من العساكر كان يكفي وحده في فك أسر الاروام وتحرير رقابهم وتقليـل سفك دمائنا بعساكر الاسلام وقد أسرنا عن قريب أحد ضباط العساكر العثمانية وكان شاباً بديع الصورة كثير الجروح فعفى عساكرنا عن قتله ولم يكن ذلك لغيره ورقوا لملاحته وجراحته فخاطبته باللغة الايطاليانية ففهم مقالي وأجاب سؤالي وأخبرني بان أباه له من العمر الآن ثمانون سنة وله

اخوان في خدمة حسين باشا لاشك في نصرة الدولة العثمانية بل يقول
ان الترك يصلون الى موسقو واعلم يا أخي ان في شملا نحو مائتي الف
محارب ويتجدد عليها كل يوم وسلطانهم بطل عظيم عن يقين وها أنا
الآن أطوي لك كتابي لاضع قدمي في ركابي فالآن عساكر الاعداء
تحارب في طالعة جيشنا وانا بين دوي الخان الترك وعجيج أصوات
الروس غريق وهذه حرابة مهولة ان نظرت بعين التحقيق

الفصل السادس

في الامتحانات التي صنعت معي في مدينة باريس خصوصاً في الامتحان
الاخير الذي أعقبه رجوعي الى مصر اعلم ان من عادة الفرنساوية أن
لا يكتفوا في العلم بمجرد شهرة الانسان بالفهم أو الاجتهاد أو بمدح المعلم
في المتعلم بل لا بد عندهم من أدلة واضحة محسوسة تفيد الحاضرين في
الامتحان قوة الانسان والفرق بينه وبين أمثاله وهذا يكون بالامتحانات
العامة يحضرها العام والخاص بدعوة مثل دعوة الولائم عادة وهناك
امتحانات خاصة وهي ان يمتحن المعلم تلامذته كل أسبوع أو شهر ليعلم
قوة زيادتهم في ذلك الاسبوع أو الشهر وليكتب مفاد ذلك الى آبائهم
فكنا في البنسيونات بهذه المثابة وكل سنة يصنع معنا الامتحان العام
بحضرة أعيان الفرنساوية فاول بحث صنع معنا كان أغلبه ومداره على
اللغة الفرنساوية وقد جرت العادة عندهم بانهم يعطون هدية امتحان
للبارعين في الجواب المتميزين عن غيرهم ففي أول امتحان عام بعث لي
مسيو جومار كتاباً يسمى رحلة انخرسيس في بلاد اليونان سبعة مجلدات
جيدة التجليد مموهة بالذهب يصحبها هذا المكتوب الذي صورته مترجماً

أول يوم فى شهر اغسطس ١٨٢٧ من الميلاد قد استحقيت هدية اللغة الفرنساوية بالتقدم الذى حصلته فيها وبالثمرة التي نلتها في الامتحان العام الاخير ولقـد حق لى أن أهني نفسي بإرسالى لك هـذه الهدية من الافندية النظار دليلا على التفاتك في التعليم ولا شك ان ولى النعمة يسر متى أخبر ان اجتهادك وثمرة تعليمك يكافئان للمصاريف العظيمة التي يصرفها عليك في تربيتك وتعليمك وعليك مني السلام مصحوباً بالمودة وقوله فى الامتحان الاخير المراد أنه آخر بالنسبة لما قبله وهدية الامتحان تشبه ان تكون جائزة مثل جائزة الشعرا وفى الامتحان العام الثاني بعث لى هدية الامتحان كتاب الانيس المفيد للطالب المستفيد وجامع الشذور من منظوم ومنثور مؤلفه مسيو دساسي وصحبته هذا المكتوب* وصورته مترجما باريس ١٥ في شهر مارث سنة ١٨٢٨ من الميلاد قد استحقيت هدية النحو الفرنساوي بالتقدم الذي حصلته فى هذه اللغة وبالثمرة التي نلتها في الامتحان العام الاخير ولقد سرني انك استحقيت أن أبعث لك علامة السرور منك ليقوي قلبك وها أنا باعث جدول امتحانك لسعادة ولى النعم باجتهادك وفلاحك ولا شك انه يسر بانك تشتغل مع ثمرة وانك أهل لرعايته لك واعتنائه بتربيتك وتعليمك وعليك مني السلام وفى هذين الامتحانين أخذت هـدية الامتحان وأما صورة الامتحان الاخير الذي به رجعت الى مصر ان مسيو جومار جمع مجلساً فيه عدة أناس مشاهير ومن جملتهم وزير التعليمات الموسقوبي رئيس الامتحان وكان القصد بهذا المجلس معرفة قوة الفقير في صناعة الترجمة التي اشتغلت بها مدة مكثي فى فرانسا وصورة ماتحصل من الامتحان وكتبه الفرانساوية في وقائع العلوم مانصه وصورة التلميذ رفاعة انه قرئ في المجلس دفتران

الدفتر الأول يشتمل على تعديد اثنى عشر ترجمة من اللغة الفرنساوية الى العربية ترجمها المذكور من منذ سنة وهذه أسماؤها * الاول نبذة في تاريخ اسكندر الاكبر مأخوذة من تاريخ القدما * الثاني كتاب أصول المعادن * الثالث رزنامه سنة ١٢٤٤ من الهجرة ألفه مسيو جومار لاستعمال مصر والشام متضمناً لشذرات علمية وتدبيرية * الرابع كتاب دائرة العلوم في أخلاق الامم وعوائدهم * الخامس مقدم جغرافيه طبيعيه مصححه على مسيو دهنبلض * السادس قطعة من كتاب ملطبرون في الجغرافيه * السابع ثلاث مقالات من كتاب لجندرة في علم الهندسه * الثامن نبذة في علم هيأة الدنيا * التاسع قطعة من علميات رؤساء ضباط العسكرية * العاشر أصول الحقوق الطبيعية التي تعتبرها الافرنج * الحادى عشر نبذة في الميثولوجيا يعني جاهلية اليونان وخرافاتهم * الثاني عشر نبذة في علم سياسات الصحة * الدفتر الثاني يشتمل على رحلته وذكر سفره ثم أحضر له عدة تأليف مطبوعة في بولاق فترجم منها مواضع بسرعة ثم قرأ بالفرنساوي مواضع منها ما هو صغير ومنها ما هو كبير في كازيطة مصر المطبوعة في بولاق ثم بحث معه في ترجمة العلميات العسكرية المترجمة له فكان بعض الحاضرين بيده الاصل الفرنساوى والشيخ بيده الترجمة ثم انه يترجم العربية بالسرعة الى الفرنساوية قراءة لا كتابة ليقابل عبارة الترجمة مع عبارة الاصل وقد تخلص على وجه حسن من هذا الامتحان فادى العبارات حقها من غير تغيير في معني الاصل المترجم ولكن ربما أحوجه اصطلاح اللغة العربية ان يضع مجازا بدل مجاز آخر من غير خلل في المعني المراد مثلا في تشبيه أصل علم العسكرية بمعدن مشبع يستخرج منه كذا غير العبارة بقوله علم العسكرية بحر عظيم تستخرج منه

الدرر وقد اعترض عليه في الامتحان بانه بعض الاحيان قـد لايكون
في ترجمته مطابقة تامة بين المترجم والمترجم عنه وانه ربما كرر وربما
ترجم الجملة بجمل والكلمة بجملة ولكن من غير أن يقع في الخلط بل
هو دائما محافظ على روح المعني الأصلى وقد عرف الشيخ الآن انه
اذا أراد أن يترجم كتب علوم فلا بد له أن يترك التقطيع وعليه أن
يخترع عند الحاجة تعبيراً مناسباً للمقصود وقد امتحن في كتاب آخر
وهو مقدمـة القاموس العام المتعلقة بالجغرافية الطبيعية وهذا الـكتاب
ترجمه هو الى العربية ولما كان وقت ترجمة هذا الكتاب لم يصل الى
درجته الآن في اللغة الفرنساوية كانت ترجمته دون ترجمة الكتاب
الذي بحث معه فيه قبله وكان عيبه انه لم يحافظ على تأدية عبارة الاصل
بجميع أطرافها وعلى كل حال فلم يغير في المعني شيأ بل طريقته في الترجمة
كانت مناسبة فتفرق أهل المجلس جازمين بتقدم التلميذ المذكور ومجمعين
على أنه يمكنه أن ينفع فى دولته بان يترجم الـكتب المهمة المحتاج اليها
في نشر العلوم والمرغوب في تكثيرها في البـلاد المتمدنة ولا شك أن
بعض هذه الكتب قد يحتوى على أشكال والعطار من أهل بلاده يشتغل
بالطباعة على الاحجار لاجل ذلك وقدكان حاضراً في المجلس فقدم لاهل
المجلس عدة عينات مطبوعة بيده على الحجر من تصوير وكتابة عربية
وفرنساوية وقد ابتدأ في معرفة تسيير الشوكة للنقش والقلم للكتابة
وقلم الشعر لكتابة التصوير وفي تصويراته توجـد حيوانات وأمور
عمارات وغير ذلك من الامور المصنوعة بالخطوط من غير ظل ولكنه
جاء في فرانسا كبير السن فلم يمكنه أن يصور تصويراً صحيحاً خالياً عن
جميع العيوب ولـكن يمكنه أن يعرف معرفـة تامة طريق الطباعة على

الحجر علماً وعملا وينسخ عينات التصوير التي تعطي له ويطبعها بنفسه
عند الحاجة ويمكنه أن يتأهل لفتح دار للطباعة ونظارتها وقد ترجم
مختصرا في صناعـة الطباعة بالحجر وكتبها على الحجر وطبعها بيده
وكانت نسخة منها موضوعة على باش تختة مسـيو جومار انتهى كلام
كازيطة دائرة العلوم وكتب لى مكتوب تهنئة برجوعى الى مصر بعد
تحصيل المرام غير أن هذا المـكتوب قد ضاع مني وكان لا بأس بذكره
هنا وصورة ترجمة ما كتبه لى مسيو شواليه وهو أشبه باجازة وشهادة
لى وزارة الحرب يقول الواضع اسمه فيه شواليه تلميذ قديم من تلامذة
مدرسة العلوم المسماة بلوتكنيقا الضابط المهندس المـكتوب فى وزارة
الحرب الوكيل من طرف مسيو جومار والافندية النظار بالارشاد الى
تعليم مسيو الشيخ رفاعة أشهد أني مدة نحو الثلاث سنوات ونصف
التى مكثها التلميذ المذكور عندي لم أر منـه الا أسباب الرضاء سواء
فى تعليمه أو في سلوكه المملوء من الحـكمة والاحتراس وحسن خلقه
ولين عريكته وقد قرأ معي في السنة الاولى اللغة الفرنساوية والقسمغرافيا
انتهى وفيما بعدها الجغرافيا والتاريخ والحساب وغير ذلك ولما كان خاليا
عن الاستعداد والخفة اللازمين لتعلم الرسم مع ثمرة لم يشتغل به الامرة
في كل أسـبوع لمجرد امتثال أوامر ولى النعم ولـكن صرف جهده مع
غاية الغيرة في الترجمة التي هي صنعته المختارة له وأشغاله فيها مبينة في
اعلاماتي الشهرية خصوصا في الجرنالات الاولى التي أعطيتها لمسيو جومار
وحسب هذا التلميذ مافي هذه الاعلامات والجرنالات ومما ينبغي التنبيه
عليه أن غيرة مسيو الشيخ رفاعة تناهت به الي أن أدته الى أن شغله
مدة طويلة في الليل تسبب عنه ضعف في عينه اليسار حتي احتاج الى

الحكيم الذي نهاه عن مطالعة الليل ولكن لم يمتثل لخوف تعويق تقدمه ولما رأى أن الاحسن فى اسراع تعليمه أن يشترى الكتب اللازمة له غير ماسمح به الميرى وأن يأخذ معلما آخر غير معلم الميري أنفق جزأ عظيما من ماهيته المعدة في شراء كتب وفي معلم مكث معه اكثر من سنة وكان يعطيه الدرس فى الحصة التى لايقرأ معى فيها وقد ظننت أنه يجب على وقت سفره أن أعطيه هذا الاعلام الموافق لما فى الواقع ونفس الامر وان أضيف الى ذلك الافصاح عما في ضميرى من كمال اعتقاد فضله ومحبته مسيو شواليه ٢٨ فى شهر فبريه سنة ١٨٣١

المقالة الخامسة فى ذكر ماوقع من الفتنة فى فرانسا وعزل الملك قبل رجوعنا الي مصر وانما ذكرنا هذه المقالة لانها تعد عند الفرنساوية من أطيب أزمانهم وأشهرها بل ربما كانت عندهم تاريخاً يورخ منه

(الفصل الاول فى ذكر مقدمة يتوقف عليها ادراك علة)
(خروج الفرنساوية عن طاعة ملكهم)

اعلم ان هذه الطائفة متفرقة في الرأى فرقتين اصليتين وهما الملكية والحرية والمراد بالملكية اتباع الملك القائلون بانه ينبغي تسليم الامر لولى الامر من غير أن يعارض فيه من طرف الرعية بشيء والاخرى يميلون الى الحرية بمعنى انهم يقولون لاينبغي النظر الا الى القوانين فقط والملك انما هو منفذ للاحكام على طبق مافي القوانين فكأنه عبارة عن آلة ولا شك ان الرأيين متباينان فلذلك كان لااتحاد بين أهل فرانسا لفقد الاتفاق فى الرأي والملكية اكثرهم من القسوس واتباعهم وأكثر الحريين من الفلاسفة والعلماء والحكماء وأغلب الرعية فالفرقة الاولى تحاول

اعانة الملك والاخرى ضعفه واعانة الرعية ومن الفرقة الثانيـة طائفة عظيمة تريد ان يكون الحكم بالكلية للرعية ولا حاجة الى ملك أصلا ولكن لما كانت الرعية لاتصلح ان تكون حاكمة ومحكومة وجب ان توكل عنها ماتختاره منها للحكم وهذا هو حكم الجمهورية ويقال للكبار مشايخ وجمهور وهذا مثل مصر فى زمن حكم الهمامية فكانت امارة الصعيد جمهورية الترامية فعلم من هذا ان بعض الفرنساوية يريد المملكة المطلقة وبعضهم يريد المملكة المقيدة بالعمل بما في القوانين وبعضهم يريد الجمهورية وقد سبق للفرنساوية انهم قاموا سنة ١٧٩٠ وحكموا على ملكهم وزوجته بالقتل ثم صنعوا جمهورية وأخرجوا العيلة السلطانية المسماة البربون من مدينة باريس وأشهروهم مثل الاعدا ولا زالت الفتنة باقية الاثر الى سنة ١٨١٠ ثم تسلطن بونابارته المسمى نابليون وتلقب بسلطان سلاطين ثم لما كثرت حراباته وكثر أخذه للممالك وخيف باسه وبطشه تعاهد عليه ملوك الافرنج ليخرجوه من المملكة فاخرجوه منها مع محبة الفرنساوية له وأرجعوا البربون الى محلهم رغما عن انف الملة الفرنساوية فكان أول من تسلطن منهم لويز الثامن عشر ولاجل ترغيب النـاس في حكمه وتمكين ملكه صنع قانونا بينه وبين الفرنساوية بمشورتهـم ورضائهم والزم نفسه ان يتبعه ولا يخرج عنه وهو الشرطة وقد ذكرناها مترجمة في باب سياسة الفرنساوية ولا شك ان وعد الـكريم الزم من دين الغريم وقد جعل هـذا القانون له ولمن بعده من ورثة مملكة الفرنساوية وانه لايزاد فيه ولا ينقص الا اذا اتفق عليه الملك وديوان البير وديوان وكلاء الرعية فلا بد من الديوانين والملك ويقال انه صنع ذلك على غير مراد أهله وأقاربه وهم يحبون التصرف المطلق في الرعية

ويقال انهم تعصبوا عليه وكان رئيس العصبة أخاه شرل العاشر حتى انه أطلع على مااخفاه له فابطله ويقال ان شرل العاشر أراد في كبر لويز الثامن عشر ان ينقض ذلك القانون ويرجع الى طريق اطلاق التصرف فلم يمكنه ذلك ثم بعد موت أخيه اظهر شرل الحيلة وأبطل ما كان نواه وأظهر انه لايريد شيأ من ذلك وجوز لكل انسان ان يبدي في الكازيطات رأيه بالكتابة من غير ان ينظر فيه قبل طبعه واظهاره فصدق الناس كلامه واعتقدوا انه لايخلف وعده بل فرحت سائر الرعية بتدبيره ومشيه على القوانين ثم انه انتهى أمره الى ان هتك القوانين التي هي شرائع الفرنساوية وخالفها وقبل هتكه للشريعة بانت منه امارتها بمجرد تقليده الوزارة للوزير بولنياق وهو معلوم المذهب والتدبير يعني انه يميل الى كون الامر لايكون الا للملك ويقال ان هذا الوزير هو ابن زنا زنت أمه بهذا الملك فولدته منه فهو في الحقيقة أبوه وشهير بالظلم والجور ومن الحكم التي في غاية الشيوع ان ظلم الاتباع مضاف الى المتبوع وفي الحديث من سل سيف الجور سل عليه سيف الغلبة ولازمه الهم وقال الشاعر

من انصف الناس ولم ينتصف * بفضله منهم فذاك الامير
ومن يرد انصافه مثلما * انصف اضحى ماله من نظير
ومن يرد انصافه وهولا * ينصفهم فهو الدني الحقير

ولما كان هذا الوزير سابقاً ايلچيا ببلاد الانكليز من طرف الفرنساوية يعني رسولا للتصالح بين الدولتين كانت الفرنساوية تنسب اليه كلما خالف مذهب الحرية وكلما شاع عنه انه راجع الى فرانسا يظن جميع الناس انه لايأتي الا ليتقلد منصب الوزارة ويغير القوانين فلذلك كان يبغضه سائر أرباب الحرية وأغلب الرعية وقد عرف الفرنساوية من قبل

ان اختياره للوزارة كان مقصودا لهم وقد حصل بعد توليته بنحو سنة .وقد قلنا فيما سبق ان ديوان رسل العمالات الذين هم وكلاء الرعية يجتمعون كل سنة للمشورة العمومية فلما اجتمع هذا الديوان عرضوا على الملك ان يعزل هذا الوزير ومن معه من الوزرا الستة فلم يصغ لكلامهم أصلا وقد جرت العادة ان ديوان المشورة يعمل فيه جميع الاشياء بمقالة أكثر أربابه وكان المجتمع في هذا الديوان للمشورة في قضية الوزراء أربعماية وثلاثون نفسا منها ثلاثماية لا يرضون بابقاء الوزراء .ومنهم ماية وثلاثون يحبون ابقاءهم فكان العدد الاكثر عليهم والعدد الاقل لهم فتيقنوا عزلهم وكان الملك يحب ابقاءهم لاستعانته بهم على تنفيذ ما اضمره في نفسه فابقاهم ثم خرم القانون بعدة أوامر ملكية فكانت عاقبتها خروجهم واخراجهم له من بلادهم معزولا فهو كما قال الشاعر

لم يدر ما يجني عليه القول * ولا لما ذا امره يؤول
يلقى الكلام كيف ما القاه * لم يحسن الفكرة في عقباه
وهكذا التهوير في المقال * وصحبة الاشرار والجهال
يخفضك الجاهل اني رفعك * يرديك وهو زاعم ان ينفعك

* الفصل الثاني في ذكر التغييرات التي حصلت وما ترتب عليها من الفتنة *

قد سبق لنا من القوانين السالفة في الكلام على حقوق الفرانساوية في المادة الثامنة انه لا يمنع انسان في فرانسا ان يظهر رأيه ويكتبه ويطبعه بشرط أن لا يضر ما في القوانين فان أضر به أزيل فما كان سنة ١٨٣٠ واذا بالملك قد أظهر عدة أوامر منها النهي عن ان يظهر الانسان رأيه وان يكتبه أو يطبعه بشروط معينة خصوصاً الكازيطات اليومية فانه

لابد في طبعها من أن يطلع عليها أحد من طرف الدولة فلا يظهر منها الا ما يريد اظهاره مع ان ذلك ليس حق الملك وحده فكان لا يمكنه عمله الا بقانون والقانون لا يصنع الا باجتماع أراء ثلاثة رأي الملك ورأيي أهل ديواني المشورة يعني ديوان البير وديوان رسل العمالات فصنع وحده مالا ينفذ الا اذا كان صنعه مع غيره وغير أيضاً في هذه الاوامر شيئاً في مجمع احتيار رسل العمالات يعني في الذين يختارون رسل العمالات ليبعثوها في باريس وفتح ديوان العمالات قبل ان يجتمع مع انه كان حقه أن لا يفتحه الا بعد اجتماعهم كما فعله في المرة السابقة وهذا كله على خلاف القوانين ثم ان الملك لما أظهر هذه الاوامر كانه أحس في نفسه بحصول مخالفة فاعطى المناصب العسكرية لعدة رؤسا مشهورين بانهم أعداء للحرية التي هي مقصد رعية الفرنساوية وقد ظهرت هذه الاوامر بغتة حتى ظهر ان الفرنساوية كانوا غير مستعدين لها وبمجرد حصول هذه الاوامر قال غالب العارفين بالسياسات انه يحصل في المدينة محنة عظيمة يترتب عليها مايترتب كما قال الشاعر

أرى بين الرماد وميض جمر * ويوشك ان يكون له ضرام
فان النار بالعيدان تذكو * وان الحرب أولها الكلام

ففي مساء اليوم الذي ظهرت فيه هذه الاوامر في الكازيطات أخذ الناس في الحركة بقرب المحل المسمى بالروايال يعني السراية السلطانية التي سكنها عيلة أقارب الملك المسماة عيلة اورليان التي الملك الآن منها وهذا الوقت ظهر الغم على وجوه الناس وكان هذا يوم السادس والعشرين في شهر يوليه وفي يوم السابع والعشرين لم يظهر غالب الكازيطات الحرية لعدم رضائها بالشروط فلذلك بلغت الاوامر جميع الناس وحصلت حركة

عظيمة بعدم ظهور الـكازيطات التي من عادتها انها لا تفتر عن الظهور الا لمهم عظيم فاغلقت الورشات والمعامل والفبريقات والمدارس فظهر بعض كازيطات الحرية آمرة بعصيان الملك والخروج من طاعته ومعددة لمساويه وفرقت على الناس من غير مقابل وبهذه الديار بل وفي غيرها قد يبلغ الـكلام حيث تقصر السهام خصوصاً مادة الخطابات فانها قوية وخصوصاً بلاغة الانشا فلها مدخلة عظيمة كما قيـل ان نزل الوحي على قوم بعد الانبيا نزل على بلغاء الـكتاب خصوصاً اذا كان ما يذكر في تلك اليوميات مقبولا عند العامة ومقصوداً عند الخاصة فان هذا هو عين البـلاغة الصحيحة فانها ما فهمته العامة ورضيت به الخاصة فلما سمع بذلك ولاة الحسبة حضروا في المحال العـامة ومنعوا الناس من قراءة هـذه الـكازيطات وحاصروا مطابعها وهموا بكسر آلات الطباعة وكسروا بعضها وحبسوا من اتهموه من الطباعين وبهدلوا كثيراً مما أظهر شيئاً مخالفاً لترتيب الملك من الرعيـة وهذا أيضاً ممـا قوى غضب الفرنساوية فكتب ارباب هذه الكازيطات يعني رؤساء الفرنساوية الذين هم يكتبون فيها آراءهم ورقة انكار واشهروها وعددوا نسخها والصقوها بجدران المدينة وامروا فيها الرعية بالحرب وعينوا محله وكان الميعاد في درب سراية بالبروايال فاذدحم فيه كثير من الامم وفيما حوله من الحارات فكانت العساكر السلطانية تحاول تفريق هذه الزحمات فعظم دوي الرعية وكثرت اصواتهم وظهر غضبهم في سائر الدروب والحارات فهجم العسكر على الرعية والتحم القتال بين الفريقين فكانت الرعية تقاتل اولا بالاحجار والعساكر بالسيوف وآلات الحرب فكثر القتال وعظمت المطاردة من الجانبين ثم بحث الرعية عن آلات الحرب وظهر صوت

البارود من الجانبين فى مدينة باريس فكانما لسان حال الفرنساوية الذي هو اصدق من لسان مقالهم جمل يقول * ان بني عمك فيهم رماح * فعظم القتال وكان اكثر المقتول من الرعية فاشتد غضبهم وعرضوا القتلى فى المحال العامة لتحريض الناس على القتال واظهار عيوب العساكر وقامت انفس الناس على ملكهم لاعتقادهم انه امر بالقتال فما مرت بهذا الوقت حارة الا وسمعت فيها السلاح السلاح ادام الله الشرطة واهلك شدة الملك فمن هذا الوقت كثر سفك الدماء واخذت الرعية الاسلحة من السيوفية بشراء او غصب واغلب العملة والصنائعية خصوصاً الطباعين هجموا على القرقولات وخانات العساكر واخذوا منها السلاح والبارود وقتلوا من فيها من العساكر وخلع الناس صورة علامة الملك من الحوانيت والمحال العامة وعلامة ملك الفرنسيس هي صورة زهر الزنبق كما ان علامة ملك الاسلام صورة هلال وملك الموسقوبية صورة عقاب وكسروا قناديل الحارات وقلعوا بلاط المدينة وجمعوه في السكك المطروقة حتي يتعذر مشي الفرسان عليه ونهبوا جبخانات البارود السلطانية فلما اشتد الامر وعلم الملك بذلك وهو خارج امر بجعل المدينة محاصرة حكما وجعل قائد العسكر اميرا من اعداء الفرنساوية مشهورا عندهم بالخيانة لمذهب الحرية مع ان هذا اخلاف الكياسة والسياسة والرياسة فقد دلهم هذا على ان الملك ليس جليل الرأي فانه لو كان كذلك لاظهر امارات العفو والسماح فان عفو الملك ابقى للملك ولما ولى على عساكره الا جماعة عقلاء احبابا له وللرعية غير مبغوضين ولا اعداء ولكن اراد هلاك رعاياه حيث نزلهم بمنزلة اعدائه مع ان استصلاح العدو احزم من استهلاكه ويحسن قول بعضهم

عليك بالحلم وبالحياء * والرفق بالمذنب والاغضاء
ان لم تقل عثرة من يقال * يوشك ان تصيبك الجهال

فعاد عليه ما فعله بنقيض مراده * وبنظير ما نواه لاضداده * فلو انهم في اعطاء الحرية * لفرقة بهذه الصفة حرية * لما وقع في مثل هذه الحيرة * ونزل عن كرسيه في هذه المحنة الاخيرة * سيما وقد عهد الفرنساوية بصفة الحرية والفوها واعتادوا عليها وصارت عندهم من الصفات النفسية وما احسن قول الشاعر

وللناس عادات وقد الفوا بها * لها سنن يرعونها وفروض
فمن لم يعاشرهم على العرف بينهم * فذاك ثقيل عندهم وبغيض

وفي اليوم الثامن والعشرين اخذت الرعية من يد العساكر محلا يسمى دار المدينة الذى هو محل شيخ مدينة باريس فعند ذلك ظهر الحفر الجنسى يعني ورديان الرعية وهم عساكر كانت سابقا تخفر الاهالي كما ان للملك عساكر ورديان تخفره وقد كان عزلهم الملك شرل العاشر فلما وقعت الفتنة ظهروا ليانعوا عن الرعية فاشهروا اسلحتهم للقتال وطردوا سائر العساكر من محالهم وحرقوا كثيرا منها وفي هذه الاوقات ارتفعت المحاكم وصار الحاكم هو الرعية ولم يمكن للدولة عمل شيء فقد بذلت ماعندها من القوة لاخماد ذلك وتسكينه فلم تقدر عليه فكانت جميع القواصة متحركة والطبجية معينة لاثني عشر الفا من الورديان السلطاني وستة آلاف من عساكر الصف فكانت جملة العساكر السلطانية ثمانية عشر الف نفس غير الطبجية والقواصة وكان من يحمل السلاح من الرعية أقل من هذا العدد ولكن من لايحمل السلاح يحارب بالاحجار أو يعين المتسلح وبعد أخذ دار المدينة وسلب مدفع من العساكر الحربية ظهر انهزام سائر العساكر السلطانية بالبلدة ثم ذهبوا الى محل

يقال له لوفر والى قصر التولري وهو سراية الملك ووقع الحرب فيهما بين العساكر وأهل البلد وبينما هم في الحرابة بهذا المحل اذ انتشر البيرق المثلث الالوان الذي هو علامة الحرية على الكنائس وأعليا كل القامة ودقت النواقيس الكبيرة لاعلام سائر الناس داخل وخارج باريس من أهل المدينة أو غيرها بطلب حمل السلاح منهم للاستعانة على العساكر فلما رأت العساكر ان النصرة للرعية وان ضرب السلاح على أهل بلادهم وأقاربهم عار عليهم امتنع أغلبهم وعزل كثير من رؤسائهم نفسه من منصبه وفي اليوم التاسع والعشرين في الصباح ملكت أهل البلد ثلاثة أرباع المدينة ووقع أيضاً في ايديهم قصر التولري واللوفر فملكوهما ونشروا عليهما بيرق الحرية فلما سمع بذلك صاري عسكر المأمور بادخال أهل باريس في طاعة السلطان رجع فكان هذا تمام نصرة أهل البلد حتى ان العساكر دخلت تحت بيرق الرعية ومن هذا الوقت نصب حكم وقتي وديوان موقت لنظم البلاد حتى يحط الرأي على تولية حاكم دائم وكان رئيس هذا الحكم الموقت صاري العسكر المسمى لفييته وهو الذي قاتل في الفتنة الاولى للحرية أيضاً وهذا الرجل شهير بانه يحب الحرية ويحامي عنها ويعظم مثل الملوك بسبب إتصافه بهذا الوصف وكونه على حالة واحدة ومذهب واحد في البوليتيقة وليس صاحب قريحة مستخرجا للعلوم من حيز العدم كغالب رجال الفرنساوية ومشاهيرهم خصوصاً في العلوم العسكرية ولكن أعظم الناس مقاما لاقريحة وفهما وليس المراد القدح في معرفته بل في انتهاء الرياسة اليه ومما يشاهد في سائر بلاد الدنيا ان التصدر ليس دائماً على قدر المعرفة وان كانت المعرفة موجبة له بالشرع والطبع ومن الغريب ان مثل هذا الأمر يقع أيضاً في البلاد

الحسنة التمدن وأظن ان هذا كله مصداق الحديث الشريف الذي هو ذكاء المرء محسوب عليه من رزقه وكما قال الشاعر

اذا ابصرت ذا فضل فقيرا * فلا تعجب لفقر في يديه
فقد قال النبي مقال صدق * ذكاء المرء محسوب عليه

وما أحسن قول الشاعر

ولو ان السحاب همى بعقل * لما اروى مع النخل القتادا
ولو اعطى على قدر المعالي * سقى الهضبات واجتنب الوهادا

الفصل الثالث

كيف كان يصنع الملك فى هذه المدة وفيما جرى بعد ذلك من رضائه بالصلح بعد فوات أوانه وفي خلعه المملكة على ابنه * اعلم ان أوامر الملك برزت منه وهو فى بلدة سنكلو على القرب من باريس فالفتنة حصلت في باريس والملك لم يكن بها ثم ان أهل المدينة بعثوا له ان يغير وزراءه وان يسترد اوامره ويسترجعها يعنى ان يكتب أمرا بانه أرجع اليه ما كان أمر به فلم يرض بذلك وأرسلوا اليه فى ذلك عدة وكلاء ليستعطفوه في ذلك ويترجوه فلم يفده كلامهم بل كان أضيع من دمع على طلل وأخبروه ان الرعية لا تريد ذلك ابدا وانه ربما ترتب عليه فساد أعظم من ذلك فاجاب بان كلامه غير قابل للتغيير والتبديل فلما تحقق عنده ان دولته قد اشرفت على الزوال بسبب عدم قبوله للمصالحة ارسل يطلب منهم ذلك بنفسه فاجابوه بانه لم يبق محلا للصلح وان اوان الصلح قد فات وانه لم يتبصر في العواقب ومن لم يتبصر في العواقب لقي النوائب وانه لم يدقق النظر والا لما حصل له ذلك وفي يوم الثلاثين من شهر

يوليــه اتفق رأي أهل مشورة رسل العمالات على ان يبعثوا يترجوا الدوق درليان قريب السلطان من بدنة ثانية بان يكون قائم مقام المملكة حتى تقع مشورة أخري على من يتولى مملكتهــم وكان خارج باريس فبمجرد ماوصله مااقتضاه نظر هذهالمشورة وصل الي باريس في الحادي والثلاثين ونزل في دار المدينة وأجاب برضائهبما صنعهأهل هذا الديوان وعند دخوله شرع يذكر عبارة عظيمة في السبب الحامل لهعلى الرضاء بذلك وملخصها انه قد حصل لي غاية التحسر على الامر الذي جعل باريس في هذه الحالة المسببة عن خرم القوانين او تفسيرها بمعنى بشع تحتمله عباراتها ولقد امتثلت وجئت بينكم لاخاص البلادمن الفشلولابد ان البس معكم علامة الثلاثة الوان التي قد لبستها كثيرا في أول عمري ثم ختم عبارته بقوله والشرطة تصير من هذا الوقت حقا يعنى انه يعمل بقوانين المملكة وتصــير متبعة لايحاد عنها لكونها حقا ولقــد صارت هذه الجملة عند الفرنساوية مثلا من الامثال والفاظها بالفرنساوية في غاية الحماسة ثم ان شرل العاشر ظن انه يمكنه التخلص من زوال مملكته بخلع المملكة على ابنه ونزوله عنها شعر

يودلو ان ايام الحمى رجعت * وقل ان رد شيء بعد ماذهبا

فما كان ذات يوم في سنكلو الا وخرج ابنه الدوفين فى ساحة وجمع فيها العساكر واعلمهم بان اباه ولاه ملكا فتلقت العساكر هذا الخبر باستخفاف وبغير اعتناء ثم ان الملك لما ولى ابنه سافر مع ديوانه وجلسائه في ليلة التاسع والعشرين في شهر يوليه وبقي الدوفين وحده ينتظر عاقبة توليته فاحضر جميع من معه من العساكر وسيرها قدامه ليري كيفيتها فلما اعلم انها لاترضي بالمحاربة معه نوى السفر وخرج من سنكلو فبعد عدة

ساعات من خروجه انتشر على قصر سنكلوا البيرق المثلث وهذا القصر
هو سراية السلطان في هذه البلدة فوصل السلطان واتباعه في رنبوليا اول
شهر اغسطس وفي اليوم الثاني من هــذا الشهر بعث شرل العاشر وابنه
الدوفين ورقة للدوق درليان قريبهما يذكر ان فيها انهما خلعا المملكة
على الدوق دبرد وحفيد الملك وابن اخ الدوفين وانهما جعلا الدوق
درليان وكيله ووليه حتى يبلغ رشده وطلبا منه في هذه الورقة ان يبعث
لهما جماعــة ليؤمنوهما في خروجهما من فرانسا فعرض الدوق درليان
ذلك على مشورة رسل العمالات فلم يرضوا بخـلع المملكة ورضوا بان
يبعثوا له عدة وكلاء من الكبار ليأمنوه في خروجه من فرانسا ثم
انه جاء الخبر في باريس ان الملك لم يرض الخروج حالا فوجهوا اليه جملة
من العساكر ليكرهوه حالا على الخروج فبمجرد سماعه بذلك اجاب بالخروج
متوجها الى بلاد الانكليز شعر

والدهر طورا بعز * يقضي وطورا بهون

وفي هذا الوقت كان أبن عمه قائم مقام المملكة بباريس فكان الامر والنهي له
ولدواوين المشورة فاول ماصنعه تقرير بقاء الثلاثة الوان التي هي علامة
على حرية الملة الفرنساوية ثم فتح ديوان مشورة العمالات وديوان مشورة
البير وقد جرت العادة انه عند فتح ديوان مشورة العمالات يحضر الملك
ويخطب على منبر بكلام فصيح يذكر فيه ماصنعه من التحسين في بلاده
وما هو عازم على فعله في سنته وما كان هذا الدوق قائما في هذا الوقت
مقام الملك صعد على المنبر يقول كلاما وجيزا مضمونه انه يتحسر على الخطر
الذي حصل لمدينة باريس عقب هتك قوانين المملكة ثم بعــد فراغه
سلم لديوان المشورة الورقة التي بعثها له شرل العاشر وابنه الدوفين المتضمنة

لخلعهما المملكة على الدوق دبردو وانهما يسميانه هري الخامس لانه تقدم في فرانسا اربعة ملوك كل منهم يسمى هري ثم خرج قائم مقام المملكة من المشورة وصار ديوان المشورة يفتح كل يوم للتدبير

(الفصل الرابع فيما انحط عليه رأي اهل المشورة وفيما ترتب)
(على هذه الفتنة من تولية الدوق درليان ملك الفرانساوية)

اعلم ان المشورة كانت تدبر حالة فرانسا المستقبلة وقد اسلفنا ان آراء الفرنساوية مختلفة حتى انهم في المشورة مختلفون في الموضع فمنهم الملكية يجلسون في الجهة اليمني والحريون في الجهة اليسري والتابعون لآراء الوزرا في الجهة الوسطي وكل منهم يقول رأيه من غير معارض له لان العبرة بكثرة الاصوات ولا زال هذا الامر معمولا به الى الآن ولم تغير الفتنة شيئاً من ذلك فكان اصحاب الآراء فرقتين فرقة تريد المملكة وفرقة تريد الجمهورية والفرقة الاولى منها من كان يريد تمليك الدوق دبرد وحفيد الملك القديم ومنهم من كان يريد تولية ابن نابليون الذي هو بونابارته ومنهم من كان يريد تمليك الدوق درليان قائم مقام المملكة وعيلة درليان هي العيلة الثانية الوارثة للمملكة بعد انقراض العيلة الاولى البكرية وهي عيلة البربون ثم انه ظهرت ورقة مطبوعة واصقت في الحارات والمشارع العامة مضمونها قد صح بالتجربة ان الجمهورية لاتناسب بلاد الفرنساوية واما الدوق دابردوا فتوليته تجعل الفرنساوية تحت حكم البربون فتقع الفرنساوية فيما فرت منه واما ابن نابليون فهو تربية قسيسين وهم اعداء الحرية فتعين الدوق درليان انتهت وقد دبرت المشورة عدة مواد انحط عليها الرأى المادة الاولى * ان الكرسي فارغ حسا ومعني ولا حق لاحد فيه فلابد من شغله

باحد * الثانية * من اغراض الفرنساوية ومن مصالحهم ان تحذف العبارات الدالة على الاستعلا من الشرطة التي هي كتاب قوانين المملكة لان بقاءها بهذه الكيفية يحط بمقام الرعية الفرنساوية ولا بد ان يحذف من الشرطة بعض المواد الغير اللائقة وتبدل بغيرها حتى تكون مصلحة على ماتقتضيه الحال الراهنة ثم بعد تمام ذلك يطلب ديوان مشورة وكلاء الرعية ان المصلحة العامة اللازمة حالا لجميع الفرنساوية ان يترجي حضرة سعادة الدوق درليان لويز فليب قائمقام المملكة لان يكون مالكا وتكون مملكته وراثة بعده لاولاده الذكور ثم بعده لا كبر أولاده وهكذا يعني ان الملك اذا مات انتقلت المملكة لا كبر أولاده فاذا مات وحصل له عذر كانت لابنه الاكبر وهكذا وان يقبل المملكة ويرضى بالشروط وبصيغة المبايعة التي تعينها له أهل المشورة وان يلقب ملك الفرنساوية لاملك فرانسا والفرق بينهما ان ملك الفرنساوية معناه كبير على نفس الاشخاص بجعلهم له ملكا بخلاف ملك فرانسا فان معناه ان أرض فرانسا مادامت باقية فهو سيدها وملكها ولا منازع له من أهل بلاده فيها وسبب ذلك ان الملوك السالفين كانوا يلقبون ملوك فرانسا وكان اذا كتب الواحد منهم يقول ماصورته أنا فلان بفضل الله تعالى ملك فرانسا ونوار على كل من يرى هذه الاوامر الحاضرة سلام قد أمرنا ونأمر بما سيأتي لنا وقوله ملك فرانسا ظاهر وأما قوله ملك نوار فانهذا لقب اصطلاحي له لمجرد الشرف وسبب ذلك ان أسلاف ملك فرانسا كانوا يحكمون على مملكة نوار ثم انتقلت منهم الى ملوك اسبانيا فصارت حصة منها وبقي اللقب لملك فرانسا وأما ملك الفرنساوية فانه يقول فى كتابته أنا فلان ملك الفرنساوية مني السلام على من حضر فى الحال والاستقبال قد أمرنا

ونأمر ففرق بين عبارة الاول والثاني فان الاول جعل نفسه ملك مجموع فرانسا ونوار بانعام الله سبحانه وتعالى عليه والثاني جعل نفسه ملك الفرنسيس ولم يقل بفضل الله ولقد تحاشى عن ان يقول ذلك لارضاء الفرانساوية فانهم يقولون انه ملك الفرنسيس بارادة ملته وتمليكهم له الا ان هذه خصوصية خص الله سبحانه وتعالى بها عيلته من غير ان يكون لرعيته مدخلية فظهر من هذا ان قوله بفضل الله معناه عندهم باستحقاقه لذلك بولادته ونسبه كما ان قوله ملك فرانسا معناه صاحب الارض والسلطنة عليها والا فلو كان عندنا لاستوت العبارتان فان كون الملك ملكا باختيار رعيته له لاينافي كون هذا صدر من الله تعالى على سبيل التفضل والاحسان ولا فرق عندنا مثلا بين ملك العجم وملك أرض العجم ثم بعد تمام المشورة بعث اليه أهلها عدة رسل فقرأ عليه رئيس الرسل ما اتفق عليه أهل ديوان المشورة فاجاب حالا بقوله قد سمعت والقلب في اضطراب ماعرضتموه عليّ من خلاصة مجلس المشورة من انتخابي للمملكة ولقد صح عندي ان عبارتكم الصادرة عنكم هي أيضاً عبارة لسان حال الرعية بتمامها وظهر لي أن ماصنعتموه في القوانين يناسب ماذهبت اليه في السياسات التي مارستها مدة حياتي ولكن حصل لي من ذلك انفعال عظيم لانني لست أنسى مدة حياتي ما قاسيته سابقاً من الاهوال حتى انني كنت عزمت على أن لا أطمع أبداً في قضية السلطنة ونويت على أن أعيش خاملا مرتاحا بين عيالى ولكن حبي لعمار بلادي غلب ذلك فهو جدير بان اوثره عليه حيث قد أيقنت ان الضرورة دعت اليه ثم انه عين اليوم الذي يتتوج فيه في ديوان رسل العمالات فلما جاء اليوم الموعود جاء في الساعة المتفق عليها بموكب عظيم من غير

خفر سلطاني ومن غير جاساء وقدجرت عادة ملوكهم بان زينة الموكب انما هي بذلك وكل مامشى خطوة حياه جميع الناس من الجوانب بقولهم حفظ الله الدوق درليان حفظ الله الملك فلما دخل الديوان ركب مصطبة بقرب الكرسي وسلم على أهل المجلس ثلاث مرات ثم جلس على دكة امام الكرسي ابنه الاكبر عن يمينه والثاني عن يساره وخلفه أربع وزرا في العسكرية يلقبون بالمارشالات جمع مارشال وهو أعلى مراتب العسكرية عند الدولة الفرنساوية وهو دائماً مضاف الى فرانسا فيقال مارشال فرانسا وبالفرنساوية مارشال دفرانسا والدال علامة على الاضافة بين المضاف والمضاف اليه مثل اللام المقدرة في الاضافة عندنا فعلامة الاضافة ظاهرة عند الفرنسيس ثم بعد جلوسه عزم على أهل ديوان البير وديوان رسل العمالات بالجلوس ثم طلب من رئيس الديوان ان يقرأ عليه الخلاصة التي عزم عليه أهل الديوانين فيها بالمملكة فلما فرغ الرئيس من قراءتها أجاب الدوق المذكور بقوله ياساداتنا قد سمعت مع التأمل خلاصة الديوانين وقد وزنت عبارتهما وأمعنت فيها النظر وأقول رضيت من غير شرط ولا تعليق بجميع الشرووط المذكورة في الخلاصة وبتلقيبي ملك الفرنسيس الذي أعطيتموه لي وها أنا حاضر مستعد للحلف والمبايعة على اني أحفظ ذلك ثم قام الملك مكشوف الرأس ورفع يده اليمنى وشرع يقول هذه الصيغة الآتية بترتيب وترتيل وبصوت ثابت من غير لجاجة وهذه الصيغة مترجمة أشهد الله سبحانه وتعالى على اني أحفظ مع الامانة الشرطة المتضمنة لقوانين المملكة مع مااشتملت عليه من التصليح الجديد المذكور في الخلاصة وعلى اني لا أحكم الا بالقوانين المسطورة وعلى طريقها وأن أعطي كل ذي حق حقه بما هو ثابت في

القوانين وأن أعمل دائماً على حسب ما تقتضيه مصلحة الرعية الفرنساويه وسعادتها وفخرها ثم صعد على كرسي المملكة وشرع يقول ياساداتنا قد حلفت في هذا الوقت يميناً عظيما وما جهلت بالواجبات المرتبة به علىّ مع عظمها واتساعها لما ان نفسي تحدثني اني أوفي بها وما قبلت المبايعه الا عن رضي وقد كنت عزمت على أن لا أركب ابدا الكرسي الذي أعطته لي الملة الفرنساوية ولكن لما رأيت ان فرانسا قد جرحت حريتها وتكدرت الراحة العامة بارضها وبهتك قوانين المملكة قد أشرفت على الفساد وجب نصب القوانين وكان ذلك من وظيفة ديوان البيرو ديوان رسل العمالات وقد وفيتم بذلك فما صنعناه من اصلاح الشرطة يستلزم الامن في المستقبل فشاء مولى ان فرانسا تصير مرتاحه في داخلها ومحترمة في خارجها والصلاح في بلاد أوروبا يزيد ثباتا فلما فرغ من كلامه صاحت الاصوات حفظ الله الملك لويز فليب الاول ثم سلم الملك على المجالس وخرج مصاحبا لمن رآه من أهل المجالس وغيرهم وركب حصانه ومشي وصار يصافح الناس عن يمينه وعن يساره وربما عانق كثيرا من الناس وكان موكبه مولفا من أهل البلد ومن خفر الملة المسمى الخفر الاهلي ولما دخل الليل نورت باريس بوقدة عظيمة وكان تملكه ٧ في شهر أغسطس سنة ١٨٣٠ من الميلاد

الفصل الخامس

فيما حصل للوزرا الذين وضعوا خطوط أيديهم على الاوامر السلطانيه التي كانت السبب في زوال مملكة الملك الاول الذي فعل فعلته وفي العواقب لم ينظر وطمع بما لم يظفر كما قال الشاعر

ان النفوس على اختلاف طباعها * طمعت من الدنيا بما لم تظفر

اعلم ان الفرنساوية بعد هذه الفتنة اهتموا غاية الاهتمام بالتفتيش

على الوزرا الذين كانوا السبب فى ذلك وأيضاً فانه بمقتضى القوانين ان الوزراء يضمنون مايقع في المملكه من الخلل فهم المحاسبون دون الملك وليس على الملكه شيء اصلا فحملهم ثقيل ووظيفتهم شاقة التحمل فعليهم الوزر في كل ما يحدث قال الشاعر

يتداول الناس الرياسة بينهـم * وأريد حظهمو فلا استطيع

وا كاف العباء إثقيل وانمـا * تبلى به الاتبـاع لا المتبوع

فعليهـم الاثقال يرمي حملها * وعلى الرئيس الختم والتوقيع

فبرزت الاوامر في جميع طرق البلاد ان يوقفوهم اذ أمروا عليهم وقد قلنا ان رئيس الوزرا كان بولنياق فمسك من الوزرا أربعة منهـم هذا الامير المذكور وصورة القبض عليه انهم وجدوه خارجا من بلاد فرانسا في صورة خادم لمرأة عظيمة فعرفوه وأوقفوه وخفره الخفر الموجود في الطريق خوفا من الرعية ثم إعلموا بذلك الديوان في باريس فكتب هو مكتوبا الى ديوان مشورة البير وقد كان من رجال المشورة يقول فيه انه لامعنى للقبض عليه حيث انه من أهل هذا الديوان واحتج بالمادة الرابعة والثلاثين من الشرطة لايمكن ان يحبس احد من أهل ديوان البير الابامر أهل ذلك الديوان ولا يمكن ان يحكم عليه غيرهم في مواد الجنايات فما كان جوابهم الا انهم اجتمعوا وقرؤا مكتوبه ثم تشاوروا فكانت خلاصة المشورة الاذن بالقبض عليه وحبسه حتى يحكموا عليه فجيء به الى بلدة وسينه بقرب باريس وحبس في قلعتها ثم قبض على الثلاثة الاخر وحبسوا معامن غيران يحصل لاحد منهم شيء من الترذيل أبدا مدة حبسه ثم انه مدة حبسهم بنوا لهم محلا عظيما في ديوان مشورة البير لتسمع دعواهم فيه وجعلوه بناء متينا وثيقا على صورة عظيمة حتى لايمكن للرعية الهجوم عليهم لاذيتهم

ولا لاحبابهم ان يخلصوهم من الحبس وكافوا ذلك أموالا لها وقع عظيم ثم جاؤابهم الى هذا المكان وحبسوهم في محل منه وصاروا يأتون بهم كل يوم وكانت دعوتهم من أعظم مايتعلق غرض الانسان بسماعه * ومن أجل مايدل دلالة قطعية على تمدن الفرنساوية وعدل دولتها ولنذكر لك بعض شيء منها فنقول *اعلم أن ملك الفرنسيس الجديد لما تولى تعلقت ارادته بعزل سبعين رجلا من أهل مشورة البير الذين كان ولاهم شرل العاشر الملك السابق ثم سمي منهم تسمية جديدة من كان على غرضه فلو كان هؤلاء السبعون فضلوا من أهل الديوان لكانوا يحابون عن الوزراء فكان غالب أهل ديوان مشورة البير اعداء لهم الا أن التمسك بالقوانين وطيب نفوسهم في الجملة وعدم ميلهم بالطبيعة الى الظلم كان سبباً في نجاة الوزراء المذكورين ومما يتعجب منه أن الوزير بولنياق حين القبض عليه أراد أن يختار واحدا يحامي عنه من العارفين بالاحكام فلم يختر إلا مرتنياق أحد الوزراء المعزولين قبله ليس بينه وبينه وصلة ولا محبة وأعجب من ذلك أن الآخر الذي هو مرتنياق وفى بذلك مع غاية الامانة التامة وبذل ماعنده من المعارف لدفع الايرادات عن موكله وكذلك كل واحد من الوزراء المقبوض عليهم وكل محامياً له ثم لما فتحوا الدعوى أرسلوا لكل واحد من الوزراء المحبوسين يطلبونه بخصوصه مع غاية الرفق واللين وكيفية أول مايسأل به مااسمك ماوصفك مامنصبك مارتبتك فيجيب باجوبة هذه الاسئلة ولو كانوا يعرفون ماذكر ثم قالوا لكل واحد منهم أتقر بأنك وضعت خط يدك تحت أوامر الملك قال نعم ولاي شيء فعلت ذلك فيجيب بان الملك أراده ولاي شيء أراد الملك فعل ذلك وهل عزم عليه من قديم الزمان أو الآن فقط وقد كان كل منهم يجيب في مثل

هذه الاسئلة بقوله لا افشي سر ديوان حضرة الملك اصلا مع غاية التعظيم في المجلس للمكم المعزول ولم يتفوه احد منهم بشيء من اسرار الديوان ابدا ولم يكرههم احد على ذلك ثم بعد سوالهم وانتهائه وكتب خلاصته جاء المحامون عنهم ومكثوا ايضاً عدة ايام ليظهروا ان الوزرا بريؤن من الذنوب وان مقصدهم كان حسنا وهكذا فبعد ذلك امتحنت المشورة جميع الدعوى ثم قضت بما هذه صورته من حيث ان الوزرا وضعوا اخطا ايديهم تحت الاوامر المخالفة لقوانين المملكة ومن حيث انهم هتكوا حرمة القوانين تقريباً ومخالفتها حكمت المشورة عليهم بالحبس الدائم وتجريدهم من أوصاف الشرف والقابه وحكمت على بولانياق زيادة على ذلك بالموت الحكمي وهو نظير مسئلة من انقطع خبره وحكم بموته القاضي باجتهاده بعد مضي مدة لا يعيش فوقها غالباً والموت الحكمي عند الفرنساوية ويقال له الموت المدني هو ان يكون حكم الحي عندهم كحكم الميت في كثير من الاحوال وهو ان المحكوم عليه بذلك يزول عنه جميع ما يملكه ليدخل تحت يد ورثته مثل ما اذا مات حقيقة ولا يصح ان يرث غيره بعد ذلك ولا ان يورث غيره الاموال التي ملكها بعد ذلك ولا يمكنه ان يتصرف في أمواله جميعها أو بعضها بهبة أو وصية ولا يجوز اهداؤه ولا الوصية له الا بالقوت ولا يجوز ان يكون ولياً ولا وصياً ولا شاهداً في شهادة شرعية ولا تقبل دعواه ولا ينعقد نكاحه بل ينفسخ نكاحه الاول بالنظر للاحكام المترتبة عليه ولزوجته وأولاده ان يصنعوا في أمواله أو في أنفسهم كما لو مات هو حقيقة وبالجملة فهو حي ملحق بالموتى ولكن لما كان هـذا الوزير وأمثاله ممن يحكم عليهم بذلك من أعيان الناس وكانت ذريته حسنة التربية كان المحكوم عليه بذلك يبقى في العادة على ما كان .

عليه قبل الحكم لكون عيلته تعتقد ان هذا من باب التعدي المحض وانه
ناج بينه وبين مولاه ولا تفارقه زوجته أصلا لاعتقادها انها في عصمته
باطنا ولو ولدت منه بعد ذلك ولد أورثه الاخوة معهم وان كان هـذا
خلاف الاحكام المترتبة على الموت الحكمي ولما سمعت الرعية بذلك
قاموا وقالوا لابد من الحكم عليهم بالموت الحقيقي فاخبرهم أهل الدولة
ان هذا يناقض ماتطلبونه من الحرية والعدل والانصاف وان كتـاب
القوانين لم يعين نوع عقوبة الوزرا اذا حصلت منهم خيانة وانما حكمت
المشورة بالاجتهاد عقوبة لهم وزجرا لامثالهم ثم ليلة ان حكم عليهم بذلك
قبل ان يطلعوهم على خلاصة المشورة أخرجوهم من هذا الحبس الذي
كان بني لاجلهم وخفروهم الى قلعة ونسينة فحبسوهم بها ومنها نقلوهم
الى قلعة أخرى وهم محبوسون بها الى الان والحكم عليهم بهذا الكيفية
مما يدل على حسن أخلاق الدولة الفرنساوية

الفصل السادس فيما كان بعد الفتنة في سخرية الفرنساوية على شرل
العاشر وفي عدم اكتفاء الفرنساوية بذلك

اعلم أنه جاء الى الفرنساوية خبر وقوع بلاد الجزائر في أيديهم قبل
حصول هذه الفتنة بزمن يسير فتلقوا هذا الخبر من غير حماسة وان أظهروا
الفرح والسرور به فبمجرد ماوصل هذا الخبر الى رئيس الوزرا ابولنياق
أمر بتسييب مدافع الفرح والسرور ولقد صدق من قال

وكم سرور طيه أحزان * لاجل هذا خاق الزمان

وصار يتماشي في المدينة كانه يظهر العجب بنفسه حيث ان مراده
نفذ وانتصرت الفرنساوية في زمن وزارته على بلاد الجزاير فما كانت
أيام قلايل الا وانتصرت الفرنساوية عليه وعلى ملكه نصرة اعظم من

تلك حتى ان مادة الجزاير نسيت بالكلية وصار الناس لايتحدثون الا
بالنصرة الاخيرة على ان حاكم الجزائر خرج منها بشروط وأخذ منها
مايملكه وملك الفرنسيس خرج من مملكته يتندم على ماوقع منه
وللزمان صروف تدول * وأحوال تحول * وكان هذا هو عاقبته على
غارته على بلاد الجزائر باسباب واهية لاتقتضى ذلك بل بمجرد أرضاء
هوى النفس واذا نصر الهوى بطل الرأي ومما وقع ان المطران الكبير
لما سمع باخذ الجزائر ودخل الملك القديم الكنيسة يشكر الله سبحانه
وتعالى على ذلك جاء اليه ذلك المطران ليهنيه على هذه النصرة فمن جملة
كلامه مامعناه انه يحمد الله سبحانه وتعالى على كون الملة المسيحية
انتصرت نصرة عظيمة على الملة الاسلامية ولا زالت كذلك انتهى مع
ان الحرب بين الفرنساوية وأهالي الجزائر انما هو مجرد أمور سياسية
ومشاحنات تجارات ومعاملات ومشاجرات ومجادلات منشأها التكبر
والتعاظم * ومن الامثال الحكمية لو كانت المشاجرة شجر ألم تثمر الا
ضجرا فلما وقعت الفتنة كسر الفرنساوية بيت المطران بعد هروبه
وخربوه وأفسدوا جميع مافيه حتى انه تخفى ولم يعلم له أثر ثم ظهر واختفى
ثانياً وهجم على بيته ثانياً ولا زال مذموما مخذولا

قال الشاعر

لاتعجبن رويدا انها دول * دنيا تنقل من قوم الي قوم

ثم ان الفرنساوية لماراوا ان شرل العاشر اخرج باشا الجزائر من مملكته
ايضاً صاروا يهزؤن بشرل العاشر ويصورونه هو وباشا الجزائر في الطرق
ويكتبون فى وقائع النوادر تلميحات غريبة ونبكات ظريفة فمن جملة
ذلك انهم صوروه هو والباشا المذكور وكتبوا تحت صورة باشا الجزائر

وأنت أيضاً جاءت نوبتك كان الباشا يقول للملك استفهاما ليهزو به وانت أيضاً عزلت كما عزلتني شعر

فقل للشامتين بنا رويداً * امامكم المصائب والخطوب .

وقال آخر

الدهر يفترس الرجال فلا تكن * ممن تطيشه المناصب والرتب

كم نعمة زالت بادني ذلة * ولكل شيء في تقلبه سبب

وكتبوا أيضاً فى وقائع النوادر مانصه ان الباشا المذكور يقول لشرل العاشر قم بنا نلعب لعب كذا على قدر معلوم وان لم يكن معك شيء جمعنا لك شيئاً على سبيل الصدقة من الناس يشيرون بذلك الا ان باشا الجزائر خرج من بلاده غنيا وشرل العاشر خرج من بلاده فقيرا وصوروا أيضاً الملك المذكور في صورة أعمى يتكفف الناس ويقول في سؤاله أعطوا بعض شيء للفقير الاعمى يشيرون الا انه لم يتبصر في عواقب الامور وصوروه أيضاً هو ووزيره بولنياق خارجين من كنيسة إشارة الا انهما لايفلحان الا في هــذه العبادة الباطلة وانهما قسوس لا أمرا وكانوا يزعمون ان الملك كان يلبس في بعض الاحيان لبس القسيسين ويقدس بالناس كالقسيس فى كنيسته التي في سرايته وكانوا يصيحون في البلدة بعد هذه الفتنة بورقات مطبوعة فيها عشق هذا الملك وفساد في صغر سنه وفسق المطران الكبير وهكذا وبأن ابن ابنه ليس هو ابن حقيقى وانما هو ابن مزور والعجيب انهم كانوا يصيحون بهذه الاوراق ليبيعوها فى ساحة بيت الملك الجديد الذي هو من أقارب الملك وأعجب من ذلك انهــم يكتبون في هذه الورقة ان الملك الجديد هو الذي كتب ذلك سابقا في في جرنالات الانكليز بعد ولادة حفيد الملك القديم ويصيحون بذلك

ولا أحد ينكر عليهم لما ان حرية الرأى قولا وكتابة تقضي بذلك وبعد
تولية هذا الملك ظهرت عدة تعصبات عظيمة منها من يريد عزله ونصب
الجمهورية لعدم اكتفائه بالحرية وطلبه أزيد من ذلك ومنهم من تعصب
لنصب الحكم القديم وتولية حفيد الملك السابق ولا زالت هذه الفتنة
باقية الآثار الى الان وربما تعدت آثارها الى غيرها من البلاد فمن ذلك
الفتنة التي ترتب عليها انعزال اقليم البلجيك من مملكة الفلمنك وقدكان
جزأ منها ومن آثارها أيضاً طلب بلاد له الحرية والخروج من حكم
الموسقوبية ومنها الفتن التي وقعت في بلاد ايطاليا

(الفصل السابع فيما كان من دول الافرنج بعد سماعهم بانعزال)
(الملك الاول وتقليد المملكة للملك الثاني وفى رضائهم بذلك)

لايخفى ان العيلة السلطانية القديمة قد رجعت بعد تعاهد الدول
الافرنجية على السلطان نابليون وإخراجه ونفيه الى جزيرة سنت هلينة
وترجيع هذه العيلة الى البلاد بعد ان كانت في البلاد الغريبة فتملك
هذه العيلة انما هو بمعاهدة ملوك الدول الافرنجية فهي فى الحقيقة مملكة
على فرانسا رغما عن انف غالب الفرنساوية فلما وقعت الفتنة خشى
الفرنساوية من ان الملوك المذكورين يأتون بجيوش الى بلادهم وينصبون
كرسي هذه العيلة فتخلصوا من ذلك بتملك العيلة الاخرى التي هي عيلة
أورليان ولكنهم لم يعلموا هل ترضى الملوك بذلك أولا وعزموا على انهم
اذا لم يرضوا بذلك وجاؤا لمحاربتهم حاربوهم ولو حصل ماحصل وجهزوا
مايدل على ذلك ولنذكر لك هنا نسبة ملوك الافرنج بالنظر لهذه المادة
فنقول اعلم ان ملك أسبانيا يوافق بسياسته وسلوكه سياسة ملك فرانسا
القديم وهو أيضاً من أقاربه لانّ العيلة التي تحكم ببلاد أسبانيا من العيلة

التي تحكم ببلاد فرانسا فهي تميل اليها ظاهرا وباطنا ومثلها في ذلك الميل بلاد البرتوغال فهاتان المملكتان لايحصل منهما شيء يخاف به على العيلة القديمة وأما بلاد ايطاليا فان دولة نابلى ودولة رومة ودولة سردينيا توافق أيضاً في سياستها سياسة البربون يعنى العيلة القديمة فحينئذ ملوك هذه الدول تأثرت باطنا بما وقع فى بلاد الفرنساوية وأما دولة المسقو ودولة النيمسا ودولة البروسه والانكليز فانهــا متعاهدة على تولية عيلة البربون القــديمة المملكة فهي أيضاً تأثرت بذلك نوع تأثر وخصوصاً الدولة المسقوبية وأما الدول الصغيرة ببلاد الافرنج فانهــا تابعة للدول الكبيرة فلم يبق مع دولة الفرنساوية الجديدة الا بعض أقاليم صغيرة تريد الحرية غير ان اهل دولة الانكليز أظهرت الرضى بما وقع فلذلك ملكهم كان أول من اعترف بالمملكة للملك الفرنساوية الجديد وقد جرت العادة ان الملك اذا تولى لابد من ان يعترف له الملوك بالتملك ويقروه على ذلك وهو من الرسوم غالبا يقال ان حضرة مولانا السلطان الاعظم لما سمع بذلك وأخبره الايلچي أجاب بانه لايصنع شيئاً حتى يرى ماتصنعه ملوك الافرنج فان اقروه على ذلك اقره أيضاً ومدخلية الدولة العلية فى ميدان دوائر الدول الافرنجية قليل وممن توقف في الاقرار مدة طويلة ملك الموسقو ثم بعد ذلك اقره بشرط ان لايتغير شيء فى ميزان بلاد الافرنج يعنى ان بلاد الافرنج تبقى على ماهي عليه من غير ان يحصل بها راجحية أو مرجوحية فى السياسة بمعنى ان مملكة فرانسا مثلا لاتزيد عما كانت عليه قبل الفتنة والظاهر ان أكثر الملوك التي أقرت ملك الفرنساوية الجديد انما أقرته على ذلك ورضيت بما وقع رضاء وقتيا حتى ان الفرنساويه تحس بذلك وتجهز به كانها لا تثق بذلك الصلح الذي تراه كأنه هدنة

وتعليق ولما خرجت من فرانسا كان جميع الناس يتوقع فيها أشهار الحرب وظهوره بين النمساوية والفرنساوية والموسقوبية أو الاسبانيول أو البروسه والله سبحانه وتعالى اعلم بما كان وبما يكون وللفرنساوية الآن التئام مع الانجليز لم يسبق مثله أبدا وأما الكلام على الرجوع فراجعه في خاتمة الرحلة

المقالة السادسة فى ذكر نبذات من العلوم والفنون المسرودة في الباب الثاني من المقدمة وهي تشتمل على عدة كتب

الفصل الاول في تقسيم العلوم والفنون من حيث هي وفي ذكر الفنون والعلوم العامة لجميع التلامذة

الفصل الاول في تقسيم العلوم والفنون على طريق الافرنج

اعلم ان الافرنج قسموا المعارف البشرية الى قسمين علوم وفنون فالعلم هو الادراكات المحققة المذكورة بطريق البراهين وأما الفن فهو معرفة صناعة الشيء على حسب قواعد مخصوصة ثم ان العلوم تنقسم الى رياضية وغيرها وغير الرياضية تنقسم الى طبيعيات والهيات والعلوم الرياضية هي الحساب والهندسة والجبر والمقابلة والعلوم الطبيعية هي تاريخ الطبيعيات وعلم الطبيعة وعلم الكيميا المراد بتاريخ الطبيعيات علم الحشايش والاعشاب وعلم المعادن والاحجار وعلم الحيوانات وهذه الفروع الثلاثة تسمى مراتب التولدات مرتبة النباتات ومرتبة المعادن ومرتبة الحيوانات واما الالهيات فتسمي ايضا علم ماوراء الطبيعيات او مافوق الطبيعيات واما الفنون فانها تنقسم الى فنون عقلية والى فنون عملية فالفنون العقلية مايكثر قربها من العلوم مثل علم الفصاحة والبلاغة وعلم النحو والمنطق والشعر والرسم والنحاتة والموسيقا فان هذه فنون عقلية لانها تحتاج الي قواعد علمية واما الفنون العملية فهي الحرف

هذا هو تقسيم حكماء هذا الافرنج والافعند نا ان العلوم والفنون في الغالب شيء واحد وانما يفرق بين كون الفن علما مستقلا بنفسه وآلة لغيره ثم ان العلوم المطلوبة من عموم التلامذة هي الحساب والهندسة والجغرافيا والتاريخ والرسم ومعرفة هذه كلها تكون بعد معرفة اللغة الفرنساوية وما يتعلق بها فلذلك وجب علينا هنا ان نذكر نبذة منها *

الفصل الثاني في تقسيم اللغات من حيث هي وفي ذكر اصطلاح اللغة الفرنساوية *

اعلم ان اللغة لما كانت ضرورية فى افهام السامع معنى يحسن سكوت المتكلم عليه وكانت لازمة في التفهيم والتفهم وفى المخاطبات والمحاورات وجب عند جميع الامم على المتعلم ان يبتديء بها ويجعلها وسيلة لما عداها واللغة من حيث هي الالفاظ المخصوصة الدالة على المعاني المخصوصة وطريقها الكلام والكتابه المختلفه باختلاف الامم وهي قسمان لغات مستعملة ولغات مهجورة فالاولى ما يتكلم بها الآن كلغه العرب والفرس والترك والهند والفرنسيس والطليانيه والانكليز والاسبانيول والنيمسا والموسقو والثاني ما انقرض أهله واندثر اربابه ولم يبق الا فى الكتب مثل اللغه القبطيه واللاطينيه واليونانيه القديمه المسماة بالاغريقيه ومعرفه هذه اللغات المجهورة فى المخاطبات نافعه لمن اراد الاطلاع على كتب المتقدمين وفي بلاد الافرنج توجد مدارس مخصوصه معدة لتعلم هذه الالسن لما يعلمون من نفعها وكل لغه من اللغات لابد لها من قواعد لتضبطها كتابه وقراءة وتسمى هذه القواعد باللغه الطليانيه اغرماتيقا وباللغه الفرنساويه اغرمير ومعناها تركيب الكلام يعني علم ضبط اللغه بنحوها فلا مانع من أن يراد بالنحو قواعد اللغه من حيث هي وهو مرادنا هنا فهو علم به يعرف تصحيح الكلام والكتابة على اصطلاح اللغة المرادة الاستعمال والكلام ماقصد به افادة

المستمع معني يحسن عليه السكوت وهو يتركب من الكلمة واقسامها عند
اهل اللغة العربية ثلاثة الاسم والفعل والحرف والاسم اما مظهر نحو
زيدا ومضمر نحو هو او مبهم نحو هذاوالفعل اما ماض كضرب اومضارع
كيضرب اوامر كاضرب والحرف اما مختص بواحد من قسيميه كمن
وقد او مشترك بينهما كهل وبل وانما قسمنا هذ التقسيم هنا لانه سيأتي
لنا ان الفرنساوية عندهم الضمير واسم الاشارة قسيمان للاسم ولا يعد
ان منــه بوجه من الوجوه واما الفرنسيس فانهم جعلوا اجزاء الكلمة
عشرة كل واحد منها قسم مستقل له علامة وهي الاسم والضمير وحرف
التعريف والنعت واسم الفاعل واسم المفعول والفعل والظرف ويسمي
عنــدهم مكيف الفعل وحروف الجر وحروف الربط وحروف الندا
والتعجب ونحوه فيقولون فى تعريف الاسم هو كلمة تدل على شخص او
شيء اى على العالم وغير العالم مثل زيد وفرس وحجر وفي تعريف الضمير
هو مايقوم مقام الاسم وحرف التعريف هو ايضا عندهم لام التعريف
كما عنــدنا الا انه يختلف باختلاف الاسم الداخل عليه فانه للمذكر ل
بالضم وفي المؤنث ل بالفتح وجمعهما لس ولكن السين لا ينطق بها ويقولون
في تعريف النعت هو مايدل على الاتصاف بوصف من الاوصاف كحسن
وجميل فهو نظير الصفة المشبهة واما اسم الفاعل واسم المفعول فانهما نحو ضارب
ومضروب والظرف عندهم مثله في لغة العرب وحروف الجر مثل الظروف
وحروف الجر في اللغة العربية فاذا قال الانسان باللغة الفرنساوية جئت قبل زيد
وبعده فان قبل وبعد من حروف الجر عندهم واذا قال جاء زيد اولا او قبل او نحو
ذلك فانه ظرف واما الحروف الروابط فانهم يعرفونها بانها ماتتوسط بين كلمتين او
جملتين نحو واو العطف فى قولك جاء زيد وعمرو ونحو ان في قولك اومل ان

اعيش زمنا طويلا ومن هذا القسم اذن حينئذ من نحو قولك انت عاقل فاذن انت قابل للتعلم اوانت فحينئذ قابل وحروف النداء والتعجب ونحوها معلومة وقواعد لفهم يلزمها هذا التقسيم ويظهر ان قول بعضهم أقسام الكلمة أو الكلام ثلاثة فى سائر اللغات وان الحصر عقلى لعلة استقلالها بالمفهومية وعدمه ودلالة ما استقل بالمفهومية على زمان وعدمها فيه بعض شيء ثم ان كل انسان يعبر عن مقصوده إما بالكلام أو بالكتابة فكلامه يسمى عبارة ومنطقاً وتعبيره عن مقصوده بالكتابة يسمى نفساً ومسطرة وقلما فقد يكون قلم الانسان أفصح من عبارته فانه قد يكون الانسان الكن ويكون قلمه فصيحاً ثم انه اذا أفصح وأغرب غرابة مقبولة كانت عبارته عالية وإن كانت عبارته مؤدية للمقصود من غير ركاكة فهي مناسبة وان كان بها بعض شيء يمجه السماع فهي ركيكة أو رديئة وعلى كل فالعبارة اما بها أطناب أو اختصار أو على الاصل ثم ان الكاتب أما ان يفصح عن مراده بنظم أو نثر وعلى كل فاما ان يكون كلامه أو تأليفه باللغة المستعملة في المحاورات المسماة الدارجة أو باللغة الموافقة فقواعد النثر هو الاصل فى الكلام والتأليف ولا يحتاج الى وزن وتقفية الا في السجع وهو لسان العلوم والتاريخ والمعاملات والمراسلات والخطابات ونحو ذلك ولاتساع اللغة العربية كان بها كثير من كتب العلوم منظوما وأما لغة الفرنسيس فلا ينظم فيها كتب العلوم أصلا والنظم هو ان يفصح الانسان عن مقصوده بكلام موزون مقفى وهو يحتاج زيادة عن الوزن الى رقة العبارات وقوة الاسباب الداعية لنظمه ويعجبني قول بعضهم موريا

صوغ القريض على اختلاف رجاله * ما بين حصباً لا تعد وجوهر
واذا أردت بان تفوز بدره * نظماً تخذه من صحاح الجوهري

ولبعضهم

يامن يقول الشعر غير مهذب * ويسومني التكليف في تهذيبه
لوكان كل الخلق فيك مساعدي * لعجبت عن تهذيب ما تهذى به

وقال بعضهم في فقد الاسباب *

قالوا تركت الشعر قلت ضرورة * باب الدواعي والبواعث مغلق
خلت الديار فـلا كريم يرتجي * منـه النوال ولا مليح يعشق

وقال آخر

الشعر لا يخفى عليكم حاله * قد بار وا أسفاه بعد نفاق
وارحمتا لبني القريض فانهم * ماتوا وهم أحيا من الاملاق

ونظم الشعر غير خاص بلغة العرب فان كل لغة يمكن النظم فيهـا بمقتضي علم شعرها نعم فن العروض على الكيفية الخاصة به المدون عليها في لغة العرب وحصره في البحور الخمسة عشر المستعملة هو لخصوص اللغة العربية وليس في اللغة الفرنساوية تقفية النثر ومعرفة فن النظم لا تكفي في نظم الشعر بل لا بد ان يكون الشاعر به سجية النظم سليقة وطبيعة والا كان نفسه بارداً وشعره غير مقبول ولنذكر هنا خلاصة صغيرة من الاشعار ملخصة من أحسن القصايد والمقطعات فنقول قد اشتهر ان أرق بيت قالته العرب في الغزل قول جرير

ان العيون التى فى طرفها حور * قتلننا ثم لم يحيين قتـلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به * وهن أضعف خلق الله انسانا

ولنذكر هنا حكايه لطيفة وهي أنه دخل اعرابي على ثعلب فقال له تزعم انك اعلم الناس بالادب فقال كذا يزعمون فقال انشدني أرق بيت قالته العرب وأسلسه فقال قول جرير ان العيون الى آخره فقال

هذا الشعر غث رث قد لاكه السفلة بالسنتها هات غيره فقال ثعلب أفدنا من عندك يا اعرابي قال قول مسلم بن الوليد صريع الغواني

نبارز ابطال الوغى فنبيدهم * ويقتلنا في السلم لحظ الكواعب
وليست سهام الحرب تفنى نفوسنا * ولكن سهام فوقت في الحواجب

فقال ثعلب لاصحابه اكتبوها على الخناجر ولو بالخناجر فشعر مسلم ابن الوليد أقوى حماسة من قول جرير وأقول ان نسبة القوة بينهما كنسبتها بين قول بعضهم

خطرات النسيم تجرح خديـ * ـه ولمس الحرير يدمي بنانه

وقول ابن سهل الاسرائيلي

اني له عن دمي المسفوك معتـذر * أقول حملته في سفكه تعبا

ومما يمكن نظمه في سلك قول مسلم ابن الوليد قول بعضهم

نعد العذارى من دواهي زماننا * واقتلها أحداقها والمحاجر
ونشكوا اليها دائرات صروفه * واعظمها اطواقها والاساور

ويعجبني قول امين افندى الزللي في همزيته

واقرن صبوحك بالغبوق ولاتدع * فرص السرور بغدوة ومساء
واعقد ببنت الحان واجعل مهرها * عقـلي وأشهد سـائر الندماء
واستجلها بكرا تقـلد جـيدها * بعقود در بل نجوم سماء *

(الى ان قال)

واعدل عن العيدان وارشفها على * رقص الغصون ونغمة الورقاء

(الى أن قال)

من كف ساق في لماه ولحظه * وحديثه نوع من الصهباء
وبخده ورد حماه بأسهم * عن قطفه باللحظ والايماء

ويحسن هنا ذكر قول الشهاب الحجازي

لاوغصن راق للطرف ورق * وعليه حلل الطرف ورق
وشموس لم تغب عن ناظري * والشعور الليل والخد الشفق
وعيون حرمت نومي وما * حللت لي غير دمعي والارق
ما احمرار الراح الا خجل * من رضاب سكرت منه الحدق
والذي قد حسبوه حببا * فوق خد الكاس قطرات العرق

ويعجبني قول بعضهم

لولا شفاعة شعرها في صبها * ما واصلت وأزالت الاسقاما
لكن تنازل في الشفاعة عندها * وغدا على أقدامها يترامي

وينتظم في سلكه قول بعضهم

سل سيفاً من لحظه ثم أرخي * وفرة وفرت عليه الحميله
ان شكي الخصر طولها غير بدع * لنحيل يشكو الليالي الطويله

ومما يفوق قول الواو الدمشقي أويساويه

قالت متي الظعن ياهذا فقلت لها * أماغدا زعموا أولا فبعد غد
فامطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت * ورداوعضت على العناب بالبرد

وقول بعضهم

بنفسي بيضاء العوارض أقبلت * بوجه كأن الشرق من حسنه غرب
وبين الازار الملتوى حقف رملة * وبين الوشاح الملتوي غصنٌ رطب
وتحت لثام الخز أنفاسها لظي * وفوق الرداء السكب أدمعها سكب
تبدت مع الاتراب تدعو على النوى * وان لم يكن في الثانيات لها ترب
تسيل على الخد الاسيل دموعها * وصب دموع العين يروي به الصب
وقد وكلت احدي يديها بقلبها * مخافة أن يرفض من صدرها القلب

فلما أجزن الجسر فمن وراءه * كسرب من الغزلان ليس له سرب
وعضت بدر الثغر فضـة معصم * يكاد يثنيه من الذهب القلب
وكادت تحط الرحل لولا عزيمتي * قسي جفون العين أسهمها الهدب

ومما يعد من الاشعار الرقيقة قول الشاعر

يصفر وجهي اذا تأمله * طرفي فيحمر خده خجلا
حتى كان الذي بوجنته * من دم جسمي اليه قد نقلا

ومما ينسب للخليفة هارون الرشيد

واذا نظرت الى محاسنهـا * فبكل موضع نظرة نبل
وتنال منك بحـد مقلتهـا * مالا ينال بحـده النصل
شغلتك وهي لـكل ذي بصر * لاقى محاسن وجهها شغل
* فلقلبها حلم يباعدها * عن ذي الهوى ولطرفها جهل
ولوجهها من وجهها قمر * ولعينها من عينها كحل

ومن أرق ماقيل ايضاً قول الشاعر

لاموا على صب الدموع كانهم * لا يعرفون صبابتي وولوعي
فاجبتهم وعد الخيال بزورة * افلا ارش طريقه بدموعي

ومما يعجب في الرثا قول ابي الطيب في ابي شجاع فاتك

يامن يبـدل كل يوم حلة * اني رضيت بحلة لاتنزع
مازلت تخلعها على من شاءها * حتى لبست اليوم مالا يخلع
مازلت تدفع كل أمر فادح * حتى اتي الامر الذى لا يدفع
فظللت تنظر لا رماحك شرع * بين الانام ولا سيوفك قطع
بابى الوحيد وجيشه متكاثر * يبكى ومن شر السلاح الادمع
واذا حصلت من السلاح على البكا * فحشاك رحت به وخدك تقرع

الي ان قال

من للمحافل والجحافل والسري * فقدت بفقدك نير لايطلع *
ومن اتخذت على الضيوف خليفة * ضاعوا ومثلك لايكاد يضيع

وقوله أيضاً في فاتك المذكور

لافاتك آخر في مصر تقصده * ولا له خلف في الناس كلهم
من لاتشابهه الاحياء في شيم * أضحي تشابهه الاموات في الرمم
عدمته وكاني سرت أطلبه * فما تزيدني الدنيا على العدم

الى ان قال

الدهر يعجب من حملي نوائبه * وحمل جسمي على أحداثه الحطم
وقت يضيع وعمر ليت مدته * في غير أمته من سالف الامم
أتي الزمان بنوه في شبيبته * فسرهم وأتيناه على الهرم *

وبالجملة والتفصيل فاحسن وأظرف سائر ماقيل

سلوت عن الاحبة والمدام * وملت عن التهتك والهيام
وسلمت الامور الي الهي * وودعت الغواية بالسلام
وملت الى اكتساب ثواب ربي * وقد ماطال عزمي بالغرام
وما أنا بعده معط عنان الـــهوي لكن تري بيدي زمامي
أبعد الشيب وهو أخو سكون * يليق بان أميل الى اغرام
فشرب الراح نقص بعد هذا * ولو من راحتي بدر التمام
فكم أجريت في ميدان لهو * خيول هوى وكم ضربت خيامي
وكم قبلت وردا من خدود * وكم عانقت غصناً من قوام
سأوتي الكاس تعبيساً وصدا * وان جاءت تقابل بابتسام
عزمت على الرجوع عن المناهي * ومثلي من يدوم على اعتزام

الفصل الثالث في فن الكتابة

هو فن يعرف به التعبير عن المقصود بنقوش مخصوصة تسمى حروف الهجا أو حروف المعجم وأغلب الحروف الهجائية متفقة في سائر اللغات ومبدؤة بحرف الألف الا عند الحبشة فان حرف الألف هو الثالث عشر وصناعة الكتابة شديدة النفع عند سائر الامم وهي روح المعاملات واحضار الماضي وترتيب المستقبل ورسول المراد ونصف المشاهدة ثم ان العرب والعبرانيين والسريانيين يكتبون من اليمين الى الشمال والصينيون يكتبون من أعلى الى أسفل وتكتب الافرنج من الشمال الى اليمين وهل الاوفق طبعا الكتابة من اليمين الى الشمال كما تكتب العرب وغيرهم ممن ذكر معهم أو العكس كما تكتب الافرنج مما يدل على الاول ترتيب الاعداد فانها مرتبة طبعا وهي تبتدئ من اليمين الى اليسار فالاحاد التي هي أجزاء العشرات تكون على يمين العشرات والعشرات كذلك بالنسبة للميات وهي كذلك بالنسبة للألوف واذا كانت الاعداد أصولا لغيرها يعنى أشياء اولية اتفقت فيها الطبائع على اختلاف أصحابها دل ذلك على ان مخالفتها مخالفة للاصل وثبت نقيضه وهو المراد وحاول الافرنج فحملوا القراءة والكتابة على قراءة الاعداد وكتابتها فقط فبرهنوا بهذا على أوفقية طريقتهم للطبع فمن باب أولى يقال ان الكتابة من أعلى لاسفل مخالفة لمقتضى الطبع ويقال ان العرب كانت تعرف الكتابة فى زمن أيوب عليه السلام وقد وقع اختلاف في ان الحروف الهجائية هل هي من الاوضاع الالهية أو من الاوضاع البشرية وعلى الثاني فقد وقع الاختلاف في انها من أوضاع أي ملة فقال بعضهم انها من أوضاع السريانيين أو من اوضاع قدماء

المصريين واستظهر الاول فعليه تكون انتقلت من السريانيين الى اليونان بدليل ان الحروف اليونانية هي عين السريانية الا انها انقلبت من الشمال الى اليمين ومن أهل اليونان أخذ الرومانيون حروفهم وجودة الخط لاتدل على الفضل وعدم تأدية الكتابة حقها دليل على الجهل وقد تنازع الشعراء فى التفضيل بين السيف والقلم ثم بين قلم الانشاء والحساب وأشار المتنبي الى تفضيل السيف فى قوله.

السيف اصدق انباء من الكتب * في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لاسود الصحائف * في متونهن جلاء الشك والريب

واشار السيوطى في كتاب الاوائل الى تفضيل القلم على السيف حيث قال.

الكتب عقل شوارد الكلم * والخط خيط فرايد الحكم
بالخط نظم كل منتثر * منها وفصل كل منتظم
والسيف وهو بحيث تعرفه * فرض عليه عبادة القلم.

وتمام رفع المنازعة في تاريخ الدول لابن الكردبوسي فى قوله قوام الملك شيأن السيف والقلم والثاني مقدم على الاول وبرهن على ذلك والظاهر ان يقال في ذلك ماقيل في الكتابتين من ان صناعة الانشا أرفع وصناعة الحساب انفع فيقال ان السيف أرفع من القلم والقلم أنفع منه

الفصل الرابع فى علم البلاغة المشتمل على البيان والمعاني والبديع

وهو علم تحسين العبارة أو علم تطبيق العبارة على مقتضيات الاحوال والمقصود منه على العموم توصل الانسان الى الافصاح عما في ضميره بفصيح الكلام وبليغه وهذا العلم بهذه الحيثية ليس من خواص اللغة العربية بل قد يكون في أى لغة كانت من اللغات فانه يعبر عن هذا العلم

في اللغات الافرنجية بعلم الريثوريتى ثم هذا العلم في اللغة العربية اتم وأكمل
منه في غيرها خصوصاً علم البديع فانه يشبه ان يكون من خواص اللغة
العربيـــة لضعفه في اللغات الافرنجية وبلاغة أسلوب القرآن الذي نزل
أعجازا للبشر من خصوصيات اللغة العربية ثم انه قد يكون الشيء بليغا
في لغة غير بليغ في أخرى أو قبيحا فيها وقد تتفق بلاغة الشيء في لغتين
أو لغات كما اذا أردت ان تعبر عن رجل شجاع بانه أسد فتقول زيد
أسد فان هذا مقبول في غير اللغة العربية كما هو مقبول فيها واذا أردت
ان تعبر عن شخص حسن بانه بديع الجمال فتقول هو شمس أو عن حمرة
خده فتقول خدوده تتلظى فان هذا التشبيه حسن في اللغة العربيه غير مقبول
اصلا في اللغة الافرنجية وكذلك مايقال في الريق ونحوه مثل قول الشاعر

خليـلي ان قالت بثينـه ماله * اتانا بلا وعد فقولا لهـا لها
سها وهو مشغول بعظم الذي به * ومن بات طول الليل يرعى السهاسها
بثينه تزري بالغزالة فى الضحي * اذا برزت لم تبق يوما بها بها
لهـا مقلة نجـلاء كحلاء خلقة * كان اباها الظبي او أمهامهـا
دهتني بود قاتـلي وهو متلفي * وكم قتلت بالود من ودها دها
وماست باعطاف لطاف تهزها * فعاينت غصن البان من هزهازها
وقالت وقد سارعت في السير دونها * وقاطعت طرقا دونها ومهامهـا
سلافة ريقي عتقت ثم روقت * فمن لم يمت بالسكر من صفوها وهي
وفي الشفة اللمسا دوا كل مدنف * فان كنت مشتاقا الى رشفهافها

فاغلب التشبيهات الموجودة في هـذه الابيات غير مقبولة عندهم
لانهم يقولون ان الطبع لايؤلف الريق مثلا لكونه آيلا الى البصـاق
واذا اشبهت بضع العذرا قبل اقتضاضهـا بالوردة التي لم تفتح ثم بعده

بالوردة المفتوحة كان ذلك عظيما عند الفرنسيس فبني البلاغة عندهم على مايقبله الطبع ويقال نسبة علم البلاغة للبلاغة كنسبة العروض للشعر فحينئذ قد توجد البلاغة عند من لايحسن علم البلاغة كما انه قد يحسن علم البلاغة غير البليغ وأغلب نفع البلاغة يكون في الشعر والخطابات ونحوها من كتب الآداب والتواريخ وأعظم نفع ذلك العلم التوصل الى معرفة أسرار التنزيل وأعجازه وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم بعث في زمن شعر ونظم وكهانة فايده الله سبحانه وتعالى بالقرآن الذي لو اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فظهر لارباب العقول الصائبة انه كلام قادر يقدر ولا يقدر عليه وانه لايشبه كلام المخلوقين فامنوا به واتبعوه الا من حق عليه العذاب فنزل القرآن الشريف على مقتضيات الاحوال وكانت سائر عباراته مناسبة للاحوال لفظا ومعنى واذا أردت توضيح العلوم الثلاثة ومعرفة قواعدها فعليك بكتب المعاني والبيان والبديع

الفصل الخامس فى المنطق

هو علم يبحث فيه عن المعلومات التصورية والتصديقية من حيث توصيلها الى غيرها والمشهور ان واضعه أرسطو الحكيم المسمى أيضاً أرسطاطاليس وفي كتب الفرنساوية ان إرسطاطا ليس هو الذي قد كمل هذا الفن وان أفلاطون أيضاً هذبه وان زنون وضعه ونسبة هذا العلم للقلب كنسبة النحو للسان والعروض للنظم ونحو ذلك ولهذا العلم مبادو مقاصد فمباديه التصورات والتصديقات ومقاصده التعريفات والاقيسة والتصور أدراك غير الحكم وعكسه التصديق فاذا تصورنا حقيقة الرجل من غير ان نحكم عليه باثباته

ونفى كان ذلك تصورا واذا حكم عليه بانه عالم مثلا فانه يكون تصديقا والتصور قسمان بسيط ومركب فالتصور البسيط أدراك الشيء مجردا عن صفاته والمركب أدارك الشيء مع بعض صفاته مثال الاول ما اذا تصورت الانسان ولم يخطر ببالك انه متحرك ومثال الثاني ماذا تصورته وميزته عن الجماد بتحركه فالتصور لا يكون الا في المفردات كما أن التصديق لا يكون الا في القضايا والقضية هي حكم يحصل باثبات تصور الى آخر أو نفيه عنه فالتصور المسند اليه الاثبات أو النفي يسمي الموضوع والتصور المسند الى الموضوع مما تقدم يسمي المحمول والموضوع والمحمول يسميان جزئي القضية وهذان الجزآن يجمعهما جزء ثالث يسمي رابطة مثال ذلك ما اذا قلت زيد فصيح فان زيداً هو الموضوع وفصيح هو المحمول والرابطة مقدرة والتقدير زيد هو الفصيح أو زيد يكون فصيحاً وأما اذا قلت زيد هو الفصيح فان الرابطة ظاهرة ثم ان القضية أما كلية يعني مستغرقة لسائر الافراد كما اذا قلت كل انسان صنعة الله تعالى وأما جزئية كما فى قولك بعض الحيوان إنسان وكل من القضية الكلية والجزئية مسور *وأما شخصية وأما مهملة فالأولى كزيد قائم والثانية كالانسان كاتب بقطع النظر عن الكلية والجزئية وأما طبيعية كما فى قولك الظلم ردى والقضية أيضاً أما بسيطة أو مركبة فالقضية البسيطة ما كانت غير متعددة الموضوع والمحمول كما في قولك الفضيلة حميدة والرذيلة ذميمة وبخلافها المركبة فهى ما تعدد فيها الموضوع فقط أو المحمول فقط أو هما معا كما اذا قلت الفضيلة والرذيلة ضدان أو الفضيلة محبوبة مطلوبة أو الفضيلة والرذيلة ضدان لا يجتمعان ونحو ذلك واذ كانت القضية المركبة مصنوعة من عدة قضايا بسيطة فانها يكفي في كذبها كذب بعض أجزائها وأما التعريفات التي هي مقاصد التصورات

ومصححات القضايا فانها تنقسم الى تعريف بالحد وتعريف بالرسم وتعريف لفظي فمثال التعريف بالحد قولك الانسان حيوان ناطق ومثال ناطق ومثال التعريف بالرسم قولك الانسان حيوان كاتب ومثال التعريف اللفظي قولك الإنسان هو الآدمي اذا فرضنا ان لفظ الآدمي أشهر وأعرف من لفظ الانسان ويمكن أن يجعل من هذا القسم الثالث سائر تفسير الالفاظ المترجمة من لسان الى آخر مثال ذلك اذا قدرنا أن أعجمياً لا يعرف معني كلمة الله فانك تعرفها له تعريفاً لفظياً بقولك له الله هو خداي وكل من الحد والرسم ينقسم الى تام والى ناقص على حسب كونه بالجنس أو الفصل القريب أو البعيد أو بالخاصة أو بالعرض العام كل منها منفرداً أو مجتمعاً وهذا كله موضح فى كتب المنطق * وأما القياس وهو المقصود الأصلي من علم المنطق فهو مايلزمه لذاته تصديق آخر مثال ذلك ما اذا قلنا ان الله سبحانه وتعالى لا بد أن يقتص من الظالم للمظلوم فانك تقول هكذا الله سبحانه وتعالى حكم عدل وكل من كان كذلك فانه يقتص للمظلوم من الظالم فتكون النتيجة هكذا الله سبحانه وتعالى يقتص للمظلوم من الظالم فمتي سلمنا القضيتين الأولتين فلا بد ان نسلم القضية الثالثة والقضيتان الأولتان تسميان مقدمتين واحداهما تسمى صغري والأخري كبرى وروح القياس هو النتيجه والقياس يكون صحيحاً اذا كان صحيح المادة والصورة وفاسداً اذا فسدت احداهما والمراد بصحة المادة أن سائر قضاياه تكون صحيحة والمراد بصحة الصورة أن يكون منظوماً على كيفية يكون انتاجها ضروريا والقياس الصحيح هو المسمى بالحجة أو البرهان وأما القياس الفاسد أو البرهان الفاسد فيسمى سفسطة وهو مايشبه الصحيح وليس صحيحاً لعدم ملازمة نتيجته الظاهريه للمقدمات الصحيحة وفي

كتب الفرنسيس أن القاعدة التي ينبني عليها القياس الصحيح ويمتاز من السفسطة
هي اثبات أصلين أحدهما مبنى الصحة والآخر مبنى الفساد وهما ان المستلزم
لمستلزم لشيء مستلزم لذلك الشيء والنافي لشيء ناف لشيء آخر هو ناف لذلك
الآخر أو ناف للاثنين معا وكيفية تطبيق هذا على القياس انك اذا سئلت
عن الغضب هـل هو مذموم فاردت ان تستدل على أنه مذموم فانك
تبحث عن طرف القضية التي هو الموضوع فانك ترى من جملة تعريف
الغضب انه عيب فحينئذ كلمة غضب متضمنة لمعنى العيب فتركب مقدمة
هكذا الغضب عيب ثم تقابل العيب مع الذم الذى هو محمول القضية فانك
تجد ان العيب يستلزم الزم فتقول العيب ذميم فاذا لما رأيت ان الغضب
يستلزم العيب والعيب يستلزم الذم فانك تنتج منه ان الغضب ذميم فكل
قياس لا يمكن ان تطبقه على هذا الأصل فانه يكون سفسطة مثال ذلك
أرسطو فيلسوف وبعض الفلاسفة صالح فارسطو صالح فان الانتاج فاسد
وذلك ان القضايا لا تستلزم النتيجة لانه لا يلزم من كون ارسطو هو
احد الفلاسفة وان بعض الفلاسفة صالح ان أرسطوا صالح وبعض أجزاء
القياس قد يحذف للعلم به كما في قولك الفضيلة حميدة فينبغي كسبها والقياس
أما حملي أو شرطي فمثال ما تقدم مثال للحمل ومثال الشرطي لو كانت
الشمس طالعة كان النهار موجوداً لكن الشمس ليست بطالعه تخرج
النتيجة قائلة فالنهار ليس بموجود ومحل ذلك كتب المنطق ثم ان الافرنج
كما يطلقون الكلمات على قواعد اللغة الفرنساوية ويسمون ذلك اعرابا
نحويا يطبقونها على قواعد المنطق ويسمون ذلك منطقياً فاذا أراد انسان
اعراب زيد فاضل اعرابا نحويا فانه يقول مثلا زيد مبتدأ وفاضل خبره
أو نحو ذلك مما يليق بقواعد نحوهم واذا أراد ان يعرب اعرابا منطقيا

فانه يقول زيد موضوع وفاضل محمول وهـذه القضية قضية شخصية ويفعلون ذلك في سائر الجمـل

﴿ الفصل السادس فى المقولات العشرة المنسوبة الى ارسطو ﴾

من المعلوم ان ارسطاطا ليس حصر الاشياء المتعقلة في عشر مراتب تسمى مقولات فجعل المواد داخلة تحت الاولي وجعل سائر الاعراض داخلة تحت التسعة الاخري * المقولة الاولى مقولة الجوهر وهو جسماني وروحاني * الثانية الكم وهو اما منفصل اذا كانت الاجزاء متفرقة مثل العـدد او متصل اذا كانت الاجزاء مجتمعة وهو إما متتابع مثل حركة الفلك اوقار وهو المسمي العظم او الامتداد للجسم من الطول والعرض والعمق فمن الطول وحده تتعقل الخطوط ومن الطول والعرض تتعقل السطوح ومنهما مع العمق يحصل الجسم التعليمى (الثالثة) الكيف وقسمه ارسطو الى اربعة اقسام فالاول هو الاستعدادات يعني تهيات العقل او الجسم المكسوبة بالاعمال المتكررة مثل العلوم والفضائل والرذائل والقدرة على الكتابة والرسم والرقص والثانى القوي الطبيعية مثل قوة النفس والبدن كالادراك والارادة وقوة الحفظ والحواس الخمسة والقدرة على المشي والثالث القوى المشاهدة مثل الصلابة والرخاوة والكثافة والبرد والحر والالوان والاصوات والروايح والاذواق والرابع الصور والاشكال التي ينتهي بها الكم مثل الاستدارة والتربيع والكروية والتكعيبية * الرابعة مقولة الاضافة وهي النسبة بين شيئين مثل الاب والابن والمخـدوم والخادم والملك والرعيـة وكنسبة القدرة والارادة لمتعلقيهما والبصر للمبصر بالقوة وكالنسبة التي تقتضي المشاركة كالشبيه والمساوي والمباين

والاصغر والاكبر * الخامسة مقولة الفعل سواء كان قائما بالفاعل مثل المشي والقيام والرقص والمعرفة والعشق او واقعا منه على غيره مثل الضرب والقتل الى آخره) السادسة مقولة الانفعال مثل الانكسار والانحراق السابعة مقولة الاين يعنى جواب السؤال التي يتعلق بالمكان مثل قولك في مصر في الحريم فى الفراش الثامنة معقولة المتى وهي جواب السؤال الذي يتعلق بالزمان كما اذا قلت متي كان موجودا فلان فقيل من منذ ماية سنة او متي وقع هذا فقيل البارحة التاسعة مقولة الوضع كحالة الجلوس والوقوف وكونه قبل او بعد او امام على اليمين او على اليسار * العاشرة مقولة الملك وهو وجود شيء مع الانسان منسوب اليه كاللباس والزينة والسلاح فتعلق ذلك به وحوزه له هو هذه المقولة فهذه المقولات العشرة التي ذكرها ارسطو وعدت من الامور الخفية والافرنج يقولون انه ليس في معرفة هذه المقولات كبير فائدة بل معرفتها مضرة لشيئين الاول ان الانسان يظن انها مبنية على حكم عقلي ومحصورة بحصر استدلالى مع انها ليست الا اصطلاحية جعلية حصرها بعض الناس في هذه الاقسام ليظهر بها الرياسة على غيره مع انه يوجد في ذلك الغير من يمكنه ان يحصرها حصرا آخر جديدا كما فعل ذلك بعض الناس من انه حصر المقولات في سبعة وسماها المواد العقلية المادة الاولى العقل او الجوهر الدراك الثانية الجسم او الجوهر ذو الامتداد الثالثة القدر او صغر كل جزء من اجزاء الهيولات الرابعة وضع الهيولات على التناسب بين أجزائها الخامسة صورة الاشياء السادسة الحركة السابعة السكون * الشيء الثاني ان متعلمها يكتفى بمجرد الفاظ وهمية ويظن انه على شيء مع انه لم يعرف بها شيئاً له في الواقع معني واضح محقق .

(الفصل السابع في علم الحساب المسمى باللغة الافرنجية الارتماطيقي)

اعلم أن علم الارتماطيقي هو أحد العلوم الرياضية الخالصة وذلك لان حكماء الافرنج قسموا الرياضيات الى خالصة والى غير خالصة أو مختلطة فالرياضيات الخالصة هي علم الحساب الغباري والهوائي وعلم الجبر والمقابلة وعلم الهندسة ونحو ذلك وأما الرياضيات المختلطة فهي علوم الحيل وفن تحريك الاثقال ونحوها والرياضيات الخالصة هي ماتبحث عن الكميات والاشياء القابلة للزيادة والنقصان والرياضيات المختلطة هي مايدخلها أشياء خارجية من علم الطبيعة وغيره والحساب أهم العلوم الرياضية وقد دلت كتب التواريخ على أن واضع هذا العلم أهل بروم الشام يعني الصوريين وقدماء أهل مصر يعني أن هاتين الامتين هما أول من جمع الاعداد والحساب ونظماها في عقد الترتيب حتى ان فيثاغورس الحكيم رحل من بلاد اليونان الى مصر فتلقى فيها هذا العلم ومما اشتهر بين السلف ان علم الحساب من مخترعات الصوريين ويقال انهم أيضاً أول من استعمل القوائم والدفاتر والظاهر أن الاصابع هي أول الطرق التي استعملها الانسان في الحساب وان ذلك هو السبب في كون أول عقد في العدد هو عقد العشرات والثاني عقد عشرات العشرات التي هي المياه والعقد الثالث عقد عشرات الميات أو الالوف وهكذا لان الاصابع عشرة فكأن الانتقال من عقد الى آخر من عشرة الى عشرة ولما كانت الاصابع لاتكفي الا في تمييز عشرة عشرة احتاج الامر الى طريقة اخرى وعلامات اخر فاخذوا صغار الحصى وحبوب الرمل والقمح ونحوها واستعملوها لضبط المعدودات كما هو الآن عند بعض همل أمريكة وبعض

مجمل غيرها من أقسام الأرض حتى ان بعض قدماء الامم الماضين لا يوجد في لغاتهم مايمكن التعبير به عما فوق العشرات فانهم كانوا يعبرون عن ماية وسبعة وعشرين مثلا بقولهم سبعة وعشرتان وعشرة عشرات وذلك لان الاقدمين كانوا يذكرون العدد الاصغر قبل الاكبر فيبتدون بالاحاد ثم بالعشرات ثم بالميات وهكذا كما قال بعضهم انه يوجد في كتب العبرانين واليونانيين مايدل على ذلك وهو أيضاً أسلوب اللغة العربية فيما دون الماية وأما الان فقد تبحر الامم في علم الحساب وتنوعوا وتفننوا فيه حتى وصلوا الى كماله وحد علم الحساب انه علم يبحث فيه عن الاعداد من حيث مايعتريها من الاعمال والعدد اجتماع الاحاد وهو قسمان صحيح وكسر وزاد بعضهم ثالثاً وهو ماتركب منهما وسماه عددا مشتملا على الكسور ويتعلق بهذه الاعداد اعمال أربعة هي الجمع والطرح والضرب والقسمة وهي معلومة في كتب هذا الفن وأما علم الهندسة فموضوعه قياس الامتدادات الثلاثة التي هي الطول والعرض والعمق كما أشرنا اليه في منظومتنا في علم الهندسة بقولنا

موضوعه قياس الامتداد * فسره بالثلاثة الابعاد

والطول والعرض كذا والعمق * وشرح هذي غير مستحق

وأما الجغرافيا فقد تقدم منها نبذة في مقدمة الكتاب وانما ينبغي لنا هنا ان نذكر أقسامها فنقول انه تارة ينظر الى الارض من جهة شكلها وسكونها أو تحركها ونسبتها لماعداها من الاجرام الفلكية فتسمى الجغرافيا الرياضية أو علم هيئة الدنيا وتارة تلاحظ من جهة مادتها الترابية أو المائية ومايتعلق بذلك مما يظهر على سطحها مثل الجبال فتسمى بالجغرافيا الطبيعية أي المتعلقة بطبيعة الارض وتارة ينظر اليها من جهة اختلاف أهلها في الدين والملة فتسمى

بالجغرافية الدينية وتارة ينظر اليها من جهة اختلاف أهلها في التدبير والسياسة والرسوم والقوانين فيسمي ذلك بالجغرافيا السياسية أو التدبيرية وتارة تعتبر من جهة التغيرات والتقلبات الحاصلة طول الازمان المختلفة في الارض وفي أجزائها بالنسبة للدين والسياسة ونحو ذلك ويسمي ذلك بالجغرافيا التاريخية وهذه هي الاصول والا فالقسمة غير حاصرة ومن أراد الكلام على ذلك فعليه برسالتنا المسماة التعريبات الشافية بمريد الجغرافية فانه موضح فيها غاية التوضيح غير أنه ينبغي لنا هنا الكلام على مسألة من مسائل علم الجغرافيا الرياضية التي هي علم الهيئة فنقول الافرنج قسموا الكواكب الفلكية الى ثوابت والي سيارة والى سيارة السيارة والى ذوات الذنب وعدوا الشمس من الثوابت والارض من السيارة والقمر من سيارة السيارة أي التابعة في السير للكواكب السيارة وهذا المذهب يسمي عندهم مذهب كبرنيق النيمساوي وقد كشف المتأخرون منهم عدة كواكب سيارة لم يظفر بها المتقدمون لفقد الآلات عندهم ووجودها لهؤلاء الافرنج فبذلك بلغت السيارات المعروفة عندهم احد عشر غير الشمس والقمر فان الاولى من الثوابت على رأيهم والثاني من سيارة السيارة ولنذكرها لك هنا على حسب قربها من الشمس فنقول هي عطارد والزهرة والارض والمريخ ووستة بكسر الواو وسكون السين المهملة وفتح التاء المثناة أي الجمرة السيارة ويونون بضم الياء والنون بعدها واو وتسمى زوجة المشتري ويقال لها بنت زحل وسريس بكسر السين والراء بعدها ياء مسكنة ويقال لها قريس أي السنبلة السيارة وبلاس بفتح الباء وتشديد اللام ومعناه أبو الفلق والمشترى وزحل وأورانوس بضم الهمزة وراء بعدها الف ثم نون مضمومة ومعناه

الفلك الاعلى وهذه الكوا كب الجديدة لايمكن رصددورانها على نفسها الا بصعوبة لصغر بعضها في رأى العين وبعد البعض الآخر بل لايمكن رصد ما عدا أورانوس الا بالنظارات الفلكية ولهذا سميت عند الافرنج بالسيارات النظارية ويؤمل الافرنج كشف غيرها من السيارات وأما التاريخ فهو أيضاً مما ينبغي للانسان الاطلاع عليه لا سيما أرباب الدول ولنذكر لك هنا نبذة لطيفة ذكرها هنا بعض المؤلفين من الافرنج فنقول

للتاريخ مدرسة عامة يقصدها من أراد من الأمم ان يفوز بالتعلم وهو أيضاً تجربيات حوادث الاعصر التي تساعد الحال الراهنة ومن جهة اشتماله على عبر محفوظة يعين المرء على التفكر في ظاهر الآتي فمنه يعتبر من اعتبر من جميع الناس أياماً كان مقامهم لما انه يظهر على رؤس الاشهاد الآثار الرديئة المترتبة على تشاجرهم واختلافهم ومثل هذه الصورة المهولة تحملهم على التخلق بالاخلاق الحميدة مثل الحلم والعدل ومن التاريخ يفهم الملوك انه في زمن سلطنة ملك حسن التدبير ينبغي ان تكون شوكة الملك وكرسيه ظلا ووقاية قال بسوه لو فرض ان التاريخ لا ينفع غير الامراء فانه يجب قراءته للامراء ولكن انما يفتح التاريخ للعاقل كنوزه ليفهم منها خفياته ورموزه فيشغل فكره مدة قراءته عن تغيرات معيشة الانسان الباطلة ثم ينتقل من ذلك الي مادة أهم من ذلك فتنكشف له سلاسل الزمن العديدة التي تمس حلقتها الأخيرة خالق العالم وليس ان هذه السلاسل كميدان عظيم يطلع الانسان فيه دفعة واحدة على جميع الأمم والدول وأزمان كل فالناظر الى هذا المحفل العظيم المحتوى على أرباب سعود ونحوس فكم فيه من مدائن دمرت ومن دول انقرضت ومن ممالك ذهبت واندثرت ومن محال خربت ومن مقابر عمرت فكان

كل شيء يؤل الى القبور وهي التي تعلو وحدها على ميدان الارض فكم تظهر زينة الحياة الدنيا هينة حقيرة اذا نظر الانسان من سماء التاريخ وكم يظهر ان الجمعية التي في زماننا يسيرة هينة بجانب جمعيات أهالي القرون والاعصار فشتان بين ملوك عصرنا الذين يمكن للناظر ان يقيس عظمها المحسوس وملوك تلك الازمنة التي يظهر للاعين كأنهم جبال مرفوعة على دائرة افق الاعصر السالفة وانظر ماتكون حروبنا الوقتية وحبنا للعلو والشرف الموقتين بجانب منازعة السلف من مبدء العالم على مكان من الامكنة أو على شبر من أرض فمن نظر حق النظر في عجائب التاريخ فانه يكتسي بثياب الجد ويجرد عن ملابس الهزل ويصعد على ذروات النظر فيرى تحت رجليه ان العالم باسره اشبه بحر محيط تسبح فيه سفن آمال الخلق وامانيهم من غير دفة عرضة للرياح الشديدة وينتهي أمرها الى الانكسار على مايصادمها من الشعوب ولا تجد من المراسي ماترسي عليه غير قرضات القدم فاذا نظرت من هذا المحل ترى بعين مجردة عن الطمع حطام الدنيا الفانية والمدح الباطل المقصودين المرغوبين لكثير من الناس كلا شيء أو ليس ان للدهر نكبات وتغيرات في جميع ماوهبه وأعطاه فاي مملكة أمنا على كرسيها من السقوط وأي دولة آيسنا على تحتها من الارتفاع أوما رأينا أن الهيكل الواحد يتداول على محرابه عدة أديان متباينة وكم ارتكبت الرذائل حيث كانت الفضائل قاطنة وكم من قواعد فخر وغنا آل أمرها الى أن أعقبها الفقر والحقارة وكم شوهد أن الخشونة والتمدن يمشيان بهرولة على سطح الكرة ويتبادلان على اجزائها من غير تخلل واسطة بينها وكيف قد آل أمرك أيتها المداين التي كنت عامرة ببلاد آسيا وقد كنت تحكمين على جميع الامم يامدن نينيويونس وبابل

الصحراويا اصطخر فارس وتدمر سليمان كيف صارت الآن محالك خراباً وقد كنت كراسي دول العلوم فلم يبق لك من فخارك القديم وبهائك الجسيم غير الاسم وبعض رسم من حجر ومع ذلك فلم يحل ببلد من بلاد الدنيا من النكبات العجيبة والبلايا الغريبـة مثل ماحل بمصر المباركة المصابة بالشقاء التي كانت خيولها تسبق سالفا خيول سائر الممالك في الركض في ميادين الفخار والعلم والحكمة فكان الدهر أراد ان يصب على هـذه البلاد دفعة واحدة اما نعم الانعام أو عذاب الانتقام مع انه لم يكن من الامم مثل قدماء مصر في كونهم بذلوا جهدهم في الجلوس على مبـاني هيا كلهم المشيدة وأرادوا بذلك ان يكونوا مؤبدين فبادوا جميعا وانقرضوا حتى ان أهل مصر الموجودين الآن ليسوا جنساً من أجناس الامم بل هم طائفة متجمعة من مواد غير متجانسة ومنسوبون الى عدة جنوس مختلفة من بلاد آسيا وافريقية فهـم مثل خليط من غير قياس مشترك وتقاطيع شكل صورهم لاتقوم منها صورة متحدة بهـا يعرف كون الانسان مصريا من سحنته فكأنما سائر بلاد الدنيا اشتركت في تأهيل بر النيل انتهى مترجما من مقدمة الخواجه آكوب في تاريخ مصر وفي آخرها يمدح ولي النعم محيي بلاد مصر من العدم وقد مدحه أيضاً في قصيدة فرنساوية سماها نظم العقود في كسر العود وقد ترجمتها وذكرت بعضاً منها في الفصـل الثاني من المقالة الثالثة وعلم التاريخ واسع وان شاء الله تعالى بانفاس ولي النعم يصـير التاريخ على اختلافه منقولا من الفرنساوية الى لغتنا وبالجملة فقد تكفلنا بترجمة علمي التاريخ والجغرافيا بمصر السـعيدة بمشيئته تعـالى وبهمة صاحب السـعادة محب العلوم والفنون حتى تعد دولته من الازمنة التي تؤرخ بها العلوم والمعارف

المتجددة في مصر مثل تجددها في زمن خلفاء بغداد

الخاتمة فى رجوعنا من باريس الى مصر وفى عدة أمور مختلفة

من المعلوم لمن نفس القاريء لهذه الرحلة تتطلع الى معرفة نتيجة هذا السفر الذي صرف عليه ولي النعمة مصاريف لم تسبق لاحد من الملوك ولا سمع بها في التواريخ عند سائر الامم وانما تسطيرها في تاريخ دولة الخديوي مما يدل على ان حضرته الملوكية صاحبة الهمة العلية قد تبصرت في عواقب الامور وأصابت المرمي في جميع ماشرعت فيه مما يبقى به الذكر على ممر الدهور ولا شك ان ذلك تقصر عنه همة قيصر وتكل عن نيل مثله قوة اسكندر الاكبر ولا يمكن لمثل نابليون ان يفوق فيه نباله ولا لمثل افريدريقوس ان يوجه اليه باله أو يميل اليه آماله فكيف وارسال ولي النعمة للافندية الى باريس قد نجح غاية النجاح وأثمر حيث ان جلهم قد اكتسب رضاء صاحب السعادة وسارع في المطلوب وعن ساعد الجد والاجتهاد شمر فقد أرضع حفظه الله تعالى في تلك الديار بألبان العلوم أطفالا حتى صاروا بكمال المعارف رجالا بل منهم من وصل الى رتبة أساطين الافرنج فهم مابين مدبر للامور الملكية حائز كمال الرتبة في السياسات المدنية كحضرة صاحب البراعة واليراعة رب الطالع السعيد وذو النجابة والرأي السديد عبدي أفندي وما بين متمكن في معرفة ادارة الامور العسكرية راق فيها الى درجة علية وما بين رباني بسائر الامور البحرية أو خبير بالطب أو بالكيميا الصحيحة المرضية وبصير بالطبيعيات وماهر في علم الزراعة والنباتات ومنهم فائق الاقران في الفنون والصنائع وحري بفتح فبريقات تشتهر ببراعته بغير

منازع ولولا خوف الاطالة لذكرت جميع من ظفر بقصده من الافندية على حسب حوزه للمراتب العلية ولعمري لااستطيع عدم التعرض لعدة أشخاص قد بلغ فضلهم الغاية في الامتياز غير اني أسلك في ذكرهم غاية الايجاز كيف لاأقول ان حضرة مصطفى مختار بيك أفندي قد بلغ درجة كبار الفرنساوية في علم ادارة المهمات العسكرية وقد حاز مرتبة سامية من العلوم وتمكن من المنطوق منها والمفهوم ولا شك انه ممتاز بالعلوم التدبيرية وجامع لمعارف الديار الافرنجية وسع الله به دائرة المعارف بمالك مصر والشام وجعله مقبولا لدى ولي النعم الاكبر وسر عسكر نجله الضرغام وليس كل من اكتسب المعارف يصدر عنه عمل اللطائف قال الشاعر

وعادة السيف ان يزهو بجوهره * وليس يعمل الا في يدي بطل

وأما حضرة حسن بيك أفندي والأفندية البحريون ففضلهم وكمال علومهم ثابت بالبرهان يدل عليه امتيازهم بين الاقران وشهرة اسطفان أفندي غنية أيضاً عن البيان فقد حاز من العلوم ما حاز وفاز من الفنون بما فاز ولا ينكر فهم الطين أفندي في جميع أنواع العرفان ولا خليل أفندي محمود وتعلم احمد أفندي يوسف مشهود غير مجحود وبالجملة فالجل من الأفندية حصل المرام ورجع لنشر هذا بديار الاسلام ولنذكر هنا رجوع العبد الفقير الى مصر ليتم غرض هذه الرحلة فنقول * خرجنا من باريس في شهر رمضان سنة ١٢٤٦ وسرنا نقصد مرسيليا لنركب البحر ونرجع الى سكندرية فمررنا على مدينة فنتنبلو بقرب باريس بها قصر سلطاني وهذا القصر شهير بان نابليون نزل فيه عن سلطنة فرانسا وخلعها عنه سنة ١٨١٥ من الميلاد ويشاهد به عمود على شكل الهرم مبني من الحجارة والقصد منه انه تبقى آثاره لتذكر رجوع البربون في

فرافسا فتجد مرسوما عليه اسماؤهم وتاريخ ولادتهم وغير ذلك وفي هذه الفتنة الاخيرة محى الخلق هذه الاسامي فلا يشاهد منها الا الآثار وهكذا عادة الزمان في تلونه بجميع الالوان وغدره وفتكه بقوم واقباله على آخرين قبل تمام يوم قال الشاعر

قتلت صناديد الرجال فلم ادع * عدوا ولم امهل على جيشه خلقا
وأخليت دار الملك بعد ملوكهم * فشردتهم غربا وبددتهم شرقا
فلما بلغت النجم عزا ورفعة * وصارت رقاب القوم اجمع لي رقا
رماني الردا سهما فاخمد جمرتي * فهاأنا ذا في حفرتي عاطلا ملقى

وكتابة تلك الرسوم من عادة الافرنج تأسيا بالسلف من أهالي مصر وغيرهم فانظر الى بناء أهل مصر للبرابي واهرام الجيزة فانما بنوها لتكون آثارا ينظر بعدهم اليها من رآها ولنذكر لك آراء الافرنج فيها وما ظهر لهم بعد البحث التام حتى تقابله بما ذكره المورخون فيها من الاوهام فنقول ملخص كلام الافرنج ان الذي بناها هو ملوك مصر وانه اختلف في زمن بنائها فبعضهم زعم انها بنيت من منذ ثلاثة آلاف سنة وان الباني لها ملك يقال له قوف وبعضهم قال ان الباني لها ملك يقال له خميس أو خيوبس والاظهر ان أحجارها منحوتة من صعيد مصر لامن البحيرة وقال بعضهم ان مدة بنائها لم تكن أزيد من ثلاثة وعشرين سنة وان العملة الذين بنوها كانوا ثلثماية وستين الف نفس ولكن بمصاريف عظيمة حتى ان ماصرف على البصل والكرات للعملة يبلغ على ماقاله بلنياس نحو عشرين مليونا من القروش المصرية ثم ان هذه الاهرام تنسب الى أحد ملوك الفراعنة وانه أعد الهرم الاكبر ليضم جثته والآخرين لدفن زوجته وبنته فلم يدفن هو في الاول بل بقي هذا الهرم

الآن مفتوحا وأما الهرمان الآخران فدفنت فيهما ابنته وزوجته وسدا سدا محكماً
هذا ما حكاه الافرنج في شأن الاهرام ومما قيل في عظم بناء الهرمين العظيمين

خليلي ما تحت السماء بنية * يشابه بنياها بنا هرمي مصر
بناء يخاف الدهر منه وكلما على * الارض يخشى دائماً سطوة الدهر

وقال بعضهم في الاهرام مضمنا عجز بيت في معلقة طرفة

لقد بت بالاهرام حول أحبة * جفوني ببرد يابس وتجلد
يقول بها صحبي لبرد جليدها * وجرى لاتهلك أسي وتجلد

قال السيوطي في منتهى العقول انه يتعجب من قول العلماء ان أعجب ما في مصر الاهرام مع ان البرابي بالصعيد اعجب منها والبرابي هي المشهورة عند العامة بالمسلات ولغرابتها نقل اليها الافرنج اثنتين الى بلادهم أحدهما نقلت الى رومة في الزمن القديم والاخرى نقلت الى باريس في هذا العهد من فايض معروف ولي النعم واقول حيث ان مصر اخذت الآن في أسباب التمدن والتعلم على منوال بلاد اوروبا فهي أولى واحق بما تركه لها سلفها من أنواع الزينة والصناعة وسلبه عنها شيئاً بعد شيء يعد عند أرباب العقول من اختلاس حلى الغير للتحلي به فهو اشبه بالغصب واثبات هذا لا يحتاج الى برهان لما انه واضح البيان وقد صنع نابليون في باريس عمودا مفرغا من المدافع القسى سلبها من الموسقو والنمسا وقد حاول الموسقو اسقاطه حين حلولهم بباريس فما ظهر الا عجزهم عن ذلك ثم بعد ان جزنا فنتنبلو شاهدنا مدينة نيمور بعد سير أربع ساعات من فنتنبلو وهي على عشرين ساعة ايضا من باريس ثم بعدها مررنا على مدينة كونة على شط نهر الوارة وهي مدينة تصنع فيها الهلاليب للمراكب السلطانية ثم على مدينة مولن وبها كثير من اولاد العرب الذين صحبوا الفرنساوية من مصر الى فرانسا ثم صرنا حتى وصلنا مدينة

روانة وهى على سبعـة وتسعين فرسخا فرانساويا على جنوب باريس قبل الوصول الى مدينة ليون بثلاثة عشر فرسخا واهلها تسعة آلاف نفس وبها ديوان مشورة للفبريقات ومشورة للزراعة وكتبخانة ومخزن آلات طبيعية وهندسة وبها قنطرة ظريفة على نهر لوار ورصيف مشهور وهي ساحل لمركز تجارات ليون وغيرها من سائر انواع البضائع وباراضيها مقاطع الرخام ونهر لوارة يمكن المسير فيه بقرب هذه المدينة وهذه المدينة غير مدينة روان البعيدة عن باريس جهة الشمال بثلاثين فرسخا والتي يمر بها نهر السين والتي هي من اقليم نومنديا ثم وصلنا الى مدينة ليون وقد تقدم الكلام عليها ثم وصلنا الى مدينة اورغون التي على جنوب باريس عاية وثمانية وسبعين فرسخا فرانساويا وهى في سفح جبل شهيرة بكون نابليون حال عبوره بها تخفى خوفا من اهلها ولا زلنا نمر ببلاد حتى وصلنا الى مرسيليا وقد تقدم الكلام عليها مستوفيا ومنها نزلنا في سفينة تجارية وسرنا قاصدين اسكندرية ولا حاجة ايضا الى ذكر ماشهدناه لانه عين ماسبق في المقصد غاية ما اقول ان كل من يعرفني من الفرنساوية طلب مني انني بمجرد دخولى اسكندرية اذكر مايقرع فكرتي مما استغربه لبعد عهدي من مصر ولرؤيتي خلافه في بلاد الافرنج وتعودي على مشاهدة غيره يظهر لى غرابة ما اراه اول وهلة حين وصولى فوعدت ووفيت هذا حاصل ما كان لخصت حسب الامكان فلم يبق علينا حينئذ الا ذكر خلاصة هذه الرحلة وما دققت فيه النظر وامعنت فيه الفكر فاقول ظهر لى بعد التأمل في آداب الفرنساوية واحوالهم السياسية انهم اقرب شبها بالعرب منهم للترك ولغيرهم من الاجناس واقوى مظنة القرب بامور كالعرض والحرية والافتخار ويسمون العرض شرفا ويقسمون

به عند المهمات واذا عاهدوا عاهدوا عليه ووفوا بعهودهم ولا شك ان العرض عند العرب العربا اهم صفات الانسان كما تدل على ذلك اشعارهم وتبرهن عليه آثارهم قال الشاعر

واني لحلو للصديق وانني * لمر لذي الاضغان ابدي له بغضى
واني لاستغني فما ابطر الغنا * وابذل ميسور ألمن يبتغى قرضي
واعسر احيانا فتنفد عسرتي * وادرك ميسور الغني ومعي عرضي

وهتك العرض هو مايعبر به عندهم بالسبة والعار قال الشاعر

تعيرنا انا قليل عدادنا * فقلت لها ان الكرام قليل
وما ضرنا انا قليل وجارنا * عزيز وجار الاكثرين ذليل
يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول
وانا لقوم مانرى القتل سبة * اذ مارأته عامر وسلول
اذا سيد منا خلا قام سيد * قوول لما قال الكرام فعول
سلى ان جهلت الناس عنا وعنهمو * فليس سواء عالم وجهول

ولا يظن بهم انهم لعدم غيرتهم على نسائهم لاعرض لهم في ذلك حيث ان العرض يظهر في هذا المعنى اكثر من غيره لانهم وان فقدوا الغيرة لكنهم ان عملوا عليهن شيئاً كانوا اشر الناس عليهن وعلى انفسهم وعلى من خانهم فى نسائهم غاية الامر انهم يخطؤن فى تسليم القياد للنساء وان كانت المحصنات لايخشي عليهن شيء كما قال الشاعر

اذا غاب عنها البعل لم تفش سره * وترضي اياب البعل حين يؤوب

قال الزمخشرى عند قوله تعالى حكاية عن قول العزيز واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين ما كان العزيز الاحليما وقيل انه كان قليل الغيرة قال الشيخ اثير الدين ابو حيان في تفسير هذه الآية الكريمة وتربة مصر اقتضت هذا يعني

قلة الغيرة واين هذا مما جري لبعض ملوك بلادنا وهو انه كان مع ندمائه الخصيصين به في مجلس انس وجارية تغني وراء الستارة فاستعاد بعض جلسائه بيتين من الجارية وكانت قد غنت بهما فما لبثت ان جيء برأس الجارية مقطوعا في طشت وقال له الملك استعد البيتين من هذا الرأس فسقط مغشيا عليه ومرض مدة حياة ذلك الملك أقول واين غيرة هذا الملك من غيرة عبد المحسن الصوري على محبوبته حيث قال

تعلقته سكران من خمرة الصبا * به غفلت من لوعتي ونحيبي
وشاركني فى حبه كل ماجد * يشاركني في مهجتي بنصيب
فلا تلزموني غيرة ماالفتها * فان حبيبي من أحب حبيبي

انتهى سكردان بن حجلة صاحب ديوان الصبابة وبالجملة فسائر الامم تشكي من النساء ولو العرب قال الشاعر

لقد باليت مظعن ام اوفي * ولكن ام اوفي لاتبالي

وقال آخر

فان تسألوني بالنساء فانني * بصير بادواء النساء طبيب
اذا شاب رأس المرء اوقل ماله * فليس له في ودهن نصيب
يردن ثراء المال حين علمنه * وشرخ الشباب عندهن عجيب

وحيث ان كثيرا مايقع السؤال من جميع الناس عن حالة النساء عند الافرنج كشفنا عن حالهن الغطاء وملخص ذلك أيضاً ان وقوع اللخبطة بالنسبة لعفة النساء لايأتي من كشفهن أوْ سترهن بل منشأ ذلك التربية الجيدة والخسيسة والتعود على محبة واحد دون غيره وعدم التشريك في المحبة والالتئام بين الزوجين وقد جرب في بلاد فرانسا ان العفة تستولى على قلوب النساء المنسوبات الى الرتبة الوسطى من الناس دون

نساء الاعيـان والرعاع فنساء هاتين المرتبتين يقع عندهم الشبهة كثيرا
ويتهمون في الغالب فكثيرا ما كانت تتهم الفرنساوية نساء العيلة الملكية
المسماة البربون على ان مما يقوى كلامهم ماوقع لزوجة ابن ملك فرانسا
المعزول التي هي أم الدوك دوبردو الذي خلع عليه جده المملكة بعد عزله
ولم يقبله الفرنساوية وقالوا ان هذا الولد ابن زنا فان أمه ولدت ولدا آخر
من الزنا وادعت انها تزوجت سرا فانكسر بذلك ناموسها وبعد ان كانت
تطلب مملكة فرانسا لابنها الاول وكانت آخذة في اسباب توليته وكان
يخشى منها وقوع شيء في المملكة سقطت من الاعين وبعد ان وقعت
في يد الفرنساوية وكان يظن هلاكها تركوا سبيلهـا قائلين انها صارت
مهملة ورجعت الى أهلها بولدها الاخير ومن اغرب ماوقع ببلاد الافرنج
في هذا الامر ان ملك الانكليز جرجس الرابع اتهم زوجته بالفاحشة
بعد ان عهد منها ذلك المرار العديدة واشتهرت بذلك عند الخاص والعام
لكونها كانت تسافر ببلاد الافرنج مع من تريد ولها في كل محل عشاق
فلما رفع امرها عند شرعهم واقيمت الدعوى كما ينبغي وقصد باثبات
زناها طلاقها ليتزوج بغيرها فلم تثبت أمور كافية في الطلاق فحكم القاضي
بابقائها على عصمته قهرا عنه فبقيا متفرقين ولكن لم يتزوج غيرها وذاع
امرهما وشاع ولكن في الحقيقة وان كان يعتقد فيها ذلك الا انه بمجرد
القرائن لا بالمشاهدة والا لانثلم عرضه فمادة العرض التي تشبه الفرنساوية
فيها العرب هو اعتبار المروءة وصدق المقال وغيـر ذلك من صفات
الكمال ويدخل في العرض أيضاً العفاف فانهم تقل فيهـم دناءة النفس
وهذه الصفة من الصفات الموجودة عند العرب والمركوزة في طباعهم
الشريفة وان كانت الآن قد تلاشت فيهم واضمحلت فانما هو لكونهم

قاسوا مشاق الظلم ونكبات الدهر واحوجهم الحال الى التذلل والسؤال ومع ذلك فقد بقى منهم من هو على اصل الفطرة العربية عفيف النفس على الهمة كما قال الشاعر

فدعني ونفسي والعفاف فانني * اخذت عفافي في حياتي ديدني

واصعب من قطع اليدين على الفتى * صنيعة بر نالها من يدي دني

واما الحرية التى تتطلبها الافرنج دائما فكانت ايضا من طباع العرب فى قديم الزمان كما تنطق به المفاخرة التي وقعت بين النعمان ابن المنذر ملك العرب وكسرى ملك الفرس وصورتها انه قدم النعمان على كسرى وكان عنده وفود الروم والهند والصين والعجم والترك وغيرهم فذكروا من ملوكهم وبلادهم وعماراتهم وحصونهم فافتخر النعمان بالعرب وفضلهم على جميع الامم ولم يستثن فارسا ولا غيرها فقال كسري وقد اخذته الغيرة يانعمان لقد فكرت في العرب وفي غيرهم من الامم ونظرت فى حال من يقدم على من الوفود فوجدت الروم لها حظ في اجتماع الفتها وعظيم سلطانها وكثرة مدائنها ووثيق دينها ورأيت الهند شهيرة الحكما طيبة الثرا كثيرة الانهار والبلاد والثمار عجيبة الصناعة مرونقة الحسان معمورة بالاهل وكذلك الصين عجيبة فى اجتماعها وكثرة صنايع ايديها وهمتها في الحروب وصنعة الحديد وان لها ملكا يجمعها وكذلك الترك مع ماهم عليه من سوء الحال في المعاش وقلة الريف والثمار والحصون وما هو رأس عمارة الدنيا من المساكن والملابس فان لهم بعد ذلك ملوكا تضم قاصيهم وتدبر امورهم ولم ار للعرب شيئاً من ذلك من خصال الخير فى امر دين ولا دنيا ولا حرمة ولا قوة ولا عقد ولا حكمة مع مايدل على تدانيها وذلها وضعف همتها بحالهم التى هم بها مع الوحوش النافرة.

والطيور الحائرة يقتلون اولادهم من الفاقة ويأكل بعضهم بعضا من الحاجة قد حرموا من مطاعم الدنيا ومشاربها وملابسها ولهوها ولذاتها واعظم طعام ظفروا به لحوم الابل التي يعافها كثير من الطيور والسباع لثقلها وسوء طعمها وخوف دائها وان اقري احد ضيفا اعتدها مكرمة وان أطعم لقمة اعتدها غنيمة تنطق بذلك اشعارهم وتفتخر بذلك رجالهم ماعدا هذه التنوخية التي أسس جدي اجتماعها وشد مملكتها ومنعها من عدوها ليجرى له ذلك الى يومنا هذا فان لها مع ذلك آثاراً وحصوناً وأموالا تشبه أموال بعض الناس لكني أراكم لاتسكتون على مابكم من الذلة والقلة والفاقة والبؤس حتي تفتخرون وتريدون ان تنزلوا فوق مراتب الناس فقال النعمان أصلح الله الملك صدقت إن هذه الامة تسموا بفضلها وبعظم خطبها وعلو درجتها الا أن عندي جواباً فى كل مانطق به الملك من غير رده عليه ولا تكذيب له فان أمنتني من الغضب مما أتكلم به فعلت قال كسري وأنت آمن فقال النعمان أما أمتك فلا تنازع في الفضل لموضعها التي هي به من عقولها وأخلاقها وبسطة محلها وبحبوحة عزها وما كرمها الله تعالي به من ولايتك وولاية آبائك وأجدادك وأما الامم التي ذكرت فما من أمة الا فضلتها العرب بفضلها قال كسري لماذا قال النعمان بعزها ومنعتها وحسن وجوهها وذمتها وبأسها ورياستها وسخائها وحكمة ألسنتها وشدة عقولها ووفائها فاما عزها ومنعتها فانها لم تزل مجاورة لآبائك وأجدادك الذين فتحوا البلاد ووطنوا العباد وأقاموا الملك وقادوا الجيوش ولم يطمع فيهم طامع ولم يزالوا عندهم محترمين ولا نال أحدا منهم نائل بل حصونهم ظهور خيولهم ومهادهم الارض وسقوفهم السماء والى جانبهم السيوف وعدتهم السقف اذ غيرها من الامم انما

عزها بالحجارة والطين والجزائر والبحور والقلاع والحصون وأما حسن وجوهها والوانها فقد يعرف بذلك فضلهم على الهند المحترقة والصين المتجمشة والترك المشوهة والروم المقترة الوجوه وأما انسابها واحسابها فليس أمة من الامم الا وقد جهل آباؤهاوأصولهاوكثيرمن أولهاوآخرها حتى إن أحدهم ليسأل عمن وراءأبيه فلا ينسب ولا يعرفه وليس أحد من العرب الا ويسمي أباه أبافابا أحاطوا بذلك أحسابهم وحفظوا بذلك انسابهم فلايدخل رجل في غير قومه ولا ينسب الى غير نسبه ولا يدعى الى غير أبيه وأماشجاعتهاوسخاؤها فان أدناهم رجلا يكون عنده البكرة والناب عليها بلغته وحمولته وشبعه وريه فيطرقه الطارق الذي يقتدي بالقادة ويجتري بالشربة فيعقرهاله ويرضي أن يخرج له عن دنياه كلها فيما يكتسبه من حسن الاحدوثة وطيب الذكر والثناء وأما حكمة ألسنتها فان الله تعالى أعطاهم أشعارا ورونقاً كاملا وحسن وزنه وقوافيه مع معرفتهم بالاشارة وضربهم الامثال وبلاغتهم في الصفات ماليس من السنة الاجناس ثم إن خيولهم أفضل الخيول ونساءهم أعف النساء ولباسهم أحسن اللباس ومعادنهم الذهب والفضة واحجار جبالهم الجزع ومطاياهم التي لايبلغ الا على مثلها سفر ولا يقطع الا بمثلها بلد قفر واما دينهاوشريعتهافانهم متمسكون به اعظم تمسك وان لهم أشهراً حرماو بلداً محرماو بيتاً محجوجاينسكون فيه مناسكهم ويذبحون فيه ذبائحهم فيلقى الرجل فيه قاتل أبيه واخيه وهو قادر على اخذ ثاره منه وادراك رغمه فيه فيحجزه كرمه ويمنعه دينه عن تناوله اياه احتراماً لذلك البيت وتشريفاً له واما وفاؤهم فان احدهم يلحظ اللحظة فهي عقد لاهلها لايرجع عما اضمره في نفسه حتى يبلغه وان احدهم يرفع عودا من الارض فيكون رهنا بدينه فلا يطاق رهنه ولا يخفر ذمته خوفا من

الله تعالى وان احدهم يبلغه ان احد استجار به وعسى ان يكون نائيا عن داره فيمنع عنه عدوه ويحميه منه ولو تفني قبيلته او تلك القبيلة التى استجار عليها وذلك لما اخفر من جواره وان احدهم ليلجأ اليه المحروم والمحدث عنه بغير معرفة ولا قرابة فينزلونه عندهم وتكون انفسهم واموالهم دون ماله واما قولك ايها الملك حفظك الله انهم يقتلون اولادهم من الحاجة فانما يفعله من فعله منهم رغم انفه حذرا من العار وخيفة وغيرة من الازواج واما قولك ايها الملك ان افضل طعام ظفروا به لحوم الابل على ماوصفت منها فما تركوا مادونها الا احتقارا له فعمـدوا الى اجلها وافضلها فكانت مراكبهم ومطاعمهم مع انها اكثر البهائم لحوما واطيبها شحوما وارقها البانا واقلها غايلة واحلاها مضغة وانه لاشيء من اللحوم يفاخر لحمها الا استبان فضلها عليه واما تحاربهم واكلهم بعضهم بعضا وتركهم الانقياد الى رجل واحد يسوسهم ويدبر امورهم فانمـا يفعل ذلك من الامم من علمت الضعف من انفسها وتخوفت من نهوض عدوها عليها فانهم يحتاجون الى ملك يدبر امرهم ويكون رجـلا من اعظمهم شأنا وقدرا ويكونون معترفين بشرفه على سائرهم فينقادون اليه بازمتهم وينقادون الى امره واما العرب ايها الملك فان كثيرا فيهم لعظم كرمهم ووفائهم ودينهم وحكمة السنتهم وسخاء نفوسهم يقولون انهم ملوك باجمعهم مع رفعتهم فلا ينقاد احد الى الآخر فانهم اشراف واما اليمن التى وصفها الملك فان آباءك واجدادك اعلم بصاحبها لما اتاه ملك الحبشة في مائتي الف وتغلب على ملكه وجاء الي بابك وهو مستصرخ ذليل حقير مسلوب فلم يجره احد من اجدادك ولا آبائك فاستجار بالعرب فاجاروه ولولا ما وتربه من بلية العرب لمال الي نقص ولم يرجع الي محله ولولا انه وجد من

يجيد معه الطعان بقتل الاحرار وتبدد شمل الكفار ويذبح العبيد الاشرار لم يرجع الى اليمن قال فعجب كسري مما جاء به النعمان ثم قال له انك لاهل لموضعك من الرياسة ولاهلك ولاهل اقليمك ولما هو افضل منه ثم كساه وانعم عليه واعطاه اشياء جزيلة ثم سيره الى موضعه من الحيرة ثم بعد ذلك سير اليه وقتله والتنوخية فرقه من اليمن قال المتنبي على لسان بعضهم

قضاعة تعلم اني الفتي الـذي ادخرت لصروف الزمان

ومجدي يدل بني خندف * على ان كل كريم يمان

انا ابن اللقاء انا ابن السخاء * انا ابن الضراب انا ابن الطعان

انا ابن الفيافي انا ابن القوافي * انا ابن السروج انا ابن الرعان

طويل النجاد طويل العماد * طويل القناة طويل السنان

حديد اللحظ حديد الحفاظ * حديد الحسام حديد الجنان

يسابق سيفي منايا العباد * اليهم كأنهم في رهان

يري حده غامضات القلوب * اذا كنت في هبوة لا اراني

ساجعله حكما في النفوس * ولو ناب عنه لساني كفاني

وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال حضر رجل من اهالي مصر الى عمر بن الخطاب وجعل يشكو من عمرو بن العاص فقال يا امير المؤمنين ان هذا مقام العائذ فقال عمر لقد عذت فما شأنك قال تسابقت بفرسي انا وابن عمرو بن العاص فسبقته فجعل على بسوط في يده وجعل يقنعني بالسوط ويقول لي انا ابن الاكرمين وبلغ ذلك لعمرو بن العاص فخشي ان آتيك لاشكي ولده وحبسني فتفلت من الحبس وها انا قد أتيتك قال فكتب كتابا عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص انه اذا اتاك كتابي هذا احضر الموسم يعني الحج انت وابنك ثم التفت الى المصري

وقال له قم حتى يأتي غريمك فلما حضر عمرو بن العاص وابنه الحج وجلس عمر بن الخطاب وجلسوا بين يديه وشكى المصري كما شكى أول مرة فاومى عمر بن الخطاب وقال له خذ الدرة وانزل بها عليه قال فدنى المصري من ابن عمرو بن العاص ونزل عليه بها وعن انس قال والله لقد ضربه ونحن نشتهي أن نضربه فلم يزل يضربه حتى استحييناان لا يضربه وذلك من كثرة مايضربه وعمر رضي الله عنه يقول اضرب ابن الا كرمين قال عمرو بن العاص قدشفيت يا امير المؤمنين قال عمر بن الخطاب للمصري انزع عمامته وضع الدرة على صلعة عمر نخاف المصري من ذلك وقال يا أمير المؤمنين قد ضربت من ضربني فمالى أضرب من لم يضربني فقال عمر رضي الله عنه والله لو فعلت لما منعك أحد ثم التفت رضي الله عنه وقال لعمرو بن العاص متى استعبدت من ناس وقد ولدتهم أمهم أحرارا انتهى فمنه يفهم ان الحرية أيضاً من طباع العرب من قديم الزمان هذا ولا ينبغي لنا ان نختم هذه الرحلة من غير ان نشكر محاسن من ساعد ولي النعم في نجاح مقصوده من ترتيب أمور التلامذة وتعليمهم بمدينة باريس محب البلاد المصرية وأهلها الخواجة جومار فانه يسعى بهمته ورغبته في تنفيذ مقصد أفندينا ولي النعم ويسارع في المصلحة بلا انكار فكانه من أبناء مصر البارين بها فهو جدير بان ينتظم في سلك المحبين للذات الخديوية ومما يدل على ذلك غاية الدلالة ماذكره في روزنامته التي الفها لاستعمال مصر والشام سنة الف ومائتين وأربعة وأربعين من الهجرة فانه ذكر فيها انه ان صدرت له ارادة سنية وأوامر خديوية ليؤلفن كل عام روزنامة بهذا الوضع ليبين على حسن تمدن الايالات المصرية فمن جملة ماقاله في مقدمته انه يذكر في هذه الروزنامة عدة أمور * الامر

الاول الدلالة على تقدم الحرف والصنائع اللازمة لمصر من أولها لآخرها * الثاني تجارة أهالي أوروبا وآسيا وافريقية كقوافل بلاد البربر ودارفور وسنار وبلاد الحجاز ومقابلة الاقيسة والمكايل والموازين المختلفة باختلاف البلاد المستعملة هي فيها * الثالث ذكر أمور الزراعة فانها كانت سببا في سالف الاعصر في غناء أهل مصر فلهذا ينبغي ان تكون أول ماتهتم به الدولة في مملكة مصر الطيبة التربة والزراعة كثيرة الفروع المهمة فمن ذلك علم توفير المصاريف الحلائية ويتشعب عنه اصلاح المزارع والمروج المستحدثة المدبرة وتعميم زراعة القطن والنيلة والعنب والزيتون والتوت واستخراج دقيق النيلة واستخراج أنواع كثيرة من الزيوت ومعرفة تربية النحل ودود القز ودود الصباغة وتمهيد الحيوانات الاهلية وتحسين الحيوانات البلدية بعزلها عن غيرها كالخيل والمعز وحيوانات الاصواف وجلب البهائم البرانية ومعرفة طب البهائم ومعالجة أمراضها كمرض السواف وحفظ الحبوب من السوسة وغرس الاشجار وترتيبها بحافات الطرق وخدمة البساتين وسائر الابنيه الحلائية المناسبة لمصالح الزراعة وفي مادة الزراعة نذكر الترع والخلجان المعدة لسقي الاراضي والاسفار وكذلك نذكر الطرق والجسور والقناطر في السهول والجبال المعدة لتوصيل المياه فهذه كلها تذكر في الفلاحة * الرابع نتكلم على أمور مختلفة من علم الطبيعة ومن علم المواليد الثلاثة ومن العلوم الرياضية وهنالك نتكلم على المادة المغناطيسية التي تستعملها الاطباء في معالجة الشلل ونحوه وكذلك القوة الكهربائية والحرارة الكروية والحوادث السماوية والندا والمطر الذي يحدث بين المدارين وكذلك نتكلم على أحجار الصواعق وعلى جبال النار المسماة بالبركانية وعلى الآلات الطبيعية كميزان

الزمان وميزان الحر وميزان الرطوبة ووقايه الرعد والنظارات الفلكية والنظارات المعظمة للاشياء الدقيقة التي لايدركها النظر ونتكلم أيضاً على علم المعادن واستخراجها وقطع الحجارة من مقاطعها وعلى علم الحشايش الطبية والنباتات المستعملة في الفنون والصنايع وعلى البهائم النافعة وعلى علم الجبر والمقابلة والهندسة * الامر الخامس يشتمل على جملة فروع من علم توفير المصاريف وسياسة الدولة وعلى تنبيهات على علم أحوال الممالك والدول وعلى سبب ثروتها وغناء أهلها وعلى أحوال المعاش والمعاد وعلى ولادة الذكور والاناث في كل بلدة من البلاد وعلى الادارة الملكية وعلى الاصول العامة المستعملة أساسا لسياسات الافرنج وهي الحقوق العقلية والحقوق القانونية والحقوق البشرية أي الحقوق التي للدول بعضها على بعض * السادس سياسة الصحة العمومية والخصوصية ففي ذلك نتكلم على تلقيح البقري للجدري وعلى الطاعون ومعالجاته وعلى الامراض والعوارض العامة وعلى بعض تشريح * السابع نذكر فيه جملة تعليمات مختلفة من مسائل ادبية وفلسفية ولغات وعلوم مثل علم الفصاحة وفيه نتكلم أيضاً على المكاتب والمدارس في البلاد المختلفة ونبذات في تواريخ البلاد خصوصاً مصر وعلى حكايات ونوادر من غرائب الآداب والبلاغة الافرنجية والمشرقية وكذلك نذكر شيئاً من علم المنطق ونبين الوسائل المسهلة المعلمة بالايجاز للقراءة والكتابة والحساب وطرق تعليم هذه الاشياء في أقرب زمن لسائر العامة * الثامن نبحث فيه عن عدة اشياء متنوعة وفيه نذكر أخبار التجارة والسفن البحرية واقامة العربيات العامة وتحسين الطرق والترع والخلجان والقناطر المعلقة والاشارة المسماة تيلغراف يعني اشارة الاخبار وجميع الاشغال المتجددة عند الافرنج وتضم لذلك

لوحات اشكال لكمال الفائدة وكذلك نرسم خرطات جغرافية وصور النباتات والحيوانات التي تنقل من البلاد الغريبـة وتربي في مصر ونذكر كثير من الامور التي تتجدد على تداول الازمان وبالجملة فنذكر نبذات صغيرة مقشعبة من اصول عظيمة ومستفادة من افواه الثقاة سهلة الفهم لسائر الناس ولا نستعير منها شيئاً من صحاب الكتب انتهى كلامه ولم ينجز ماوعد به لانه عاق ذلك على الارادة السنية ولم يصدر له امر الي الآن وبالجملة فهو من المولعين بحب مصر ظاهرا وباطنا ومن الراغبين في خدمة ولى النعم حبا له ولدولته وهذا آخر مايسره الله سبحانه وتعالى في ذكر حوادث السفر لتلك الجهة التي لاينكر معارفها الا من لا انصاف عنده ولا معرفة له قال الشاعر

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد * وينكر الفم طعم الماء من سقم

والفضل كالشمس لايخفى على احد * الا على اكمه عمـا يراه عمي

ولا ينبغي ان يمنع ذو الحق حقه كما قال الشاعر في هذه الابيات المملوءة من الحكمة

اذا كنت في حاجة مرسلا * فأرسل حكيما ولا توصـه

وان ناصح منك يوما دني * فـلا تنأ عنه ولا تقصـه

وان باب امر عليك التوى * فشاور لبيبا ولا توصـه

وذو الحق لاتنتقص حقـه * فان القطيعـة في نقصـه

ولا تذكر الدهر في مجلس * حديثا اذا كنت لم تحصـه

وقص الحديث الي اهـله * فان الوثيقـة في قصـه

ولا تحـرصن فرب امرء * حريص مضاع على حرصه

وكم من فتى ساقط عقـله * وقد يعجب الناس من شخصه

وآخـر تحسـبه انوكا * ويأتيك بالامر من قصـه

ولا احد يخلص من قال الناس كما قال الشاعر

ومن ذا الذي ينجو من الناس سالما * وللناس قال بالظنون وقيل
وحيث كان العمل بالنية * والمدار على حسن الطوية * فلا معول على من لم يكن نير السياسية * ساطع الكياسة * ولا اكترث الا بمن رقى رتبة عليه في الرسوم والقوانين وتشبث بالشريعة وكان فيها ذا رياسة ودري ان القصد انما هو حث اهل ديارنا على استجلاب مايكسبهم القوة والبأس ومايؤهلهم لاملائهم الاحكام فنحن علي هؤلاء الناس * وبالجملة كما كان في زمن الخلفاء كما قال الشاعر

وازرق الصبح يبدو قبل ابيضه * واول الغيث قطر ثم ينهمل

ولبعض اقاربي

يامن غدا معجبا بما اقترحت وقد * اضحي يروم مقال العاذل اللاحي
امارأيت اذا شمس الضحي غربت * يلجي الحريص الى ضوء بمصباح

وقال آخر

ليس الفتي بفتي لايستضاء به * ولا يكون له في الارض آثار

وعلى كل حال فارجو ممن نظر فيه ان يتصفحه بجملته ليكون على بصيرة ممايقول فان المتصفح للكتاب ابصر بمواقع الخلل منه ولا اقول الا كما قال الشاعر

فاليك وشيا حاكه * في الطرس ذو باع قصير
واستر اذا عيب بدا * والله يعفو عن كثير

ولنختمها بالدعاء للدولة الخديوية حماها الله وذريتها وجعلها سامية القدر بين دور الممالك المشرقية والمغربية شعر

فتية لم تلد سواها المعالي * والمعالي قليلة الاولاد

متع الله مصر وايالاتها بما افاضه عليها ولى النعم من حسن التمدن والعدل وامدها ايامه بجاه خاتم الرسل الذي علي مولاه دل * وصلي الله عليه وعلى آله واصحابه واحبابه واحزابه آمين

تم طبع رحلة العلامة الفاضل المرحوم رفاعه
بك بدوي رافع الطهطاوى على ذمة
مصطفى أفندي فهمي الكتبي وذلك
بمطبعة التقدم فى أواخر شهر
شوال سنة ١٣٢٣ هجرية
على صاحبها أفضل
الصلاة وأزكى
التحية

م م
م



فهرست تخليص الابريز * في تلخيص باريز

صحيفة

صحيفة

صحيفه

صحيفة

تمت الفهرست

بيان اسماء بعض كتب موجوده بمحل مصطفى فهمى الكتبي بمصر

حاشية الصاوى على الجلالين تفسير القرآن
نيل المرام ومصباح الظلام حديث
سنن ابن ماجه حديث
الملل والنحل لابن حزم
الغنيه لسيدي عبد القادر الجيلاني تصوف
منهاج العابدين للغزالى
الوجيز للغزالي
القسطاس المستقيم للغزالى
فاتحة العلوم للغزالى
شرح اسماء الله الحسنى للغزالى
شرح أسماء الله الحسنى للفخر الرازي
شرح شواهد المغني للسيوطى
تعريفات السيد الجرجاني
ديوان الحطيئه
ديوان أبي تمام
ديوان سيدنا حسان بن ثابت
ديوان ابن نباته
ديوان الحميدي
ديوان عنتر بن شداد
ديوان ابن سهل

تاريخ الجبرتي   جزء ٤

الفتوحات الاسلاميه لدحلان   جزء ٢

دلائل الأعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجاني

الخضري على ملوي السمرقنديه

افضل الصلوات للنبهاني

اوراد سيدي أحمد التيجاني

مفيد العلوم ومبيد الهموم

حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة

مقدمة بن خلدون

رحلة بن بطوطه

الفيح القسي في الفتح القدسي للوزير الكاتب بن العماد

سيره صلاح الدين الايوبى

المزدوجات والارتقيات

جواهر المعاني وبهامشة الرماح للتيجاني

أراء اهل المدينه الفاضله

شمس المعارف الكبرا

شموس الأنوار

ابو معشر الفلكى

تاج الملوك فى سر الحرف لأبن الحاج

هز القحوف شرح قصيدة أبو شادوف

ملحة الاعراب

مجموعة لتعليم خط النسخ والسلس والفارسي



Bibliotheca Alexandrina
04204438